
د. يعقوب يوسف الغنيم
الأزمنة والأمكنة
المجلد الثامن

مقالات

الأزمنة والأمكنة

عام ٢٠١٢

من تاريخ شارع كويتي:
شارع عبدالله الأحمد الجابر (١)[1]

شارع عبدالله الأحمد من شوارع الكويت الشهيرة، وسوف يزداد شهرة بسبب ما تقررت إقامته من مبان مهمة تزيِّن جانبيه، وتجعل الحركة تتدفق فيه، وبخاصة وأن الاتجاه الآن في طريقه إلى أن يحول هذا الشارع إلى مركز اقتصادي مهم، كما يحول جانب منه إلى مركز ثقافي وتراثي الأمر الذي سوف يتضح من خلال هذا المقال.

يبدأ هذا الشارع عند آخر تقاطع في نهاية شارع مبارك الكبير قبل وصوله إلى شارع الخليج العربي حيث يوجد قصر السيف ففي هذا المكان يبدأ شارع عبدالله الأحمد متجها إلى الشرق حتى يصل إلى دوار قصر دسمان. أما الناحية التي تتجه إلى الغرب فهي التي تسمى الآن شارع علي السالم الذي يمتد مستديرًا حتى يلتحم بشارع فهد السالم غربيًا، عابرًا شارع عبدالله السالم.

حديثنا هنا عن شارع عبدالله الأحمد فحسب، ولقد كان هذا الشارع طرقًا متداخلة لا تنتظم بشارع واحد كما هو الحال اليوم، وكانت هذه المنطقة مليئة بالمساكن والمساجد والمدارس، والفرجان القديمة، وعدد من الأسر الكويتية العريقة. وأهم ما يميزها أن جزءًا منها كان ممرًّا لسور الكويت الثاني، وأنا أدعوه الثاني لأنه مسبوق بسور هو عبارة عن جدران تغطي الفراغات التي تؤدي إلى خارج البلاد من الناحية الجنوبية.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٢م.

وكان السور المعروف حاليًّا بأنه الأول قد أنشئ في عهد الشيخ عبدالله بن صباح الأول المتوفى في سنة ١٨١٤م. وقد وصفه الشيخ يوسف بن عيسى في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» ص ١٨ فقال: «وكان أوله من الجهة الشرقية جناح نقعة ابن نصف الشرقي، وآخره من جهة الغرب جناح نقعة سعود القبلي (قرب المدرسة الأحمدية التي دخلت ضمن الجزء الغربي من مبنى قصر السيف بعد تجديده) ثم زيد هذا السور في زمن الشيخ جابر بن عبدالله (المتوفى في سنة ١٨٥٩م) من الجهة الغربية فصار آخره من جهة الغرب جناح نقعة بن عبدالجليل الشرقي».

ثم ذكر بوابات السور الست، ومنها البوابة التي بقي ذكرها إلى يومنا هذا وإن كانت قد زالت شكلًا وهي بوابة العبدالرزاق، ومكانها اليوم معروف والناس تطلق على المكان اسم: الدروازة.

وهناك تداخل بين هذا السور وما قبله بحيث نرى قسمًا من السور الذي وصفه الشيخ يوسف بن عيسى يمر هو الآخر بأجزاء من شارع عبدالله الأحمد.

☆☆☆☆

هذه مقدمة عامة، ولكننا سوف نتدرج في الحديث عن هذا الشارع منذ بدايته الغربية، وسوف نراه شارعًا واسعًا معدًّا إعدادًا جيدًّا وهو مفصول من وسطه إلى قسمين أحدهما للذاهب شرقا والثاني للعائد إلى الغرب، وأول ما نريد الحديث عنه هو ذكر ما يطل عليه من مبانٍ ومراكز تبدأ يمينًا بسوق الأوراق المالية ويسارًا بمسجد الدولة.

وسوف نهتم بالكتابة - فقط - عن المباني الملاصقة للشارع مباشرة. أما ما هو خلفها فلا اهتمام لنا به لأن لهذا بحثًا آخر ليس هذا موضوعه. ولكننا سوف لا نهمل المبنى الواقع على الشارع إذا كان له امتداد بعيد إلى الجنوب أو إلى الشمال.

كما أن حديثنا عن هذا الشارع سوف يكون منقسماً إلى قسمين: أولهما ما كان عن وضعه القديم والثاني ما يتعلق بحالته الراهنة، وفق التعديلات التي جرت عليه.

وإضافة إلى هذا التقسيم الذي ذكرناه، فإننا نجد أنه من الأفضل تقسيم القول عن هذا الشارع تقسيماً شبه جغرافي وهو أن نتخيله أقساماً ثلاثة ينتهي الأول من بدايته الغربية إلى الدوار الكائن على طرف مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي. ثم يبدأ القسم الثاني بعد الدوار مباشرة إلى أن نصل - شرقًا - إلى الدوار الواقع عند الهيئة العامة لشؤون القُصّر، أما القسم الثالث فينتهي عند الدوار الكائن أمام البوابة الرئيسية لقصر دسمان.

وهذه الدورات الثلاثة ذات أسماء لها علاقة بما كان موجوداً حولها من أماكن فالدوار الأول واسمه دوار الميدان له علاقة باسم فريج الميدان الذي كان عامراً منذ فترة سابقة لإنشاء الشارع وقد ارتبط اسمه بمدرسة الميدان ثم مستشفى الميدان الذي كان خاصّاً بالأمراض المستعصية.

ويطلق على الدوار الثاني اسم: دوار البركة (وتنطق الكاف مكشكشه) وذلك لأن المكان مجاور لبركة كان الناس يستقون منها الماء، ولهذه البركة قصة سوف نوردها. وقد أطلقت بلدية الكويت على هذا الدوار اسم «أبو دوارة» نسبة إلى موقع آبار بها ماء عذب، وقد وضعت البركة - كما يقال - في المكان الذي كانت فيه هذه الآبار. وتم بناء مبنى كبير يتبع اليوم هيئة الوقف على مكان البركة وما حولها.

الدوار الثالث وهو أكبر الثلاثة مساحة وأجملها من حيث التشجير، والتحسين المستمر نراه أمام البوابة الرئيسية لقصر دسمان ومنه استمد اسمه ولذا يقال: دوار دسمان. وعنده ينتهي شارع عبدالله الأحمد لتتفرع بعده شوارع أخرى منها شارع السور المحاذي للحائط الخارجي للقصر.

وينبغي ألا ننسى دوّاراً كبيراً في وسط الشارع تماماً هو دوار المطبة وسوف نرى أنه في مسار شارع خالد بن الوليد حيث يأتي هذا الشارع من الجنوب إلى الشمال.

☆☆☆☆

أطلق على هذا الشارع الذي نتحدث عنه اسم رجل يستحق ان يُخلّد ذكره، وهذا الرجل هو الشيخ عبدالله الأحمد الجابر الصباح أحد أبناء أمير دولة الكويت الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح، وهو من مواليد سنة ١٩٠٥م، وقد اشتهر بعمله الأمني، فكان نائباً لرئيس الأمن العام، ثم صار في فترة أخرى هو الرئيس، وفي الزمن الذي قام خلاله بحفظ الأمن في البلاد استقرت الأمور وخاف المخالفون للأنظمة، وتقيد الجميع بالضوابط التي وضعها الشيخ، فسادَ الشعورُ بالأمن والارتياح بين الناس. لقد كان صارماً على المجرمين لا تأخذه بهم رأفة لأنه يرى أن التراخي في عقابهم سوف يدفعهم إلى التمادي في الأعمال المخلّة. وقد حفظ الناس له ذكراً رائعاً إلى اليوم، وصار مضرب المثل في ضبط الأمور الأمنية وبذلك استحق ان يخلّد اسمه بأن يطلق على هذا الشارع الممتد طويلاً حتى قصر دسمان.

ولقد أسف الناس جميعًا حين أعلنت وفاته في ٢٨ من شهر يناير لسنة ١٩٥٧م.

☆☆☆☆

القسم الأول من الحديث عن هذا الشارع يبدأ من اليمين بما يلي:

١ - سوق الكويت للأوراق المالية.

٢ - بنك برقان.

٣ - مسجد الحمدان.

٤ - البنك الوطني.

٥ - الحسينية الجديدة.

٦ - مسجد النومان.

٧ - مواقف سيارات ثم ينتهي هذا القسم عند الدوار. (دوار الميدان).

أما بداية الشارع من اليسار ففيها:

١ - مسجد الدولة.

٢ - مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي.

٣ - بينهما مواقف للسيارات وساحات خدمة ثم الدوار الذي ذكرناه آنفًا.

ويخترق هذا الدوار طريق يمتد من شارع أحمد الجابر جنوبا إلى البحر شمالاً وفي هذا الشارع على قصرة عدة أماكن سوف يأتي ذكرها عند الحديث عن الوضع القديم للموقع الذي صار الآن: شارع عبدالله الأحمد.

ثم: إننا نقدم هنا استطرادًا نوضح فيه القسم الأول من الشارع بوضعه الحديث وفق ما ذكرنا فيه من أماكن وهي كالآتي:

أولًا: سوق الأوراق المالية:

في زاوية يجتمع عندها طرف من شارع مبارك الكبير والطرف الأول من شارع عبدالله الأحمد يكون موقع مبنى سوق الكويت للأوراق المالية وهو ما يطلق عليه في بلدان أخرى (البورصة) يتداول المهتمون بيع وشراء أسهم الشركات المدرجة في هذا السوق الذي يتكون من خمسة أسواق هي السوق الرسمي، والسوق الموازي، وسوق الكسور، وسوق الخيارات، وسوق الأجل. وقد تم تأسيس سوق الكويت للأوراق المالية بعد صدور قانون تنظيم التداولات المالية في شهر أكتوبر لسنة ١٩٦٢م، وقد جرى تعديل هذا القانون في سنة ١٩٨٣م وسنة ١٩٨٤م، وهو أقدم سوق من نوعه في منطقة الخليج العربي، ويعتبر - أيضًا - من كبريات البورصات وأهمها عالميًّا.

يقع السوق في موقعه الذي أشرنا إليه ضمن مبنى فريد من نوعه، صمم خصيصًا لهذا الغرض وقد أبدع مصممه في صنعه غاية الإبداع، ولذا فهو من المباني الكويتية المهمة عندنا.

ثانيًا: بنك برقان:

بنك برقان من أحدث المصارف الكويتية وأكثرها نشاطاً، وحرصًا على التطوير والتقدم. وهو يسعى إلى التوسع دائمًا فله ما يقرب من عشرين فرعًا في مختلف مناطق الكويت، كما إن له تشكيلة من الفروع المهمة مثل: فرع الحلول المتكاملة ومهمته تقديم المشورة للعملاء، من أجل مساعدتهم في اتخاذ القرارات الخاصة بالاستثمارات. وفرع المراكز المالية لتقديم الخدمة المصرفية الخاصة بالعملاء المميزين من أفراد أو مؤسسات. وفرع المعاملات الذي يتولى تقديم الخدمات المصرفية الأساسية للعملاء.

تأسس بنك برقان في سنة ١٩٧٥، منذ ذلك الوقت وهو يوالي تقدمه حتى نال العديد من الشهادات ومن الجوائز، وقد شهدت له مؤسسات عالمية كبرى بالتفوق.

ولايزال هذا البنك يسعى إلى تطوير نفسه وتوسيع أعماله دون تردد أو توقف.

ثالثاً - مسجد الحمدان:

أسسه السيد محمد بن باشق الحمدان القناعي في سنة ١٨٤٤، وجرى تجديده في سنة ١٩٤٥، ثم جددته دائرة الأوقاف العام في سنة ١٩٥٦. وكان الشيخ الفاضل عبدالرزاق الصالح المطوع يقوم بإمامة المصلين فيه تطوُّعاً.

رابعاً - بنك الكويت الوطني:

وكان تأسيس بنك الكويت الوطني في شهر نوفمبر لسنة ١٩٥٢، وذلك بموجب مرسوم أميري وَقّعه الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي رعى هذا البنك منذ كان فكرة في أذهان عدد من أبناء الكويت، وقدم له الدعم والمساعدة مادياً ومعنوياً.

وكان الطريق الذي أدى الى نشأة البنك طريقاً شاقاً ولكن أبناء الكويت لمجرد ورود الفكرة الى أذهانهم لم يعبأ أحد منهم بالصعاب فساروا حتى أنجزوا

ما عزموا عليه، فأسسوا مصرفاً عظيم الأهمية لايزال له دوره في نمو الاقتصاد الكويتي ولايزال متقدماً على مستوى بنوك الشرق الأوسط قاطبة.

كانت خطوات التأسيس مهمة، وكان اعتماد المقر موضع اهتمام المؤسسين، وبأسرع وقت تم بدء العمل المصرفي في مبنى صغير في شارع عبدالله السالم، ثم جرى إنشاء مبنى آخر كبيراً في الشارع نفسه أمام الموقع الأول، فكان ذلك علامة من علامات النمو التي حظي بها بنك الكويت الوطني.

وكان المؤسسون قد كوّنوا مجلس إدارة برئاسة خالد الزيد الخالد، وكان أحمد سعود الخالد نائباً له، أما الأعضاء، فهم: محمد الخرافي، خليفة الغنيم، وسيد علي سيد سليمان، وفهد المرزوق، ويوسف الفليج، ومرزوق جاسم بودي، ويعقوب الحميضي، وعبدالعزيز الصقر، ويوسف ابراهيم الغانم، وخالد العبداللطيف الحمد.

سار هذا البنك سيراً حثيثاً وتوسعت أعماله عن طريق النشاط الداخلي بكثرة فروعه، وعن طريق النشاط الخارجي عندما صارت له أعمال كثيرة في خارج البلاد.

خامساً - الحسينية الجديدة:

تحدث الأستاذ عبدالله الخالد الحاتم عن هذه الحسينية في كتابه «من هنا بدأت الكويت» فقال: «في سنة ١٩٠٦ بنى آل معرفي مبنى خاصاً أطلقوا عليه اسم (حسينية معرفي)، كانوا يزاولون فيها الإرشاد والتوجيه الديني».

وفي سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦)، تبرع الشيخ خزعل خان، أمير منطقة عربستان، بمبلغ عشرة آلاف روبية، لبناء حسينية عرفت فيما بعد بـ«الحسينية الخزعلية»، وهي لاتزال تزاول نشاطها الديني والاجتماعي، وتقع في شارع مبارك الكبير قرب المنطقة التجارية المركزية. وقد أحضر الشيخ خزعل خان تخطيط هذه الحسينية من أحد المهندسين في المحمرة لتبنى بموجبه على الطراز الإسلامي. وقد تبرع

أيضاً في بناء هذه الحسينية كثير من تجار الكويت، منهم: الحاج عبدالكريم معرفي، والحاج علي أسطى أحمد، والحاج عبدالكريم أبل. وافتتحت هذه الحسينية سنة (١٣٣٦هـ) (١٩١٨م). والجدير بالذكر أن الشيخ مبارك الصباح قد تبرع لإتمام هذه الحسينية بكتل من الأخشاب، تعرف في الكويت باسم: صوارة ومندات. وقد بنيت بالآجر الأصفر المجلوب من العراق. كما تبرع الشيخ جابر المبارك ببيت كان للشيخة موضي الدعيج الصباح، استخدم كدورة مياه ومطابخ لهذه الحسينية. وقد قام: الحاج حسين إبراهيم مقدسي بإدارة هذه الحسينية منذ افتتاحها عام ١٣٣٦هـ (١٩١٨م). ومنذ عام ١٩٤٨م تولى إدارتها: الحاج يلّي أحمد بهبهاني، وقام بتوسعتها بشراء بعض البيوت المجاورة لها. وتبرع لهذه التوسعة الأخيرة: صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح، بمبلغ خمسين ألف روبية. وكذلك تبرع الشيخ صباح الناصر الصباح بمبلغ ٣٠ ألف روبية. كما تبرع بعض التجار والموسرين بمبالغ من المال لهذه التوسعة الأخيرة. وقد ظل الحاج يلي أحمد بهبهاني، يتولى إدارة تلك الحسينية، إلى أن توفاه الله في سنة (١٩٧٧م).

والجدير بالذكر أن المبنى الأول كان إلى الغرب من المبنى الحالي ولكن ظروف التخطيط الجديدة للمنطقة اقتضت نقله إلى هنا كما نشير إلى أن الاسم المكتوب الآن على المبنى هو: «الحسينية الجديدة» وأن تاريخ الإنشاء كان في سنة ١٩١٦م، وأن المبنى وقف من عبدالكريم معرفي. ومن هنا نرى أن لهذه الحسينية تاريخين أولهما للإنشاء الأول هو ١٩٠٦م والثاني لما بعده وهو ١٩١٦م وقد بين الحاتم الفرق بين المبنيين وتاريخهما.

أمام موقف السيارات الكائن أمام الحسينية الجديدة إلى الشمال الشرقي مسجد يطلق عليه اسم مسجد النومان. وقد تم بناؤه في سنة ١٨٠٧م، ثم قامت دائرة الأوقاف العامة بإصلاح ما أفسدته الأمطار من أقسامه، بل قامت ببنائه من جديد في سنة ١٩٥٥م. وقد سمي المسجد بهذا الاسم نسبة إلى المساهم في تأسيسه، وأول مؤذن فيه وهو حنيف النومان.

هذا هو المسجد الثالث في الشارع الذي نتحدث عنه فبعد مسجد الدولة وهو الأول ثم يأتي مسجد الحمدان الذي يقع على اليمين بعد سوق الأوراق المالية وقد مَرّ بنا ذكره.

أما المسجد الرابع فهو مسجد المطبة، الذي أسسه شملان بن علي آل سيف، وذلك في سنة ١٨٩٣م وقد تم تجديده أكثر من مرة، وهو الآن على شارع عبدالله الأحمد مباشرة وقد حظي أخيرًا بتجديد باعتباره من المباني الكويتية التراثية.

وبعد الموقف الذي تحدثنا عنه هنا يصل هذا الجزء من الشارع بكامله إلى الدوار الأول الذي ننتقل بعده إلى الحديث عن القسم الثاني من الشارع.

هذا فيما يتعلق بيمين القسم الأول من شارع عبدالله الأحمد، أما اليسار ففيه ثلاثة مواضع مهمة هي كما يلي:

أولاً: المسجد الكبير:

هو أكبر مسجد في الكويت من حيث مساحة الأرض التي بني عليها، وفخامة البناء وحجمه، ومن حيث مدى استيعابه من المصلين. يقع في بداية شارع عبدالله الأحمد من جهة الغرب على يسار المتجه إلى النهاية الشرقية لهذا الشارع، تم افتتاحه في سنة ١٩٨٦م، وقد بدأ العمل في بنائه اعتبارًا من سنة ١٩٧٩م، وقد كلّف بناؤه أربعة عشر مليون دينار. صممه المهندس الدكتور محمد مكية، وشارك في بنائه خمسون مهندسًا وأربعمائة وخمسون عاملاً.

يستوعب المسجد أحد عشر ألف مصلٍّ، ولكنه في ليلة السابع والعشرين من رمضان مختلف إذ يجري إعداد الساحات المحيطة به فيستوعب ما يقرب من مائة وسبعين ألف مصلٍّ.

ويجدر بنا أن نذكر أن تصميم هذا المسجد قد جرى على النمط الأندلسي الفاخر. وأن هناك الكثير مما ينبغي أن يذكر عنه لولا ضيق المقام. وأنه يتبع من الناحية الإدارية: قطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ثانيًا: مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي:

هذه مكتبة متخصصة بالشعر العربي، تضم أكبر عدد من دواوينه، صاحبها الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، الذي أولع بالشعر خاصة وبالأدب عامة، مما دفعه إلى القيام بمشروعات مهمة في هذا السبيل ومن هذه المشروعات المكتبة الشعرية التي نتحدث عنها. وموقعها في شارع عبدالله الأحمد على يسار المتجه إلى الشرق بعد مروره بمسجد الدولة.

موقع المكتبة في هذا المكان بين عدد من المؤسسات ذات التنوع والأهمية يجعلها ملمحًا مهمًّا من ملامح الحضارة في البلاد، ودليلًا على التقدم والرقي فيها.

وضع حجر الأساس لهذه المكتبة في اليوم السادس من شهر يناير لسنة ٢٠٠٢م، وتم افتتاحها في اليوم الثامن من شهر أبريل لسنة ٢٠٠٦م. وهي على مساحة اثني عشر ألف متر مربع تقريبًا. صمم مبنى المكتبة على هيئة كتاب مفتوح من جهة الجنوب وآخر مشابه من جهة الشمال. وكل ما فيها من كتب ومعلومات مفهرسة ومتاحة على أجهزة الحاسوب الموجودة في داخل المكتبة.

ويتكون المبنى من ثلاثة طوابق عدا الأرضي منها الذي يضم القاعة الرئيسية، وقاعة المواد السمعية والبصرية والحاسب الآلي والمصلى وبعض الجوانب المهمة المساعدة.

والطابق الأول يضم الكتب وأركان المطالعة، أما الطابق الثاني فيضم مكتبة السيد عبدالكريم البابطين التي تضم أكثر من مائة ألف دورية وكتاب في تخصصات مختلفة. مع عدد من نوادر المخطوطات. أما الطابق الثالث فيضم الإدارة ومكاتب الموظفين. ويلحق بكل ذلك مسرح يتسع لأربعمائة فرد، مجهز بالتقنيات الحديثة وبه غرفة تحكم وهو يشهد باستمرار الفعاليات الأدبية التي تقيمها مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

ثالثًا: المواقف:

هذا ونجد ساحة واسعة تقع بين مسجد الدولة ومكتبة الشعر العربي، وهذه الساحة تستغل لعدة أغراض منها ما هو مواقف للسيارات، ومنها ما يُتخذ مواضع للسرادقات والخيام التي تقام بقرب المسجد في أيام رمضان وبخاصة في الليالي العشر الأواخر منه حيث تكتظ مواضع الصلاة بالمصلين، وتضطر الجهة المشرفة إلى إعداد ساحات إضافية مُغطاة حتى تستوعب الزيادات الكبيرة في أعداد المصلين في هذه الفترة.

أما مواقف السيارات فهي ضرورية في هذا المكان الذي يأتيه الناس بسياراتهم، ولا بد لهم والحالة هذه أن يجدوا أماكن ملائمة لهذه السيارات تكون على غير مبعدة من المسجد. وقد تهيأ في هذه المواقف كل ما يحتاج إليه الناس إضافة إلى وجود حافلات عديدة تنقل المتوقفين بعيدًا إلى حيث يصلون ثم تعيدهم إلى مواقف سياراتهم إذا كانت في المواقف البعيدة.

☆☆☆☆

هذا هو حديثنا عن الجزء الأول من الشارع، وهو حديث يتعلق بالوضع الحالي له لأننا سوف نعود فيما بعد إلى الحديث عن هذا الجزء فيما يتعلق بالماضي ضمن مقال يشمل كامل الأجزاء فإلى اللقاء.

****

من تاريخ شارع كويتي:
شارع عبدالله الأحمد (٢)[1]

انتهى بنا المطاف في مقالنا السابق من «الأزمنة والأمكنة» رقم (١) عند الحديث عن نهاية القسم الأول من شارع عبدالله الأحمد، حين توقفنا عند الدوّار الأول منه وهو المسمى: «دوار الميدان».

وننتقل في هذا الجزء من موضوعنا إلى الحديث عن القسمين الثاني والثالث من الشارع المذكور معاً وهما يمتدان إلى دوار دسمان شرقاً.

عندما نتجاوز دوار الميدان وهو النقطة التي توقفنا عندها في المقال السابق فإننا سوف نجد ما يلي:

- مبنى حسينية حسين معرفي الشرقية التي تأسست في سنة ١٩٠٥م، وقد قام بتأسيسها الحاج محمد حسين نصرالله معرفي. وهو من المباني القديمة في هذا الموضع ولكنها تحظى بعناية تامة، ويجري تجديدها بين وقت وآخر، وهي تمتلئ بالرواد في المناسبات المعلومة، حيث يستمع هؤلاء إلى الأحاديث والتذكير بما جرى من أحداث التاريخ الإسلامي.

فإذا مضينا في طريقنا رأينا على اليمين - أيضًا - مساحة واسعة خالية من المباني. ثم يأتي مسجد قديم البناء ولكنه حديث التجديد هو مسجد المطبة

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٩/٩/٢٠١٢م.

المسمى الآن مسجد شملان، وقد سمي مسجد المطبة لأنه في منطقة المطبة التي سوف نتحدث عنها في القسم الثالث لأن المرحوم شملان بن علي آل سيف هو الذي أسسه وأنفق على بنائه وكان ذلك في سنة ١٨٩٣م.

وكنا قد قدمنا لمحة سريعة عنه في مقال الأسبوع الماضي. هذا المسجد الآن في أراضٍ خالية، وهو ملاصق لرصيف الشارع الذي نتحدث عنه، يسبقه فراغ ويلحق به فراغ آخر وفي الامتداد يأتي دوار أكبر قليلاً من دوار الميدان يسمى دوار المطبة وهو يقطع شارع خالد بن الوليد القادم من الجنوب إلى الشمال فإذا اجتزنا هذا الدوار جاءت على اليمين بنايات عديدة ضخمة ولكنها غير ملاصقة للرصيف فيها بعض المحلات التجارية وإحدى المؤسسات الحكومية وقد ترك الفراغ الذي يفصل بينها وبين شارع عبدالله الأحمد لكي يستفاد منه لمشروعات المستقبل.

بعد هذا الفراغ تأتي مبانٍ أخرى ولكنها هنا مجاورة لرصيف الشارع المذكور، وفي آخرها الدوار الثالث من دوارات هذا الشارع وهو دوار «أبو دوارة» وكان قد مر بنا أن اسمه عند بدء إعداده: دوار البركة. وسوف يأتي بيان سبب تسميته الأولى والثانية، عندما نتحدث عن الوضع القديم للشارع.

وفي آخر هذا الجزء من شارع عبدالله الأحمد، في ناحيته الشمالية يقع مبنى له تميزه عن غيره من المباني المجاورة، ذلك هو مبنى «الهيئة العامة لشؤون القصر»، وهذه الهيئة من المؤسسات الحكومية التي نشأت في الكويت مبكراً جدًّا. كان اسمها «دائرة الأيتام» يوم جرى إنشاؤها في سنة ١٩٣٨م بموجب قرار صادر من أمير البلاد الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح، وكان أول رئيس لهذه الدائرة هو الشيخ عبدالله السالم الصباح، وهي تهدف إلى المحافظة على أموال الأيتام، وتنميتها لهم إلى أن يبلغوا سن الرشد فتقوم هذه الهيئة بتسليم حقوقهم إليهم.

تم تغيير اسم دائرة الأيتام إلى الهيئة العامة لشؤون القصر في سنة ١٩٧٤م، وذلك لأن ما تقوم به الهيئة يزيد على اختصاص دائرة الأيتام، فصارت تتولى رعاية

كافة الكويتيين من ناقصي الأهلية. وفق قانونها الذي تمت دراسته الدراسة الوافية بحيث لا يترك مجالاً من مجالات نفع الخاضعين له الا وخاض فيه. فالمؤسسة إنسانية قانونية في وقت واحد.

وقبل الانتقال إلى الحديث عن الدوار المسمى «أبو دوارة» فإننا نذكر مسجداً نراه على اليمين قبل المباني التي جاء في آخرها مبنى الهيئة العامة لشؤون القصر. وهذا المسجد كبير ولكنه ليس على الشارع مباشرة وإن لم تفصله مبان أخرى عن رصيفه، إنه مسجد شعبان وهو من مساجد الإخوة الشيعة، وهو مسجد مشهور شهد أحداثاً كثيرة في فترة من الفترات، وكان يقبل عليه كثيرون من الرواد منهم أناس من أبناء المذهبين السني والشيعي، وكان التلاقي دليلاً على نبذ التعصب والبعد عن روح الشقاق وكان هذا هو شأن أبناء الكويت منذ نشأت. لايزال هذا المسجد على هيئته الكبيرة التي كان عليها عندما تم إنشاؤه ولايـزال يستقبل المصلين، أسس هذا المسجد محمد شعبان وغلوم غضنفري، وقد أضيف إليه مصلّى للنساء، وتقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حالياً بتوسعته.

وعند الدوار الثالث نقف لكي نلقي نظرة على الموقع فنرى شارعاً طويلاً يخترق شارع عبدالله الأحمد قادماً من مسافة بعيدة في الجنوب تبدأ عند شارع السور بجوار الدوار المسمى «دوار الصباح» وهو دوار غير موجود حالياً فقد حلت محله إشارات المرور المتعددة، وقامت في مكانه طرق متشابكة. وينتهي هذا الشارع بعد أن يخترق دوار «أبو دوارة» عند ساحل البحر، وفي هذه القطعة الصغيرة تأتي إلى اليمين مباني المستشفى الأميري المتعددة ثم يلتحم الطريق مع شارع الخليج العربي.

وهذا الشارع هو: شارع جابر المبارك الصباح.

بقي علينا الحديث عن الجزء الأخير من شارع عبدالله الأحمد (يميناً) وهو جزء يبدأ بعد دوار «أبو دوارة» وينتهي عند دوار دسمان. والدوار الذي مررنا به من

حيث الحجم لا يزيد عن حجم الدوار الأول وهو «دوار الميدان وعنده يستمر الطريق مائلاً إلى الشمال الشرقي حيث يلتقي بدوار دسمان. وفي بداية هذا الطريق يميناً نجد ساحة خالية سوف نذكرها في مقال لاحق، وقد كانت في يوم من الأيام مساكن للأطباء بسبب قربها من المستشفى الأميري، ثم نشاهد دوار دسمان وهو دوار كبير فيه أشجار وزهور ينتهي عنده شارع عبدالله الأحمد.

☆☆☆☆

ها نحن قد انتهينا من الحديث عن الجانب الأيمن من الشارع الذي هو موضوع مقالنا هذا. ولذا فاننا لكي نستكمل ما بدأنا به نعود إلى بداية القسم الثاني من يسار الشارع. وأول ما يلفت نظرنا مبنى كبير هو قيد الإنشاء لبنك الكويت المركزي، وهو من ضمن البرنامج المعد في تصورات دائرة بلدية الكويت لهذا الشارع، فقد صار من المقرر أخيراً أن يصبح هذا الشارع هو شارع المال والاقتصاد في الكويت.

يعتبر بنك الكويت المركزي من أهم مؤسسات دولة الكويت. وبخاصة في المجال الاقتصادي والمالي، وله دوره الكبير في الإشراف على تداول العملة الكويتية (الدينار) ومتابعة البنوك وشركات الاستثمار العاملة في البلاد.

صدر في سنة ١٩٦٠م ما يدل على بدء الكويت في إصدار عملتها الخاصة بعد أن بقيت مدة من الزمن وهي تستعمل الربية الهندية. ففي هذه السنة صدر المرسوم الأميري بقانون رقم ٤١ لسنة ١٩٦٠م، وكان ينص على إنشاء مجلس النقد الكويتي، لكي يتولى إصدار أوراق النقد والمسكوكات في الكويت. وقد نص القانون على أن تكون وحدة النقد الكويتي هي الدينار. وتقرر أن يكون المجلس مؤسسة عامة مستقلة ذات شخصية اعتبارية، وكان برئاسة رئيس المالية والاقتصاد (وزير المالية فيما بعد).

وبعد مرور ثماني سنوات على إنشاء هذا المجلس تقرر أن تأخذ الهيئة المشرفة على النقد الكويتي شكلًا آخر مما تلا لما هو جارٍ في الدول الأخرى، فصدر القانون رقم (٣٢) لسنة ١٩٦٨م الذي يقضي بإنشاء بنك الكويت المركزي. ولقد ثبت فيما بعد أن هذه النقلة في العمل كانت ضرورية وكانت مهمة، حيث إن التطور في الأعمال المصرفية قد أخذ طريقه السريع للتقدم، وأصبح الاهتمام الأوسع والأكثر حيطة لابد وأن يتم عن طريق إنشاء هذا البنك الذي كلفه القانون بعدة أمور منها إصدار العملة الكويتية وتأمين ثباتها وحرية تنقلها، والتوجيه الجيد لسياسة الائتمان ومراقبة الجهاز المصرفي، والقيام بعمل مصرف الحكومة، وتقديم المشورة المالية عندما تطلب منه.

سار البنك في طريقه المرسوم وأعد له مبنى كبير في شارع عبدالله السالم، وهو الآن يعد لنفسه مقراً أكبر وأكثر اتساعًا بحيث يتماشى مع التطورات الكثيرة التي يحياها بمرور الزمن.

وإذا اجتزنا هذا المبنى الذي تحدثنا عنه وهو من المباني الضخمة العالية التي سوف تسد حاجة بنك الكويت المركزي لمدة طويلة جدًا.

فإننا نأتي بعد هذا المبنى الواقع على يسار الشارع إلى أرض خالية من المباني، واسعة تنتظر المشروعات التي تزمع بلدية الكويت القيام بها. ليأتي بعد الفراغ مبنى من المباني الضخمة وهو مبنى وقفي بدأ العمل به الأخ عبدالعزيز سعود البابطين ليكون وقفًا على الأعمال الثقافية المهمة التي يقوم بها في الكويت وفي خارجها. ولكنه لم ير داعيًا للاستمرار في هذا المشروع وأعاده إلى هيئة الوقف فقد وجد معارضة له من أناس لم يدركوا القيمة الحقيقية لهذا العمل الذي سوف يكون له مردود جيد لصالح الكويت لو تم تنفيذه كما أراده أبو سعود.

وبعد هذا المبنى، وبعد أن نجتاز دوار «أبو دوارة» ندخل إلى امتداد الطريق المؤدي إلى دوار دسمان وفي الجهة اليمنى الباقية من الشارع محلات أكثرها للبقالة وإصلاح السيارات وفندق كبير.

وفيما يتعلق باهتمام دائرة بلدية الكويت بهذا الشارع ورغبتها في الاستفادة من موقعه في وسط العاصمة، وبين مؤسسات قائمة مهمة فإننا نذكر هذه البيانات التي وردت في كتاب أصدرته دائرة بلدية الكويت تحت عنوان: «بلدية الكويت بين الماضي والحاضر» في سنة ٢٠٠٩م.

وذكرت فيه عددًا من المشروعات التي تم إبرام عقودها وجار تنفيذها أثناء إعداد الكتاب وكان منها: «القرية التراثية في شارع عبدالله الأحمد، وتقوم به شركة خاصة لهذا الغرض وقد كان تاريخ العقد في اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ٢٠٠٤م ومن الظاهر الآن أن التنفيذ يدل على أن مظاهر المشروع تبدو أقرب إلى شارع الخليج العربي منها إلى شارع عبدالله الأحمد إلا إذا كان في النية وضع امتداد جنوبي لمباني القرية بحيث تصل إلى الشارع الذي ذكرته بلدية الكويت.

وتحت بند: المشروعات التي تمت ترسيتها وجار إبرام عقدها مع وزارة المالية جاء ذكر للمشروع التالي وهو: «المركز الترفيهي والثقافي والتعليمي ضمن مشروع شارع عبدالله السالم. وقد ذكر كتاب بلدية الكويت أن هذا المشروع قد تمت ترسيته على إحدى الشركات الكويتية في اليوم الثامن عشر من شهر يناير لسنة ٢٠٠٦م، ولكن المشروع لم ير النور حتى الآن ولن يراه مستقبلًا لأن الخطة الخاصة

بهذا الشارع قد تم تغييرها وصار العمل على تحويله إلى مركز اقتصادي، بدأ من معالمه مبنى البنك المركزي الجاري بناؤه في هذه الأيام. وإذا كانت هناك دراسات حول مستقبل الشارع بموجب التوجه الجديد لم تعلن رسميًّا للناس ولكنها مطوية في أرفف دائرة بلدية الكويت على الرغم من تساؤل الناس المستمر عنها.

☆☆☆☆

كان الاهتمام المبذول من أجل تطوير شارع عبدالله الأحمد كبيرًا وكانت المبالغ المرصودة لأعمال هذا التطوير كبيرة الحجم إذ وصلت في بدايتها إلى ما يقرب من الثمانين مليونًا من الدنانير.

وكان الأمل المرجو من إنشاء هذا المشروع الضخم هو إحياء منطقة داخل العاصمة، وإعادة النشاط إليها بعد أن مرت مدة طويلة على أراضي الشارع وماحوله وهي خالية غير مستغلة وجرى التفكير على المستوى الحكومي في إنتاج عمل مهم ينقل الشارع من وضع إلى آخر بحيث يكون مفيدًا للناس، معطيًا صورة جميلة لعاصمة البلاد.

لقد كان الهدف من المباشرة في إحياء هذه المنطقة المهمة من عاصمة البلاد هو كما تبين منذ بداية الأعمال التطويرية فيها إتاحة الفرصة للمواطنين الذين تفتقر عاصمة بلادهم إلى كثير من الأنشطة الترفيهية والثقافية والتراثية بحيث يستفيدون من كل ذلك.

وكان الأمل أن تنجز المشروعات المستهدفة بحيث يصير هذا الشارع وما حوله، جاذبًا للناس يزورونه باستمرار لكي يستمتعوا بما فيه من مرافق متنوعة

تهدف إلى إسعاد زواره وملء أوقات فراغهم بما يفيد. ولقد أعلن أحد كبار موظفي بلدية الكويت أن مشروع تطوير شارع عبدالله الأحمد الذي بدأت عجلة العمل في إنجاز ما ينبغي أن يكون فيه من أعمال يتكون من ثلاث مراحل أولاها: القرية التراثية التي أشرنا فيما مضى إلى أنها في طريقها إلى الإنجاز، ونأمل أن تتحقق الآمال بها قريبًا، أما المرحلة الثانية فتتعلق بتطوير وتنظيم ما يلزم للاستفادة من المنطقة السكنية المقرر لها أن تكون مجاورة للقرية المذكورة، وتضم المرحلة الثالثة قسائم تجارية ومركزًا ترفيهيًّا وثقافيًّا وتعليميًّا، وقد خصصت أغلب القسائم لعدد من المؤسسات الحكومية.

وإذا ألقينا نظرة إلى ما سبقت لنا الإشارة إليه فإن هذا المشروع على أهميته لايزال بعيدًا عن التنفيذ الكامل ولايزال يحتاج إلى خطوات أخرى سريعة في سبيل إنجازه، إضافة إلى ما سبق إليه القول من إلغاء فكرة المركز الثقافي الترفيهي.. والاستعاضة عنه بالاهتمام بالنواحي الاقتصادية بحيث يكون هذا الشارع هو قلب الاقتصاد الكويتي وعنوان التجارة والنشاط المالي.

ومع ذلك فإن الأمر يحتاج إلى التحرك السريع لأن مثل هذه المشروعات تزداد كلفتها كلما تأخر تنفيذها كما رأينا في مشروعات أخرى بذلت فيها حكومة الكويت مبالغ مضاعفة بسبب التواني في التنفيذ أو التردد في البدء به.

لقد كان التوجه الحكومي كما رأينا ينصب على إحياء شارع عبدالله الأحمد وربطه بما حوله من طرق رئيسية حتى يكون - فعلًا - مركزًا له قيمته فتتحقق بوجوده الآمال المعقودة عليه من حيث إحياء العاصمة وتنشيط الحركة الاقتصادية فيها، وجعله مركز جذب سياحي للمواطنين ومن يرغب من غيرهم.

ولا شك في أن موقع الشارع ذو أهمية كبيرة من حيث ما يحيط به من مؤسسات منها قصر السيف والمسجد الكبير والبورصة ومكتبة البابطين المركزية للشعر العربي وسوق شرق وكل هذه إلى جانب ما سوف يضاف ضمن المشروع الكبير مما سيكون مجالاً خصبًا للاطلاع والتعرف على الحياة الكويتية التراثية. وإذا عرفنا أن بداية الشارع قد ضمت مركزًا مهمًّا للآثار هو موضع «تل بهيته» الذي سوف نتحدث عنه فيما سيأتي وجدنا أن استغلال هذا المركز الأثري سوف يكون مفيدًا للزائرين، وبخاصة عندما يؤدي المشروع إلى عرض ساحة تذكارية تشمل بقايا أثرية في المنطقة المتاخمة للشارع وللقرية التراثية.

بقيت نقطة مهمة أبدى المختصون ضرورة الاهتمام بها بحيث يتزامن تنفيذها مع إنجاز المشروع بكامله، وهي النقطة المتعلقة بموقف السيارات.

فإن من المفهوم أن عملاً كبيراً مثل هذا يضم عدة مؤسسات جاذبة للناس سوف يكون الاهتمام بتدبير المواقف له مهما جدّاً حتى لا يغص الشارع بالسيارات، وحتى يسهل على الزوار إتمام زيارتهم له بلا منغصات. ولا شك في أن هذا المطلب مهم وتنبغي المسارعة إلى وضعه بالاعتبار.

وخلاصة الأمر أن مشروع تطوير شارع عبدالله الأحمد والمنطقة المحيطة به، قد تمت خطوات مهمة لتنفيذه ولكنه لايزال يخضع للتردد المعهود في إدارة مشروعاتنا، ولا يزال التلكؤ في التنفيذ قائمًا على الرغم من أهمية هذا العمل، وما سوف يكون له من دور قوي في تنمية اقتصاد الكويت، وفتح المجال لنهضة اجتماعية ومالية تعيد إلى البلاد ما عرفت به من نشاط كبير منذ أيام رحلات

السفن الشراعية، وإذا كان لكل زمان دولة ورجال، فإن زمان تلك السفن ورجالها إذا ذهب فإن هناك ما يحل محله وهو يُرى الآن في أمثال هذا المشرع الكبير الذي نتحدث عنه.

☆☆☆☆

وبعد فهذا وصف عام تناولنا فيه تقديم صورة كاملة عن شارع عبدالله الأحمد كما هو اليوم، كما قدمنا تصورات بلدية الكويت حول مستقبله وما تم إنجازه مما جاء في تلك التصورات. وهذا يكفي. وعلينا الآن أن نعود مرة أخرى لاستكمال حديثنا فنكتب المقال الثالث من مقالات: «من تاريخ شارع كويتي: شارع عبدالله الأحمد» وسوف يكون عن الوضع الذي كانت عليه المنطقة التي يخترقها الشارع في خمسينيات القرن الماضي وما قبلها. وهذا ما سوف نعرضه في الأسبوع القادم إن شاء الله.

****

من تاريخ شارع كويتي: شارع عبدالله الأحمد (٣)[١]

نصل الآن إلى مفصل آخر من مفاصل الحديث عن شارع عبدالله الأحمد، ذلك أننا بعد أن أشرنا إلى وضعه الحالي في حلقتين سابقتين من «الأزمنة والأمكنة» نتحدث هنا عن وضعه القديم قبل أن يكون شارعاً ممتداً مكتسباً اسمه الذي نعرفه به اليوم، وكيف كان وضعه قبل أن تطرأ عليه التطورات التي لحظناها فيما سبق.

ألمحنا - فيما مضى - إلى أن الشارع لم يكن شارعًا بمعنى الكلمة التي تطلق على أي شارع من حيث صفته وامتداده، ومن حيث تنظيمه، ورصف جانبيه، وتجهيز معابر المركبات كما هي العادة في الشوارع جميعًا. لقد كان قسم من الشارع الذي نتحدث عنه طريقًا ضيقاً، وكان منه قسم آخر يضم عددًا من المساكن المكتظة بسكانها. وكان على جانبيه مواضع معينة معروفة تحدثنا عن بعضها وسوف نتحدث هنا عن البعض الآخر، وكانت به فرجان لها ذكرها الماضي العطر بأهلها الطيبين وسلوكهم الكريم، ومحبتهم لوطنهم وأهل وطنهم، كما كانت الفرجان القديمة هكذا في مختلف نواحي العاصمة. وكانت في الشارع - أيضًا - البرايح التي يلتقي على جوانبها الناس، ويلعب في وسطها أبناء الفريج، والبرايح هي جمع براحة، وهي تطلق على الأرض الواسعة قليلاً بين البيوت لكي تكون متنفساً للناس. وفي اللغة الفصحى يذكر البراح على أنه هو المتسع من الأرض، واللفظ قريب من لفظ لهجتنا. وقد نلاحظ أن هذه البرايح تضم -أحياناً- دكاناً أو أكثر يبيع صاحبه فيه حاجة الناس من المأكولات وحلويات الأطفال.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٦م.

ولكي نحصل على صورة كاملة وواضحة عن ماضي هذا الشارع، وما كان عليه منذ فترة من الزمن، فإننا نحتاج إلى بحث ومتابعة حتى نصل إلى ما نريد، وهذا الذي نقدمه هنا هو بعض ما أعاننا الله على الوصول إليه.

☆☆☆☆

إذا أردنا أن نعرف - بالتحديد - متى أطلق اسم الشيخ عبدالله الأحمد الجابر على هذا الشارع فإننا سوف نجد في مراسلات دائرة بلدية الكويت ما يدلنا على ذلك، وإن كان من الصعوبة بمكان الحصول على قرار رسمي مؤرخ من هذه الدائرة يبين زمن إطلاق الاسم بالتحديد. ولكننا لاحظنا على بعض الخرائط ما يدل على شيء من ذلك، فهي تطلق عليه في اليوم الثامن من شهر يونيه لسنة ١٩٥٨م اسم: «امتداد شارع الحمد» وهذا الأخير هو المسمى اليوم: «شارع علي السالم»، وفي تاريخ لاحق صدرت رسالة من الدائرة المذكورة أطلقت على الشارع اسم: شارع عبدالله الأحمد، ضمن حديث عن موضوع يتعلق بعقارات بعينها موجودة في هذا الشارع، وكان تاريخ هذه الرسالة في اليوم الرابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م، كما وجدنا إشارة على خريطة صادرة في سنة ١٩٥٧م، كتب عليها اسم هذا الشارع هكذا: «شارع ١١٠ سابقاً».

هذا هو ما يتعلق بأمر التسمية، ولكن المعلومات عن الشارع وهي كثيرة تحتاج منا إلى طرح المزيد.

عندما كلفت حكومة الكويت في شهر إبريل لسنة ١٩٥١م المستشارين مينو بريو وسبنسلي وما كفرلين بإعداد أول مخطط هيكلي للبلاد، كانت الأهداف والغايات الرئيسية للمخطط واضحة في الأذهان، فالكويت من الناحية العمرانية كانت مقبلة على نشاط عمراني واقتصادي كبيرين وكان ذلك يقتضي تهيئة الأجواء للتطور المقبل. ولم يكن شارع عبدالله الأحمد ببعيد عن خيالات العاملين على إنجاز المخطط الهيكلي عندما تم تقديمه في سنة ١٩٥٢م.

ولقد مر موضوع تطوير هذا الشارع بطورين مهمين منذ ذلك التاريخ، فقد كان الطور الأول منصبًّا على البحث في إنجاز مشروع ثقافي مهم بحيث يكون ما حول الشارع شمالاً وجنوبًا معبرًا عن الأفكار التي كانت تجوس في أذهان المخططين آنذاك، ولم يكن الحديث منصبًّا على امتداد الشارع وحده بل إنه ليتسع في وسطه ليصل إلى شارع الخليج العربي شمالاً وإلى شارع أحمد الجابر جنوبًا، وقد برزت الآن بعض مظاهر الأهداف الثقافية عندما تمت المباشرة في إنشاء القرية التراثية التي ظهرت لها بعض المعالم على شارع الخليج العربي مرتدة إلى الجنوب بما يكاد يصل إلى نهر شارع عبدالله الأحمد.

هذه النبذة التي ذكرناها هنا قد سبق لنا بسطها بصورة أكثر توضيحًا في المقال الثاني المنشور في العدد الصادر في يوم الأربعاء الماضي. ولكن هذا الموجز لابد منه حتى ندخل إلى ما نهدف إليه في هذا المقال.

☆☆☆☆

صار واضحًا أننا نهدف هنا إلى ذكر أوضاع موقع الشارع قديمًا وسوف نستمر في سرد المعلومات المطلوبة عنه مما له تاريخ من الأماكن اعتبارًا من البداية الغربية إلى أن نصل إلى نهايته عند قصر دسمان.

وسوف تكون بدايتنا بموجب ذلك من عند أبرز التلال في مدينة الكويت وهو التل المسمى (تل بهيته)، وهو يتصاعد إلى الأعلى من الجهة الشمالية إلى الناحية الجنوبية حتى يصل إلى مرحلة الاستواء عند الموقع الذي فيه الآن سوق الأوراق المالية والبنك الكويتي التجاري. أما الطول شرقًا وغربًا فله امتداد واضح يكاد يلامس مبنى وزارة الصحة القديم ومسجد بن خميس ووزارة التخطيط شرقًا ويمتد غربًا حتى يلامس موقع المكتبة الوطنية (حديثة الإنشاء) وعلى جزء كبير من ظهر هذا التل بني مسجد الدولة كما سوف يتبين فيما بعد.

قام فريق كويتي بأعمال التنقيب عن الآثار في هذا التل في سنة ١٩٨٧م، ثم في سنة ١٩٩٤م، وجرى تكليف الفريق مرة ثالثة في موسم سنة ١٩٩٥ - ١٩٩٦م، وكان من أهداف ذلك البحث والتقصي عن نشأة مدينة الكويت، ودراسة ما يمكن العثور عليه من آثار. وقد صدرت عن هذه الأعمال عدة مطبوعات منها التقرير الذي كتبه الفريق الكويتي عن أعماله في موسمه الثالث ١٩٩٥-١٩٩٦م وهو بعنوان: «التقنيات الأثرية في تل بهيته - تنقيب ودراسة».

ومن الجلي لكل من يلاحظ المنطقة أنه يستطيع أن يلاحظ ارتفاع التل وامتداده على الرغم من أنه قد خضع للتجريف ومحاولة خفضه لكي تتسع الطرق ويعتدل مسارها.

المهم أنه تمّ على جزء كبير من هذا التل إنشاء مسجد الدولة وقد تحدثنا عنه فيما سبق باعتباره من المظاهر الموجودة على أرض الواقع في هذه الأيام. وعند النهاية التي ينتهي عندها المسجد كان مقر مسجد معروف جيدًا في ذلك الزمن هو مسجد مبارك وكان قد جرى تأسيسه في سنة ١٧٨٢م وهدم حاليًّا لينضم إلى ساحات المسجد الحديث الشرقية. وقد ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد مسجد مبارك وتحدث عن الاختلاف في من ينسب إليه بناء المسجد وقد ذكر عنه أمرين هما: أنه كان يطل على أرض واسعة تسمى «براحة مبارك» وأن به بئرا ذكر الرشيد عنها ما يلي: «يعتقد العامة أن ماءها يشفي من الأمراض إذا ما استحم به الإنسان، ولا ريب أنه اعتقاد باطل».

وفي الموقع الذي بني فيه «مسجد مبارك»، وذكرت فيه «براحة مبارك» فريج كبير هو فريج القناعات وهم مجموعة طيبة وكريمة من أبناء الكويت، منهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وهذه المجموعة مترابطة فيما بينها، وهي - أيضًا - مترابطة مع إخوانها من الكويتيين، وهذه هي سيرتهم حتى وقتنا الحاضر،

يجمعهم اليوم ديوان كبير في منطقة الشويخ السكنية يلتقون فيه ويفد إليهم دائمًا أصدقاؤهم من الأسر الأخرى. ويذكر تاريخ الكويت عددًا من أبناء هذه المجموعة ومنهم المرحوم عبدالعزيز العلي المطوع والمرحوم عبدالرزاق الصالح أما الآن فالأسماء البارزة منهم كثيرة تحدثنا يومًا عن أحدهم وهو المرحوم الأستاذ سليمان المطوع المحامي، كما لا يمكن أن ننسى الأستاذ محمد مساعد الصالح أو داود مساعد الصالح، أو الأخ الفاضل عبدالعزيز عبدالرزاق المطوع، أما الأستاذ فيصل الصالح وغيرهم كثيرون، أسهموا في أعمال كثيرة في البلاد.

ولسنا في حاجة إلى التأكيد على أن ما جرى على هذا الفريج هو نفسه الذي جرى على فرجان الكويت الأخرى فقد انتشر الناس خارج السور نتيجة للتنظيم الذي قامت به دائرة بلدية الكويت منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي، وبذا انطمست معالم الفرجان التي كانت معروفة وإن بقي أهلها يذكرون بعضهم ويتواصلون دائمًا مهما تباعدت مساكنهم الحالية.

وفي قديم الزمان استحدثت مدرسة أطلق عليها اسم: «المدرسة الوسطى للبنات وهي مدرسة ابتدائية، وذلك في موقع هو في بدايات ما صار يطلق عليه اسم شارع عبدالله الأحمد. وكانت قائمة في سنة ١٩٥٠م. ثم جرى هدمها فيما بعد عندما انتفت الحاجة إليها. وهي تضم عشرة فصول فيها ثلاثمائة وخمسون طالبة. وتعتبر ثالث مدرسة للبنات في الكويت آنذاك أولاها كانت: المدرسة القبلية.

تقع المدرسة الوسطى في الساحة التي هي الآن مواقف واسعة للسيارات أمام الحسينية الجديدة بعد المرور على مسجد الحمدان وبنك برقان والبنك الوطني، وقد وصفنا كل ذلك، والمدرسة الآن غير قائمة فقد تم الاستغناء عنها وعن مبناها وصار في مكانها موقف للسيارات.

ثم يأتي بعد المكتبة فريج الميدان وهو فريج كان عامرًا بالسكان قبل أن تقوم بلدية الكويت بإزالته، وابقاء اسمه على الدوار الأول من دوارات شارع عبدالله

الأحمد، وكما قلنا فإن هذا الميدان مخترق بشارع آخر يَتّجهُ من شارع أحمد الجابر جنوبيًا إلى شارع الخليج العربي شمالاً، وهو الشارع المسمى الآن: شارع أبي عبيدة.

وفي هذا الشارع أكثر من مسجد، وفي الطرف الشمالي منه يقع مركز الطنبورة المعروف قديمًا في الكويت والطنبورة آلة موسيقية بدائية، قيل إن منشأها كان في أفريقيا ثم امتد وجودها حتى وصل إلى الكويت. وهي تطلق أيضًا على الموضع الذي تعزف فيه الآلة وما يلحقها من طبول وهذا الموضع الذي نعنيه هنا وهو واقع في شارع الميدان على يسار شارع عبدالله الأحمد باتجاه البحر، وهذا المكان الذي درج عليه اسم «الطنبورة» يستقبل عددًا من هواة هذا الفن، وبخاصة ما يسمونه أغاني (الزار). علمًا بأن الطنبورة قديمة في الكويت تصل إلى ما قبل سنة ١٩٠٠م ثم طورت موسيقاها وغنى بعض الفنانين لحنها.

أما في آخر شارع الميدان (شارع أبي عبيدة) من ناحية البحر، فيقع مسجد ابن خميس، وهو مسجد كان يقع في وسط فريج ابن خميس القديم الذي سمي المسجد باسمه وقد جرى تأسيسه في سنة ١٧٧٢م، وقام بذلك محمد الجلاهمة.

وإذا عدنا إلى الجزء الجنوبي من هذا الشارع وجدنا فيه أحد المساجد القديمة وهو مسجد عبد الإله، وقد قام بتأسيسه عبدالله بن عبد الإله القناعي من ثلث محمد بن يوسف القناعي في سنة ١٩١٢م، وقد جددته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – آخر تجديد له – في سنة ٢٠٠١م.

وعلى يمين النازل في الطريق المؤدي إلى البحر، وقبل الوصول إلى مسجد ابن خميس كانت هناك مدرسة للبنات وعندما زالت الحاجة إليها بسبب انتقال الأهالي الذين كانوا يسكنون في الفريجين: الميدان وابن خميس تم تحويلها إلى مكاتب تخص إدارة التعليم الأهلي في ذلك الوقت وقد رصدنا أن آخر امتحان عام للمرحلة الابتدائية فيها كان في السنة الدراسية ٥١ – ١٩٥٢م. وقد انتقلت

منها إدارة التعليم الأهلي فيما بعد، فاستعملت وزارة الصحة هذا المبنى وجعلته مستشفى لذوي الأمراض المستعصية.

في سنة ١٩٥٨م أصدرت دائرة بلدية الكويت خارطة تمثل جزءاً من شارع عبدالله الأحمد يبدأ من شارع مبارك الكبير (كان اسمه في الخارطة: شارع الكهرباء) وتمتد من الغرب إلى الشرق حيث تنتهي عند دوار الميدان. وهذا الجزء يخترق إلى جانب ما مر بنا ذكره من الأماكن مساكن كثيرة ومراكز منها حفرة للسيل على اليمين إذا كان السائر سالكاً إلى الشرق، وهذه الحفرة هي إحدى الحفر الكثيرة المنتشرة في أنحاء البلاد لكي تمنع السيول من اقتحام المنازل، وإيذاء الناس، وقد كان سبب اللجوء إليها أن البلاد لم تكن تعرف في ذلك الوقت أهمية مجاري الأمطار (تحت الأرض) القائمة حالياً.

وتبين هذه الخارطة - أيضاً - الموقع القديم لحسينية معرفي، وهو يكاد يكون في موضع سوق الأوراق المالية الحالي إذ كان مكانها - آنذاك - قبل مبنى مسجد الحمدان، وبنك برقان، والبنك الوطني، أما الآن فهي واقعة بعد مبنى البنك الوطني (شرقًا) بشكل مباشر.

نحن الآن قد تجاوزنا مباشرة دوار الميدان في طريقنا إلى الشرق. وعلى اليمين حسينية معرفي الشرقية. التي ذكرناها فيما سبق. وأمامها المبنى الجديد لبنك الكويت المركزي وهو قيد الإنشاء، ومر بنا الحديث عنه. وعلى الجانبين بعد ذلك أرض خالية كانت في الماضي مساكن عامرة بالناس تمثل فريجين من فرجان الكويت هما فريج الزهاميل وفريج المطبّة.

ولم يبق من آثار هذين الفريجين إلا مسجد المطبة وهو مسجد شملان بن علي كما يطلق عليه اليوم.

وقد صدرت عن دائرة بلدية الكويت في اليوم الرابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م خارطة تمثل جزءاً من شارع عبدالله الأحمد، وهي تشمل المسافة من شارع خالد بن الوليد غربًا حتى دوار البركة (أبو دوارة حالياً) شرقاً.

ويتضح في هذه الخريطة خط الشارع الذي نتحدث عنه قبل أن يتم تنفيذه. وتبدو فيها المساكن المخترقة به، وهي مساكن صغيرة المساحة بشكل عام، ولذلك فهي كثيرة يصعب حصرها من نظرة واحدة على الخريطة التي بينا صفتها، وحتى الدوار الذي صار الآن واضحًا، وأطلق عليه اسم: دوار المطبة تخليداً لاسم الفريج القديم كان يضم عدداً كبيراً من تلك المساكن.

وكان الدوار قبل الأخير (شرقاً) وهو الكائن الآن أمام مبنى الهيئة العامة لشؤون القصر في سنة ١٩٥٧م يسمى: دوّار البركة. وكان سبب تسميته وجود بركة ماء إلى جواره كانت تمد السكان بالمياه العذبة، وهي واحدة من ضمن عدة برك من نوعها في العاصمة كانت تتولى تزويدها بالمياه، وترتيب أمر البيع فيها وصيانتها شركة ماء الكويت القديمة التي كانت تتولى إمداد الكويت بالمياه في ذلك الوقت.

وإلى جوار البركة موقف لسيارات التاكسي التي تنقل الركاب من وسط السوق إلى هذا المكان وتعيدهم في حركة مستمرة وكنا نطلق على الموقف اسم (السَّرَة) وهي كلمة انجليزية يقصد بها التسلسل، لأن السيارات كانت تقف وراء بعضها فيما يشبه السلسلة انتظاراً لدورها في التحرك لنقل الركاب.

وقد تغير الوضع حالياً وانتفت الحاجة إلى هذه (السّره).

☆☆☆☆

قبل أن ننتقل إلى ما بعد دوار البركة ينبغي أن نشير إلى أن اسم هذا الدوار حاليًا هو: أبو دوارة، وقد أطلقت عليه بلدية الكويت هذا الاسم باعتبار

أن المكان قبل إنشاء البركة يسمى بهذا الاسم، ومن المعروف أن (بو دوارة) في موقع البركة وما حولها. وذكر البعض غير ذلك، وأنا أطمئن إلى ما ذكره المرحوم الشاعر عبداللطيف الديين في الخريطة التي رسمها للعاصمة قبل وفاته بزمن طويل، وتكرم فأمدَّني بنسخة منها. وسوف يأتي بيان الموقع الذي أشار إليه في خريطته عندما تنتهي من أمر هذا الشارع الذي أوشكنا على الانتهاء من وصفه بحالته القديمة.

بعد هذا الدوار مباشرة ونحن في الطريق إلى دوار دسمان يأتي موقع سبق لنا أن تحدثنا عنه وهو الموقع الكائن على اليمين، وقد ذكرنا أن فيه عدداً من المساكن التي خصصت لسكن الأطباء، وبخاصة منهم من كان يعمل في المستشفى الأميري القريب من هذا الموقع. ثم صارت شاملة لكل من يتقرر له سكن منهم. وأذكر أن ممن كان مقيمًا في أحد هذه المساكن الدكتور محمد سعيد النجار الذي يعرفه أبناء الكويت الذين عاشوا في تلك الأيام لخدماته الجُلّى التي لا تُنسى. وقد أسعدني الحظ بزيارته مراراً في منزله هذا.

بعد ذلك ينثني الشارع يميناً إلى أن يصل إلى دوار دسمان وهو دوار - كما سبق أن ذكرنا - أنيق لطيف عامر بالأشجار والزهور يطل على بوابة قصر دسمان.

وفي خريطة الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين التي أشرنا إليها قبل قليل ينتهي الدوار بأرض خالية من المباني، وقد كتب عليها كاتبها ما يلي: «مطاين وآبار مياه تسمى أبو دوارة».

ونحن نلتمس العذر لمن قال عن هذا المورد المائي إنه بقرب دوار البركة فالموقع الذي جاء في الخريطة التي ذكرنا أنها من صنع الشاعر عبداللطيف الديين ليس ببعيد جداً عن الموقع الذي ذكروه،إن هي إلا بضعة أمتار يأتي بسببها الاشتباه.

وما دامت نهاية شارع عبدالله الأحمد تنحصر عند دوار قصر دسمان وأن هذا القصر يطل على هذا الموقع الواسع الذي يضم الدوار وما حوله من طرق واسعة كل منها يؤدي إلى شارع من شوارع العاصمة المهمة، فإنه لابد من أن نتحدث عن القصر، وذلك كما يلي:

قصر دسمان يقع في أرض واسعة تطل من الغرب على الدوار الموصوف هنا ومن الشرق على البحر، وفيه عدة مبان، وكان مقر إقامة الشيخ جابر الأحمد الجابر، ومن قبله كان سكنًا لوالده الشيخ أحمد الجابر الصباح (١٩٢١م - ١٩٥٠م) وكان في ماضي الأيام مقرًا للقاءات الرسمية، ومضافة يستقبل فيها الشيخ أحمد الجابر ضيوفه، ويجتمع مع من يأتي إليه في لقاءات سياسية وغيرها. بني هذا القصر الكبير الواسع الأرجاء في عهد والد الشيخ أحمد وهو الشيخ جابر المبارك الصباح (١٩١٥م - ١٩١٧م) ولكنه لم يكمله فقام الشيخ أحمد بالمهمة ثم أقام في القصر.

☆☆☆☆

تطل اليوم على شارع عبدالله الأحمد بعض المعالم القديمة منها المدرسة الشرقية التي تحولت اليوم إلى معرض للرسم وبجوارها مسجد ناهض، وهذا المسجد لايزال عاملًا منذ أسسه ناهض بن علي في سنة ١٩٠٠م، وكان المؤسس صادق النية في هذا العمل ولذلك فقد حرص على أن يشرف بنفسه على البناء.

يفضي دوار البركة إلى شارع جابر المبارك وهذا الشارع يمتد شمالًا وجنوبًا ففي الشمال البحر والمستشفى الأميري أما في الجنوب فإن أول ما نراه هو ميدان يسمى ميدان العاقول وكان هذا الموقع اسمًا لفريج من فرجان منطقة الشرق، وكان به عدد من السكان منهم الشاعر الشعبي فهد بورسلي الذي يقول:

أنـــا فــهــد مـــن هَــل الـعــاقــول

والــقــلــب ســاكــن فــريــج ثــانــي

وهذا البيت من قصيدة غنائية جميلة مطلعها:

شـقـول يـا أهـل الـهـوى شـقـول

هـــذا نـصـيـبـي مـــن الخِـــلاّن

والعاقول نوع من الأعشاب به شوك كثير جارح ولكن الجِمالَ تألفه وتقبل على أكله، وكان كثيرًا في هذا الموقع.

وفي آخر شارع عبدالله الأحمد إلى اليسار يأتي امتدادًا لشارع السور، وهو ينتهي إلى البحر وتطل منه مبان على دوار دسمان منها إلى اليمين مبنى كان ملكًا للشيخ عبدالله الجابر الصباح وقد استعملته دائرة معارف الكويت متحفًا قبل أن يُبنى متحف الكويت الحالي وكان هذا المبنى في الأصل ديوانًا للشيخ خزعل بن مرداو يقيم فيه عندما يأتي من بلاده (عربستان)، وعلى الشمال بيت كبير هو بيت الشيخ خزعل وقد صار في ملكية آل غانم فيما بعد. والمبنيان حاليًّا في حوزة الجهة المسؤولة عن ترميم المباني الأثرية، ونرجو أن تنجز مهمتها قريبًا.

☆☆☆☆

لقد طال بنا الحديث، ومع ذلك فمن غير المستبعد أن نكون قد أهملنا بعض المواقع التي كان ذكرها واجبًا علينا ولكن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بكل شيء، ونأمل أن يأتي الوقت الذي نستكمل فيه ما نقص، وذلك اعتمادا على من عنده معلومات يمدنا بها فتسُدُّ بابًا من أبواب النقص إن وجد في هذه المقالات الثلاث.

وسوف يلاحظ المتتبع لهذه المقالات تكرار ذكر بعض الأماكن، وهو الأمر الذي نشير إليه في كل حالة من حالات ذكرها، لأن طبيعة ما نتحدث عنه تحتاج إلى تكرار الذكر، ولأن البعض كان قائمًا قديمًا وهو موجود حاليًّا، والبعض الآخر جاء على أنقاض مبان كانت مهمة ولا بد لنا من ذكرها. وهكذا نجد أن التكرار مع وجود الأسباب ومع التنبيه إليه أمر لا يُخلّ بهذا العمل. وفقنا الله إلى الصواب.

****

ملحاق خير

قدمت مقال الأزمنة والأمكنة الجاري نشره في جريدة «الوطن» الغراء على ثلاثة أقسام، وكنت قد أشرت فيه الى أن من الأمور التي كانت بلدية الكويت تُزمع القيام بها هو تحويل جزء من هذا الذي يدور حوله المقال وهو شارع عبدالله الأحمد الى موضع يخدم المجالات الثقافية والفنية والترفيهية، وكنت ذكرت في أحد المقالات الثلاثة نقلاً عن كتاب: «بلدية الكويت بين الماضي والحاضر» الذي أصدرته هذه الدوائر في سنة ٢٠٠٩ أنه قد تم إنجاز ترسية مناقصة إنشاء المركز الترفيهي الثقافي والتعليمي ضمن مشروع شارع عبدالله الأحمد في اليوم الثامن عشر من شهر يناير لسنة ٢٠٠٦، وأن العمل جار على إبرام العقود الخاصة بذلك. وقد تأخر الأمر كثيراً، وظهرت بوادر كثيرة تدل على أن النظر قد صُرف كلياً عن المشروع لعدم البدء في توقيع العقد، ولأن الرأي الخاص بتحويل الشارع وما حوله إلى منطقة تجارية ذات وضع خاص هو الذي تغلب حتى كدنا نفقد الأمل في وجود مشروع حيوي مهم ينقل بلادنا الى مرحلة متقدمة من مراحل النمو الحضاري، ويجعل للناس مجالات يستريحون إليها عندما يريدون أن يقضوا أوقاتهم أو يتدبروا أمورهم. ولم أجزم في أي من الأقسام التي قدمتها للمقال بشيء حول هذا التوقف إلا أنني قدمت ما يوحي بالتخلف الشديد عن التنفيذ أو بما يكاد يكون قريباً من صرف النظر عن هذا الجزء من المشروع الكبير.

ولكن الأمور أبت أن تسير على ما كنا نظن أنا أو بلدية الكويت، أو أكثر من أشار الى المشروعات المتعلقة بشارع عبدالله الأحمد. وذلك أنه في يوم الأحد الموافق للسادس عشر من شهر سبتمبر لسنة ٢٠١٢، أطل علينا إعلان صحافي أشعرنا بعودة الحياة الى هذا الذي ظننّاه قد مُحي من الوجود بجرة قلم. كان ذلك متمثلاً في الإعلان الذي صدر في ذلك اليوم من الجهاز الفني لدراسة المشروعات التنموية وهو يحمل دعوة القادرين إلى إبداء الرغبة للاستثمار بمشروع المركز الثقافي والترفيهي والتعليمي بشارع عبدالله الأحمد.

وقد ذكر الإعلان وصف المشروع وموقعه، والشروط الواجب توافرها في المتقدم لإبداء رغبته في الاستثمار بهذا المشروع المهم. ولم يشر الإعلان من قريب أو بعيد الى ما سبق أن قامت به بلدية الكويت. وإذا كانت العودة الى إحياء هذا المركز عودة حميدة ومطلوبة فإننا نود أن تكون رغبة يتلوها التنفيذ فلا تتأثر بأية مؤثرات أخرى تدفع بها الى عالم النسيان كما حدث في الماضي.

وأنا مع شدة ترحيبي بهذا الإعلان (المفاجأة) فإنني أجد في طياته ما ينذر بإغفال المشروع من جديد، وذلك ما يشير إليه آخر سطر قرأته منه وهو: «يحتفظ الجهاز الفني بحقه في تعديل أو إلغاء الفرصة الاستثمارية موضوع هذا الإعلان دون بيان الأسباب ودون أدنى مسؤولية».

إذاً فإن هذا العمل يحمل معه شهادة وفاته، فالمعلن منذ الآن يقدم ما يدل على عدم الجدية في المضي بالمشروع، ويجعل من يريد الإسهام فيه من محبي انتهاز الفرص المفيدة متردداً لا يستطيع الإقدام في ذلك أمام هذا البند الغريب.

إضافة الى ذلك، فإن الناس جميعاً في حاجة الى معرفة مصير ذلك الذي أشارت إليه بلدية الكويت الذي ذكرنا ما جاء فيه عن مشروع مماثل جرت ترسيته.

فلا أحد يعلم إن كان قد ألغي رسمياً وما أسباب إلغائه، وإن كان لايزال قائماً فما الموقف مع الإعلان الجديد؟

كلمة أخيرة أود إطلاقها في الختام وهي الى أي جهة ينتسب «الجهاز الفني لدراسات المشروعات التنموية والمبادرات؟» إذ ليس في الإعلان ما يدل على ذلك عدا شعار الكويت مما طمأننا الى أن هذا الجهاز تابع للكويت وليس لدولة أخرى، أما إذا أردنا أن نبحث عنه في دولتنا فإن ذلك شبه مستحيل لأن الإعلان لا يفصح عن الجهة الرسمية التي ترعاه تحديداً.

ليتنا نجري أمورنا كلها بترتيب دقيق، وليتنا نبعد أنفسنا عن التردد والتخبط، وبخاصة في مشروعات ضخمة كهذا المشروع.

****

الكويت والصحافة العربية
(مجلة الهلال)[1]

هذا حديث قديم عن الصحافة، وهو حديث سوف يطول طويلاً لو تركنا المجال لاستكماله كما نريد، ولكننا سوف نهتم بما يعنينا ويعني القارئ لأننا في مقالنا هذا نهدف إلى هدف محدد سوف نبسطه هنا كان أبناء الكويت منذ القدم على صلة بالعالم، وكانوا يطلعون على ما يكتب بصورة دائمة.

ونبدأ بذكر ما قاله مسؤول بريطاني كبير زار الكويت في سنة ١٨٦٣م ولقي الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله (١٨٥٩-١٨٦٦م) وتحدث معه كثيراً، ثم لقي عدداً من أبناء الكويت وجلس في مجالس بعضهم وتحدث عن كل ما سمعه في تلك المجالس ذلك المسؤول الكبير هو لويس بيللي الذي كان مقيماً لبريطانيا في الخليج، وقد أتى إلى الكويت وهو في طريقه إلى زيارة نجد والتعرف على أخبارها.

وفيما يتعلق بلقاءاته في مجالس الناس في البلاد فإننا نذكر منه ما له دلالة على الاتصال الكويتي بالخارج في ذلك الوقت البعيد، فقد قال في أوراقه: «ولقد اندهشت عندما وجدت في الكويت أن لديهم معلومات عن السياسة الخارجية، كما أشادوا بسياستنا الكريمة تجاه تركيا، ولكنهم تساءلوا عن قصور سياستنا تجاه اليونان المسيحية، وكان في اعتقادهم أن تسعين مليون جنيه استرليني مبلغ كبير لاستعادة صديق غير ذي أهمية، ولو بصورة مؤقتة، وقد اعتبروا أن سياستنا تجاه

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٣م.

تجارة العبيد (إنسانية) أكثر من كونها ناجحة، وفضل هؤلاء الرجال أن تصرف أموالنا على تحسين أحوال الفقراء في بلادنا، حيث علموا بذلك من الجريدة التي تصلهم».

إذن فإن الكويت في سنة ١٨٦٣م كانت تستقبل الصحف الأجنبية ومنها هذه الجريدة التي أشار إليها لويس بيللي، وذكر أن الاطلاع عليها هو الذي زاد في معلومات الجالسين معه، وفتح أذهانهم على كثير من المعلومات الخارجية.

ولقد استمرت هذه الروح التي تتوق إلى المعرفة وإلى الدِّراية بأحوال العالم منذ ذلك الوقت وربما منذ وقت يسبق ذلك. فعاشت الكويت وهي قريبة من الأحداث وصار أهلها يعرفون ما يدور حولهم في أقطار الدنيا.

وكان تأسيس النادي الأدبي الكويتي في سنة ١٩٢٣م دافعاً قويّاً في مجال الاتصال الثقافي الخارجي، فقد حرص هذا النادي على امداد أعضائه بعدد كبير من الصحف التي تصدر في البلدان العربية، كما حرص عدد من أبناء الكويت المشتركين في صحف الخارج على امداد النادي بما يصلهم منها مما حرك الحياة الثقافية والاجتماعية التي كان للصحافة دور في انبعاثها إبان تلك الفترة.

وقد تحدث الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» عن الحركة الفكرية في البلاد عندما ألف كتابه هذا فقال: «في الكويت اليوم حركة فكرية ونهضة علمية وأدبية، يدير شؤونها أناس علموا بالحوادث التي مرت عليهم أن العصر عصر ارتقاء وتقدم، لا عصر جمود وتأخر، علموا بذلك فساروا بكل همة ونشاط، وبكل إقدام وجرأة، تتقدمهم الأحلام اللذيذة والآمال العذبة».

وقد بحث الرشيد أسباب هذه النهضة، وكيف تصدى أبناء الكويت لاغتنامها بما فيه مصلحتهم ومصلحة بلادهم فذكر أن من هذه الأسباب: الاطلاع على ما

يرد إلى البلاد من صحف مختلفة الأغراض والمصادر، وكانت تصل إليهم على الرغم من المشاق التي كانوا يعانونها في سبيل الحصول عليها، وكان اهتمامهم بالصحف في ذلك الوقت عظيمًا، وكان مما يدل على ذلك أبيات قالها الأستاذ أحمد البشر الرومي منها:

إن للصحُفِ بقلبي   منزلا أُعْلي محلّه

من أبرز المجلات التي كانت ترد إلى الكويت فيما مضى ولا يزال صدورها مستمرًا إلى اليوم مما يشكل معجزة في عالم الصحافة العربية: مجلة الهلال. وهي مجلة أنشأها في القاهرة جورجي زيدان في سنة ١٨٩٢م، وكانت تعلن عن نفسها في البداية بأنها مجلة مصرية شهرية علمية تاريخية أدبية. وقد استمرت على هذا المنوال، واستكتبت فيها عددًا من كبار الأدباء من مصر وغيرها من بلاد العرب، وحملت مشعل الثقافة طوال السنين التي مضت، أفادت القراء وتفتحت أذهانهم على ما فيها من معلومات فكانت منهلًا من مناهل الثقافة العذبة التي لم يعد لأبناء العرب الراغبين في تنمية ملكاتهم الأدبية أو إمكاناتهم الثقافية غنىً عنها.

وكانت مجلة الهلال تأتي إلى الكويت منذ زمن طويل، ففي مقال من المقالات الواردة في كتاب «بحوث مختارة من تاريخ الكويت» - القسم الثاني، وهو مطبوع بإشراف الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم من نشر مركز البحوث والدراسات الكويتية جاء ذكر المشتركين في الصحف العربية من القدماء، وجاء في المقال عن ذلك قوله: «ويؤكد اطلاع أبناء الكويت على ما يُنشر في الصحف والمجلات العربية في أوائل القرن العشرين ما تم العثور عليه من نسخ المجلات والصحف، وإيصالات الاشتراكات في دفاتر «آل الخالد»، ووثائق «آل الصقر» مما يدل على اطلاع واسع للكويتيين على الصحف والمجلات التي كانت تصدر في أوائل ذلك القرن» وقد ذكر

المقال أسماء تلك الصحف والمجلات التي ترد إلى الكويت وبخاصة إلى الأسرتين الكريمتين المذكورتين فكان من ذلك مجلة الهلال.

إذن فإن مجلة الهلال كانت منذ صدورها- موضع اهتمام أبناء الكويت، وكانت تقرأ بينهم على الدوام.

وأذكر جيداً أن الشيخ يوسف بن عيسى القناعي كان مشتركًا في مجلة الهلال منذ البداية، وكان يجمع أعدادها ويجلدها محتفظًا بها.

وعندما تأسست جمعية الإرشاد الإسلامي في سنة ١٩٥٢م تبرع بكل ما يملك من أعداد هذه المجلة لمكتبة الجمعية، فكانت مجموعة الهلال في تلك المكتبة درة مشعة، ومجال فائدة كبرى لكافة المطلعين.

لقد استفدنا- نحن أبناء الكويت- من اطلاعنا على أعداد مجلة الهلال قديمها وحديثها، وارتبطت أذهاننا بأسماء أولئك الكبار الذين كانوا يكتبون فيها، ومن هؤلاء قرأنا للدكتور طه حسين وللعقاد، والدكتور أحمد أمين، والدكتور أحمد زكي، وفكري أباظة، والدكتور محمد حسين هيكل، والشيخ عبدالعزيز البشري وطاهر الطناحي والدكتورة بنت الشاطئ، وغيرهم كثيرون. ولا نزال نستفيد من هذا المنهل علمًا وأدباً وثقافة، وآخر عدد اطلعت عليه هو الذي صدر في اليوم الأول من شهر سبتمبر لسنة ٢٠١٢م، وكان كعادته مليئًا بكل ما يفيد.

ومع الزمن تحولت مجلة الهلال إلى دار نشر كبرى تصدر مجلة «الهلال» و«المصور» و«روايات الهلال» و«كتاب الهلال» وسلسلة أطلقت الدار عليها اسم: «أدبيّات»، وغير ذلك.

كتبت مجلة المصور التي صدرت منذ أمد بعيد كثيراً من الموضوعات عن مصر وعن الوطن العربي ثم عن الكويت بصفة خاصة وكانت بعض مقالاتها عنا قديمة

إذ صدرت في الوقت الذي لم يكن أحد يعرف عن بلادنا إلا النزر القليل. فجاءت هذه المجلة لتنشر الكثير من المعلومات التي صورت الكويت بصورة لائقة.

في سنة ١٩٤٢م أصدرت «الهلال» كتابًا أطلقت عليه اسم «الكتاب الذهبي» وذلك بمناسبة مرور خمسين سنة على صدورها. وقد دلت هيئة هذا الكتاب على مكانة «الهلال» منذ الصفحات الأولى فقد بدأ بكلمات للملك فاروق، والأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق – آنذاك – وأمير الأردن الأمير عبدالله (الملك فيما بعد) والشيخ تاج الدين الحسيني رئيس الجمهورية السورية وكانوا يشيدون جميعًا بالهلال ودوره في نشر الثقافة العربية وتعميق أثرها في الوطن العربي بشكل عام. ثم قدمت معلومات كثيرة تاريخية وجغرافية وأدبية عن القطر المصري، وأردفت ذلك بفصل خاص عنوانه «الهلال ودار الهلال في خمسين عامًا» وقد استكتبت الدار لهذا الغرض الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد حسين هيكل وغيرهم، وكل هذه الكتابات تضم حديثًا عن مؤسس الهلال جورجي زيدان، وعن مجلة الهلال ودار الهلال. وفيها ثناء عطر على المجهود الذي بذل، والمسار الذي سلكه المؤسس حتى استطاع أن يقدم شيئًا نفخر به وتفخر به أمة العرب.

ولقد كان المؤسس جديراً بما كتب عنه من رثاء عندما وافاه أجله في سنة ١٩١٤م. ومن هؤلاء أمير الشعراء أحمد شوقي الذي قال:

رَثَيتُ قبلَكَ أحبابًا فُجِعتُ بهم
ورحتُ من فُرقة الأحباب يُرثى لي

أرحتَ بالك في دنيا بلا خلقٍ
أليس في الموت أقصى راحة البالِ

قد أكمل الله نيّاك «الهلال» لنا
فلا رأى الدهر نقصاً بعد إكمال

ورثاه مصطفى لطفي المنفلوطي، فقال: «لقد كان جورجي زيدان روحًا عالية تمنيناها فلما وجدناها نعمنا بها قليلًا، ثم فقدناها أحوج ما نكون إليها».

أما مجلة «الهلال» فقد حظيت بثناء كبار الأدباء والمفكرين منهم العملاق الكبير أحمد زكي باشا الذي كتب: «هلال السماء ينتقل من نقص إلى زيادة، ومن زيادة إلى نقص، وأما هلال «زيدان» فدائمًا في ازدياد».

وكتب الدكتور طه حسين: «كانت مجلة الهلال مثال الجد في العمل، والإخلاص للعلم، ثم أصبحت – إلى ذلك – مثال الفطنة لأذواق القراء، والنشاط لإرضائهم، وهي في كل حال أخف المجلات العربية ظلاً».

لقد قام جورجي زيدان بمشروع أحيا به الأدب والثقافة بصورة عامة، ظل يبني مؤسسة الهلال تدريجيًا منذ أن أنشأ مجلته في سنة ١٨٩٢م، وتدرج بها حتى صارت من أكبر المؤسسات الصحافية في الوطن العربي، إذ لم يكتف بمجلة الهلال فأصدر معها مجلات وسلاسل أدبية وكتبًا ألفها وروايات أبدعها وذلك ما سبق أن أشرنا إليه. ولم يبدأ عمله هذا من فراغ بل كان يؤسس لنفسه خبرة كبيرة استقاها من عدة أعمال قام بها قبل أن يصدر «الهلال» التي بدأ العمل بها وحيداً إلى أن جاء الوقت الذي دعاه إلى التوسع وجلب الأعوان إليه وكان أولهم شقيقاه.

نحن الآن في مجال التساؤل عن السبب الذي دفع بنا إلى كتابة هذا المقال ونشره. ونبدأ بالقول أنه ليس من الضروري أن يكون هناك سبب للحديث عن عمل ثقافي كبير قام به رجل عصامي أمضى حياته في بنائه تدريجيًا حتى صار صرحًا شامخًا محل اعتزاز مصر والعرب أجمعين، ولقد مضت السنوات على هذا المشروع وهو يزداد تألقًا، ونجاحًا.

ولكننا اليوم في حال آخر يستدعي الكتابة عنه، ويدفع بنا إلى التنويه به دفعًا يجعلنا في مجال المساندة والتأييد أملًا في إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ذلك أن جريدة القاهرة المصرية واسعة الانتشار التي تتميز بالمصداقية الحقة نشرت في يوم الثلاثاء العاشر من شهر سبتمبر الجاري لهذه السنة مقالاً مهمًا تناولت فيه أحوال «دار الهلال» وكان عنوان المقال لافتاً للنظر مشيراً إلى فاجعة يمكن أن تحدث للصحافة والثقافة في مصر، ويمكن أن تؤثر على جموع القراء في سائر البلاد العربية عندما يفقدون هذا المورد العذب من موارد ثقافتهم.

كان المقال جارحًا بمعنى الكلمة ومثيراً إلى أبعد الحدود وبخاصة لأولئك الذين عاشوا عمرهم وهم يستمدون من دار الهلال كثيراً مما يفيدهم ويفتح أذهانهم. ولقد كان ذلك بالنسبة لي مثيراً مثلما كان لغيري، فقد وقفت برهة أمام العنوانات التي تضمنتها الصفحة التي نشرت في «جريدة القاهرة». أسترجع التاريخ الصحافي لمؤسسة دار الهلال، وأتخيل الصفحات الكثيرة التي قرأتها من مجلاتها وكتبها والمعلومات التي تزودت بها على مدى عمري، ثم أخذت أردد في نفسي: «أهذا صحيح؟ أهذا صحيح؟.

بدأ مقال «القاهرة» ببدايات مثيرة، ذكر فيها أولًا أن الهلال هي ثاني أقدم دار صحافية في مصر وأن عمرها يصل إلى ١٣٠ عامًا. ثم يأتي العنوان الكبير المفاجئ، وهو: «هل تُغلق» «دار الهلال» أبوابها؟ وتوقف إصدار مجلاتها؟ وهو تساؤل مفاجئ ومذهل، وبخاصة وأنني خالي الذهن عن الخلفيات ولا أعرف ما تم بشأن هذه الدار العريقة في الفترة الأخيرة من زماننا. ولكي يوضح لنا كاتب المقال أهمية ما يحدث قدم لذلك بمقدمة تحدث فيها قليلًا عن تاريخ نشأة مجلة الهلال فقال: «دار الهلال تُعدُّ أقدم مؤسسة صحافية ثقافية مصرية وعربية بعد مؤسسة الأهرام، تأسست دار الهلال في سنة ١٨٩٢م على يد جورجي زيدان في مصر، بينما تُعدُّ مجلة الهلال التي تصدر عن الدار من أقدم المجلات العربية التي تعمل في مجال الثقافة، وقد صدر العدد الأول منها في سنة ١٨٩٢م بافتتاحية

كتبها جورجي زيدان أوضح فيها خطته، وغايته من إصدارها، وكان زيدان ينشر فيها كتبه على هيئة فصول متفرقة».

ولئن كان الكاتب قد أشار إلى أن مجلة الهلال من أقدم المجلات العربية فإنه كان ينبغي أن يضيف: «وأطولها عمراً» فهي لا تزال تصدر إلى يومنا هذا منذ أول يوم صدرت فيه.

وعندما ننطلق في قراءة مقال جريدة «القاهرة» فإننا سوف نرى لأول وهلة أن مشكلة دار الهلال هي مشكلة مالية في الدرجة الأولى، فقد جاء في الموضوع تصريح لأحد العاملين في دار الهلال وهو السيد عزت بدوي تناول المسألة المالية التي تعاني منها الدار، والديون المتراكمة على ميزانيتها فقال: «ديون المؤسسة ديون تاريخية، بدأت منذ بداية سبعينيات القرن الماضي، والمؤسسة بالكامل تحتاج إلى إعادة هيكلة مالية ومهنية وإدارية».

وجاء في حديث مسؤول آخر هو السيد أشرف غريب ما يلي: «وصل بنا الأمر أن المؤسسة لا تمتلك أقل القليل من السيولة لشراء بنزين للسيارات لنقل المطبوعات، أو حتى نقل العاملين ولم تعد لدينا مستلزمات طباعة».

ونقلت «القاهرة» عن السيد محمد الشافعي رئيس تحرير مجلة الهلال ما يدل على أنه طرح خطة لإنقاذ المؤسسات المتعثرة عن طريق إسقاط ديونها لبنكي «مصر» و«الاستثمار»، وكذلك الضرائب والفوائد على أصل الدين والتأمينات.

ثم بعد ذلك يأتي الحديث عن الكارثة الصحفية المالية التي حلّت بأعرق دار ثقافية وصحافية في الوطن العربي على امتداده، وذلك بقول الكاتب: «دار الهلال تلك المؤسسة العريقة تمر بمرحلة حرجة جداً في تاريخها، فلأول مرة منذ ١٢٠ عامًا هي عمر المؤسسة تتوقف إحدى أو بعض مطبوعات الدار عن

الصدور، في الأسبوعين الماضيين توقف صدور مجلتي «الكواكب» و«حواء»، وتأخر صدور مجلة «المصور» يوما واحداً عن موعد صدورها، وكذلك تأخر موعد صدور مجلة «الهلال».

هذه المأساة دفعت جريدة «القاهرة» إلى رحلة دار الهلال بما يشبه «تقصي الحقائق» وجرى اجتماع بين الصحافيين في هذه المؤسسة تم فيه نقاش كل ما يتعلق بالأزمة التي اتضحت أنها أزمة تصل إلى عدد من الصحف العريقة في مصر، ومنها «روز اليوسف» وحتى «القاهرة». وكان من أبرز ما دار في ذلك النقاش أن المجلة التي لقيت قبولاً منقطع النظير من مختلف القراء، حتى صارت من أكثر المجلات انتشاراً بعد خمس سنوات فقط من صدورها؛ كان يكتب فيها عمالقة الفكر والثقافة في مصر، ومختلف أنحاء الوطن العربي، وتولى رئاسة تحريرها عدد من كبار الأدباء، وتعددت إصداراتها من المجلات والكتب بكافة موضوعاتها وأنواعها. ولكنها بسبب الأزمة المالية التي تمر بها أصبحت على شفا الانهيار التام، ومما يدل على ذلك ما قاله أحد العاملين فيها يوم تم ذلك اللقاء: «لقد وصل بنا الأمر لأول مرة في تاريخ المؤسسة أن نقوم برفض طبع كتب وزارة التربية والتعليم التي كانت تُدر على الدار بما يتراوح ما بين عشرة ملايين إلى اثني عشر مليونًا كل سنة، ولم يكن ذلك إلا بسبب عدم وجود ورق للطبع ولم يكن بإمكاننا شراؤه من السوق».

وهكذا نرى أن مؤسسة دار الهلال تمر بأزمة حقيقية هي أزمة في الإدارة، وأزمة في نقص السيولة التي تستطيع بها السير في أعمالها ومن ثم المزيد من الإنتاج والتقدم فيه إلى الأفضل كما عودتنا. وقد أوضح المقال المنشور في «القاهرة» أن هذه الأزمة بدأت تتفاقم في مؤسسات صحافية وثقافية أخرى وهي محتاجة إلى جرعات مالية كما أنها محتاجة إلى رجال إدارة أكفاء يسيرون بها كما سار

الرجال الأوائل الذين قدموا لنا صفحة الهلال الناصعة ومختلف إنتاج دار الهلال. وليس لدي شك في أن مصر لا يمكن أن تتخلف عن إنقاذ هذا الصرح العظيم من صروح الثقافة التي عرفنا بها أرض الكنانة منذ كنا صغارًا، وسوف تتقدم القيادات المختصة إلى الإنقاذ لأننا لا يمكن أن نتصور دار الهلال وهي تتهاوى بعد السنين الطويلة التي أمضتها وهي متصلة بقرائها الذين يتمسكون بها حتى اليوم.

نحن لا ننسى دار الهلال بمجلتها الأساسية «الهلال» وبمجلاتها الأخرى التي صدرت بعد نشأة المؤسسة، كما أننا لا ننسى اهتمامها بالكتابة عن الكويت، منذ القديم والشاهد على ذلك صورة الشيخ عبدالله السالم الصباح التي وضعتها «القاهرة» مع هذا المقال، للدلالة – ربما – على اتساع اهتمام «الهلال»، واتساع توزيعها كذلك.

ونحن لا ننسى اعتماد الدكتور أحمد زكي على «الهلال» وهو أحد رجالها، حين استطاع أن يجلب لمجلة العربي وهو في مرحلة تأسيسها قسمًا كبيرًا من الارشيف الصحافي الذي اعتمدت عليه مجلتنا إلى أن استطاعت أن تكَوِّن لها أرشيفها الخاص. كما لا ننسى موافقتها على انتقال أحد رجالها وهو الكاتب الكبير والصحافي المتميز عبدالوارث كبير إلى مجلة العربي ليعمل فيها، وقد كان وجوده هنا مفيدًا وداعمًا لحركة مجلة العربي وهي في بداية نشأتها.

وفي مجال آخر من مجالات صلتنا بمجلة «الهلال» ما نراه في مجلة البعثة في شهر فبراير لسنة ١٩٤٧م عن زيارة قام بها رهط من طلاب البعثة الكويتية في القاهرة إلى دار الهلال. وكان بيت الكويت الذي يضم طلاب البعثات الكويتية حريصًا على اطلاع أبنائه على كافة المرافق في مصر لما في ذلك من فائدة لهم. وقد كتب الأستاذ جاسم مشاري الحسن مقالاً يصف فيه تلك الزيارة التي كان هو أحد أفرادها، وتحدث عن المبنى الضخم الذي كان جديدًا في ذلك الوقت،

وكلف مبلغًا طائلًا من المال بحساب تلك الأيام وطاف الطلاب بكافة أرجاء المبنى وشاهدوا جميع الأجهزة التحريرية والطباعية والتقط زميلهم الأستاذ أحمد العامر صورتين جميلتين لهذه الرحلة.

كان هذا المبنى الكبير من المباني التي كنت أمر بها يوميًّا وأنا في طريقي إلى كليتي «دار العلوم» إبان أيام الدراسة ولا يزال هذا المبنى شامخًا كما هو منذ تم بناؤه في سنة ١٩٤٦م، وكل ما نرجوه هو أن يستمر هذا الشموخ باستمرار صدور مجلاته التي هي موضوع فخرنا فقد تعلمت – شخصيًّا – منها، وأعطتني شحنة من الدراية بأمور الحياة، ومختلف أحوالها.

ومما ينبغي أن يذكر هنا إنه عندما زار أبناء الكويت دار الهلال في سنة ١٩٤٧م كما ذكرنا آنفا، ذكروا أن هذه الدار كانت تصدر في ذلك الوقت أربع مجلات هي الإثنين والمصور والهلال وإيماج وهي باللغة الفرنسية، ولكنها اليوم أكثر إنتاجًا فإلى جانب الهلال والمصور نجد: الكواكب، وحواء، وسمير، وطبيبك الخاص، وكتاب الهلال، وروايات الهلال، والشياطين الـ١٣، وكتاب الهلال للأولاد والبنات، وميكي جيب، وتوم وجيري. ونحن نلاحظ هنا أن مجلة المصور كانت من أقدم إصدارات دار الهلال بعد المجلة الأم فقد صدر العدد الأول منها في سنة ١٩٢٤م.

وبعد؛ فأنا لا أتمنى أن يأتي اليوم الذي تُطوى فيه صفحة دار الهلال، أو اليوم الذي يستحوذ فيه عليها أحد حتى ولو كان من دولة عربية شقيقة لمصر. فالهلال مؤسسة مصرية عاشت في خاطر كل مصري ونشأت أجيال كثيرة وهي تقرأ منشوراتها، وتتابع إصداراتها لا نريدها أن تخرج من يد مصر مهما كان الأمر، ولكننا نريد أن نقدم الدعم المادي الذي ينعشها في هذه الظروف دون أن يكون هذا الدعم مشروطًا أو يكون المال المقدم دينًا تزداد به ديون المؤسسة، لقد قدمت

«الهلال» الكثير لأمة العرب، وينبغي أن نقدم لها كل ما نستطيع أن نقدمه وهي في هذه الظروف.

وأملي الكبير في أن يتولى صاحب السمو الأمير تحقيق رجائي ورجاء مئات الآلاف من الذين قرأوا إصدارات الهلال الأحياء منهم والأموات، أولئك الذين ارتبط فكرهم بها منذ تأسست. فلتذكر أدباء الكويت الأوائل الذين كانوا يتبادلون أعداد الهلال فيما بينهم.

بعد أن تأتيهم متخطية العقبات والأمكنة والأزمنة، فلنكرم مجلة الرسالة وكافة المجلات الثقافية التي صدرت في مصر في زمن مضى حين نقوم بتكريم دار الهلال التي هي غالية على نفوس كافة القراء لما تصدره من زاد فكري ثمين، نحن في أمس الحاجة إلى أن يستمر لكي يقدم للأجيال ما تحتاج إليه على مر السنين.

أتقدم اليوم إلى صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله آملًا أن يلبي هذا النداء الذي لم أتقدم به إلى سموه إلا بسبب معرفتي بحرصه على المشاركة في مثل هذه الأمور الحيوية، فهو يفعلها دائمًا دون بهرجة ودون إعلام صارخ، وذلك أحفظ للكرامات، وأسرع في إيصال المطلوب إلى من نريد.

****

شاعر من مملكة البحرين: الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة[1]

نعلم جيداً ما بين الكويت والبحرين من صلات قوية في عدة مجالات، فمنذ فجر تاريخ بلادنا كنا نرى الأوائل من أهلنا والأوائل من أبناء البحرين على صلة قوية، تجمعهم المودة، ويقربهم التواصل المستمر، والأعمال المشتركة المسجلة في التاريخ.

ولقد استمرت هذه الروح الأخوية بين البلدين الشقيقين لم تفتر في يوم من الأيام، وكما وجدنا أن الصلة بين قيادة الكويت وقيادة البحرين قوية وثابتة على مدى السنين، فقد وجدنا الصلات الأهلية مستمرة وثابتة كذلك.

وفي سلسلة مقالات «الأزمنة والأمكنة» ألمحنا في مواضع عدة إلى أسماء أولئك الرجال الذين عاشوا فترة من حياتهم هناك، ولا يزال أبناء البحرين يذكرونهم بالخير، وممن ذكرناه على سبيل المثال السيد بدر محمد الساير والأستاذ صالح الشهاب.

وكما أن السياسة والتجارة كانت مجال صلات قوية وسبباً من أسباب شدة الترابط بين الكويت والبحرين، فقد كانت هناك صلات من نوع آخر وهي الصلات التي تربط رجال الفكر من أدباء وشعراء مع بعضهم، ولذا فقد كثر تبادل الزيارات بين هذه الفئة من المفكرين ونشرت صحف الكويت القديمة كثيراً من إنتاج أدباء

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٠ اكتوبر ٢٠١٢م.

البحرين وفي المقابل فإن صحف البحرين كانت تقوم بمثل ذلك فتنشر للأدباء الكويتيين ما يردها منهم.

ولقد كانت هذه الصلات الفكرية قديمة ومتأصلة وسوف نعرف كثيراً عنها فيما بعد ضمن هذا المقال.

ومما يدل على عمق الاتصال الثقافي بين دولة الكويت ومملكة البحرين؛ ما نجده في مجلة الكويت التي أصدرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في سنة ١٩٢٨م، عن علاقاته الخاصة بعدد من مثقفي ذلك البلد الشقيق، وعن الزيارات التي كان يقوم بها إلى هناك بناء على دعوات لحضور مناسبات عملية وثقافية، منها حضوره احتفال مدرسة الهداية الخليفية التي أقامتها هذه المدرسة لتمرين طلابها على الخطابة، وقد قام الرشيد - فعلًا - بإلقاء خطبة نشرها في مجلته نوه فيها بنهضة البحرين في كل مجال وبخاصة في المجال التربوي.

وقبلها نوهت مجلة الكويت بشاعر البحرين عبدالله بن علي آل زايد الذي قدمت له قصيدة ذكرت أنها من الأدب الحي في تلك الربوع، وكانت القصيدة في تكريم الشيخ محمد الشنقيطي. وأفاضت مجلة الكويت في ذكر مآثر الشاعر، وقدراته الفنية. وقد جرى الإعلان في هذا الموضع عن عزم عبدالله آل زايد على مواصلة الكتابة لمجلة الكويت، وقد كان هذا بمثابة بشرى زفتها «الكويت» لقرائها.

ولو أردنا أن نتتبع ما لحق ذلك من دلائل على الاتصال الثقافي الكويتي البحريني لوجدنا الكثير في مجلة البعثة ومجلة الرائد وغيرهما، وفي مجلات البحرين القديمة كذلك مما يدل على شدة التقارب بين أبناء البلدين الشقيقين.

من شعراء البحرين البارزين شاعر عذب الشعر متنوع الأغراض، حسن المعاني، رائع الأسلوب هو الشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، ولقد عرفناه

صاحب باع طويل في هذا المضمار، وله إنتاج غزير ألقاه في عدة مناسبات، ونشره في عدة صحف منها صحف كويتية.

فقد رأيناه ينشر في مجلتين هما الرائد التي نشر فيها أول قصيدة في شهر مايو لسنة ١٩٥٣م وكانت بعنوان «الحب القاهر» وهي قصيدة غزلية رقيقة وقد نشرت إلى جانبها صورته لابسًا البدلة الإفرنجية وهو يبدو في شرخ الشباب، وهو وإن كان فيها مطرقاً غارقاً في التفكير إلا أن نضارة الفتوة تبدو من صورته، قال في مطلع تلك القصيدة:

قابلتني عند روض ناضر
تتجلّى بالجمال الباهر
غَنّت الأكوان في مقدمها
غنوةَ الروحِ ولحن الخاطر

وفي شهر يونيو الذي تلا ذلك الشهر نشرت مجلة الرائد له قصيدة أخرى عنوانها «في أحضان الطبيعة» وهذه - أيضًا - قصيدة غزلية يتحدث فيها إلى فتاة أعجبته وسلبت لبه، وهو يغريها بوصفه للطبيعة فيقول:

نحن في موكب الربيع نُغنِّي
اغنيات الهوى ولحن التَّداني
نحن في عالم يموجُ من السحـ
ـر كأحلام شاعر نشوان
فتعالَي نحيا بدنيا من الأحـ
ـلام في هذه المروج الدواني

أما مجلة «البعثة» فقد نشر فيها قصيدتين مختلفتين من حيث موضوعهما عن الموضوع الذي أثاره في مجلة «الرائد» إذ وجدناه في شهر يناير لسنة ١٩٥٤م

ينشر قصيدته التي قالها في رثاء الملك عبدالعزيز آل سعود، وهي قصيدة طويلة عبر فيها عن الخسارة الكبيرة بفقد هذا الملك. وفي شهر أغسطس من السنة ذاتها ينشر قصيدة يحيي فيها جهاد مراكش وهي قصيدة حماسية طويلة ذكر فيها ما كان يدور في تلك البلاد من معارك أدت في النهاية إلى التحرير، وإلى قيام المملكة المغربية.

ولئن كان هذا الشاعر النابه الذكر معروفًا لدى القراء الكويتيين من قبل لمتابعتهم ما يُنشر في وطنه، فإن من لم يكن متابعًا له قد اطّلَعَ من خلال هاتين المجلتين على أربعة نماذج جيدة من شعره دفعته إلى الاستزادة منه، والرغبة في الاطلاع على كل جديد يقدمه في دنيا الشعر.

ولد الشاعر في وطنه البحرين في قرية تُسَمّى الجسرة سنة ١٩٢٩م، ثم انتقل في سنة ١٩٣٢م إلى قرية أخرى هي الزلاق وعاش فيها إلى سنة ١٩٥١م، ولها أثر في شعره إذ ذكرها في عدد من القصائد وأشار إلى كثير من شؤون حياته فيها، وقد انتقل بعد ذلك إلى القضيبية وكان عمره وقت انتقاله ثلاثًا وعشرين سنة.

بدأ في نظم الشعر في وقت مبكر من حياته متأثرًا بالشاعر البحريني الشهير إبراهيم العريض. وقد نشر أوائل قصائده اعتبارًا من سنة ١٩٥١م، وكان ذلك في مجلة المستمع العربي التي تصدر يومذاك في لندن، كما نشر في عدد آخر من المجلات البحرينية والعربية الأخرى.

ولئن كان مجيدًا في الشعر العربي تلك الإجادة التي عرفناها واطلعنا على نماذج لها فإنه - أيضًا - مجيد في الشعر النبطي، وقد أثبت وجوده في هذا المجال عندما فاز في المسابقة الأدبية للقصيدة النبطية التي أعلنها جلالة ملك البحرين عندما كان وليا للعهد، وذلك في اليوم السادس عشر من شهر ابريل لسنة ١٩٩٧م.

ينتمي الشاعر إلى أسرة آل خليفة الحاكمة في مملكة البحرين، نرى في شعره حب الوطن والإحساس بالعروبة، وله تأثر بعدد كبير من شعراء العرب منهم علي محمود طه، وعمر أبو ريشه، وقد تأثر بهما من حيث الأساليب بالعاطفة والتفاعل مع الأحداث.

ولقد قال عنه شاعر البحرين الكبير عبدالرحمن المعاودة:

يا عديلاً في الشعر للمتنبّي
لم أبالغ ولم يَفُتْني الصّوابُ
يا منى الدهر في القريض إذا
ما ذكر الشعرُ واحتواه كتاب

ولقد توفي الشيخ الشاعر أحمد بن محمد آل خليفة في اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس لسنة ٢٠٠٤م، بعد أن ترك ذخيرة شعرية ذات قيمة عالية، وترك قلوبا تُحبُّه، ونفوسًا متعلقة بشعره.

أنتج الشاعر عدة دواوين هي: «من أغاني البحرين» ١٩٥٥م، و«هجير وسراب» ١٩٦٢م، و«بقايا الغدران» ١٩٦٦م، و«القمر والنخيل» ١٩٨٠م، و«ماذا قالت البحرين للكويت» ١٩٩١م.

وله أيضاً ديوان: «غيوم في الصيف» ١٩٨٤م الذي طبع مرة أخرى في سنة ٢٠٠٢م، وديوان «عبير الوادي» ٢٠٠١م، وقد طبع ثانية في سنة ٢٠٠١م، وديوان «أنفاس الرياحين» المطبوع في سنة ٢٠٠٣م.

وأعد السيد إبراهيم محمد الحادي كتابًا سمّاه، «قدسيات الشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة. ضم فيه القصائد التي تحدث فيها الشاعر عن القدس والجهاد من أجلها.

أليس من الأفضل لنا أن نعود إلى ما قصدناه من نشر هذا المقال، وهو ذكر آثار الشاعر أحمد بن محمد آل خليفة المتعلقة بالكويت؟

بلى، فقد تحدثنا كثيرًا عن حياته وشعره وهذا هو أوان الحديث عن شعره المتعلق بالكويت. والواقع أنه أنجز شعرًا غزيرًا في هذا المجال منه ما هو خاص بالكويت، ومنه ما يتعلق بحكامها أو أهلها الذين ارتبط مع بعضهم بعلاقة حميمة.

بين يديّ الآن ديوانان من دواوينه العديدة هما «غيوم في الصيف» و«أنفاس الرياحين» وكلاهما يضم ما له علاقة بالكويت. وهذا - أولًا - هو ما جاء في الأول منهما:

فمما جاء فيه عن الكويت خاصة ما ورد في قصيدة «تحية الكويت» وهي مشاركة من الشاعر في أحد أعياد الكويت الوطنية، ومنها يقول:

أشارك في يوم التهاني والتقي
بمن عرفتْ بالجودِ منه الشمائلُ
أميرُ على عرش القلوب قد ارتقى
رعته من المجدِ العلا والفضائل
إذا أنا خبّرتُ القوافي لمدحهِ
فيا طالما أوحى بما أنا قائل
وأرضُ الكويت اليومَ مفخرةُ الورى
بلادٌ صفتْ للحب منها المناهل

ثم يختم القصيدة بقوله:

أجابرُ هذي نفثةُ من خواطري
هتفتُ بها والمجدُ للشعر شاغلُ
فَدُمْ في ذُرا الأمجاد قِرما مبجّلا
تحفُّكَ بالبيضِ الجنودُ البواسل

وفي يوم الخامس والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٨٧م شارك الكويت فرحتها بالعيد الوطني، فقدم تحية البحرين للكويت. ولهج بالفرحة التي عبر بها عن لسانه ولسان أبناء وطنه بهذا العيد وقال من ذلك:

عيدُ الكويت الذي يشدو الخليجُ بهِ
يا حبّذا نوره في الفجر إذ بانا
عيدٌ تغنّى له الأرواحُ قاطبةً
إذ جاء مثلَ نسيمِ الروضِ نَديانا
فالأرضُ نشوى بأعياد الكويت ومن
يستنشقُ الطيبَ منها صار نشوانا

وهذه قصيدة أخرى بعنوان «صرخة الشعر» قالها مبديًا محبته للكويت وأميرها، مؤكدًا وقوف مملكة البحرين إلى جانب شقيقتها الكويت:

نسيرُ كلانا إن دعوتَ إلى الوغى
ولا نرهبُ الهيجاءَ في الكرِّ والفرِّ
سنمشي على حدِّ السيوف كتائبًا
ولا خير في جارٍ عن الجار لا يدري
فكيف ونحن أخوة ودماؤنا
لهيب لظاها في مفاصلنا يجري
أجابرُ هذي من فؤاديَ صرخة
أفوه بها للناس في السرِّ والجهر

وكان اليوم الخامس والعشرون من شهر مايو لسنة ١٩٨٥م يوما كئيبًا عندنا في الكويت، فقد تم فيه الاعتداء الخسيس على أميرنا الراحل الشيخ جابر الأحمد

الجابر عندما كان في طريقه إلى قصر السيف وكان حدثًا ارْتجّتْ له البلاد، قامت به شرذمة من العملاء الذين كانوا يتلقون التوجيهات من خارج الكويت. وقد سلم الله الأمير من كيدهم وأنقذه من اعتدائهم. ولم يتأخر الشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة عن أن يعبر عن هذه المناسبة وأن يهنئ الأمير بالنجاة فكتب قصيدة عنوانها: «فرحة النجاة» بدأها بقوله:

سَلِمْتَ وحاقتْ بالطّغاةِ المكائدُ
فما فاز في الدنيا على الخلق حاقدُ
رعتكَ من الله المجيرِ عنايةٌ
تجيرُكَ مهما جارَ بالغدر حاسدُ

وفي ختامها يقول:

أيا جابرُ هذي التهاني ازفها
نشيدًا وما بالكفِّ إلا القصائدُ
وكيف توافيني القوافي وخاطري
كسير وسوق الشّعرِ بالشّرِ كاسد
ولكن من همي عليك ولهفتي
دنت لي الثريا بالمنى والفراقد

ولاشك في أن المسارعة إلى تقديم هذه القصيدة إلى الشيخ في ذلك اليوم الذي جلله الحادث بالسواد؛ دليل على محبته لهذا الوطن وأميره، وفزعه لما حل بنا في ذلك اليوم.

وننتقل هنا إلى الديوان الثاني وهو: «أنفاس الرياحين» على أن نعود إلى الأول بعد قليل، فإن الموضوعات التي سوف نوردها فيما بعد وهي متعلقة بالديوان الأول مختلفة قليلًا وإن كانت ذات علاقة قوية بالكويت وأهلها.

في ص٢٣ قصيدة عنوانها: «عيد الكويت الوطني» قالها في اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير لسنة ٢٠٠٠م ووجهها إلى سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر، يقول فيها:

بِعيدِ الكويت اليومَ يأتلق النصرُ
ومن مجدها في العرب يفتخر الدَّهرُ

وفيها إشادة بالكويت وبأميرها، ووصف لمآثرها وما طبع عليه أهلها من حب لوطنهم، وحب لأبناء الخليج كافة. كما أورد إشارة إلى موقف البحرين من الكويت في هذا اليوم المهم في حياة وطننا فقال:

وأصبحت البحرين من فرط حُبِّها
لكم تتغنّى كلما شاقها الذكْرُ

وفي آخر قصيدته:

فعيدُ الكويت اليومَ يُشرقُ نورهُ
علينا وبالأفراح ينشرح الصدرُ
فيا جابر نُهدي إليك تحيةً
وكم من فؤادٍ فاض من حبّهِ الشعرُ
عساك مع الأمجاد تحيا منعّما
بجنبك (سعد) مَنْ به يفخر الفخرُ

وكان قبل هذه القصيدة قد قال أخرى عصماء مطولة أعلنها يوم الغزو العراقي الغاشم للكويت. وتحدث فيها عن الظلم الذي نزل بالبلاد وبالناس، وأبعد عنها - إلى حين - رموز الشرعية فيها. ولكنه وهو يعلن الغضب على هذا الفعل المجرم. ويذكر ما فيه من مخالفة للأعراف العربية والدولية، وتعارض ما قام به

صدام العراق مع القانون الدولي الذي ترعاه الأمم المتحدة، إنه مع كل ذلك يرى أن ساعة الظلم قصيرة، وأن الاحتلال لن يدوم.

قالوا الكويتُ غزاها جارها سَحَراً
فقلتُ ليس بصدقٍ إنه كَذِبُ
حتى تأكّدَ صدقُ الهامسينَ بهِ
بعد الصباح فزال الشكُّ والرِّيَبُ
وأظلمت في عيوني الأرضُ من عملٍ
تكاد منه تخون الرّاجلَ الرُّكَبُ

ثم يأتي تحرير الكويت بعد سبعة أشهر من الاحتلال، فنرى الشاعر يعود إلى قصائده التي عودنا على أن يُنشِدها لنا في كل عيد وطني من أعيادنا ففي سنة ٢٠٠٠م قال:

قِفْ بالكويت وحيِّها في الساحلِ
هي مربضٌ لضراغمٍ وبواسلِ
حيِّ الشواطي والمنازل والرُّبا
أكرم بهم من فتيةٍ ومنازلِ

واستمر في قصيدته التي سماها «تحية الكويت» يصف الكويت وما فيها، ويشدو بربيعها الدائم، ثم يتحدث عن العيد الوطني وما يثير في النفس من اعتزاز، وما يذكرنا به هذا العيد من مجد الكويت التليد، وما تقوم به في الوقت الحاضر من جهود للتنمية في الداخل، ومن عطاء في الخارج سواء أكان هذا العطاء ماديًّا عمليًّا، أم كان معنويًّا بدعم المحتاجين والوقوف مع الحق، وتقوية النزعة العربية التي تنتمي إليها.

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير لسنة ٢٠٠٢م يقدم قصيدة جميلة للشيخ جابر الأحمد الجابر هي تهنئة بالعيد الوطني، وتهنئة بعودته سالمًا من رحلة العلاج التي كان في خارج الكويت من أجلها. وقد اعتبر خبر عودة الشيخ بشرى جاءه بها البشير ففاضت عليه المسرات وهو يرحب بالأمير الذي بعودته زادت الأفراح ويقول:

إن حبُّ (البحرين) ينبغ من شَو
قٍ عميقٍ تفيضُ منه الصدورُ
جابرُ المجدِ للخليج سراجٌ
يتجلّى، نِعم السراجُ المنيرُ

ولما كان دائباً على تقديم قصائد التهنئة بعيد الكويت الوطني لا يتأخر عن ذلك أبدًا فقد قال في آخر قصيدته هذه:

كلُّ عامٍ أهدي القريضَ بياناً
رقصَتْ منه في الطّروس السطورُ

ومصداق قوله هذا أنه قال قصيدة بمناسبة عيد الكويت الوطني الذي مضى في سنة ٢٠٠١م. وأهداها إلى الشيخ جابر الأحمد الجابر. وفي هذه القصيدة مشاعر جياشة تعبر عن حبه للكويت وأميرها فهو يعتبرها دار مجد ورفعة، وأن رجالها يحمون أسوارها دائمًا، وأن عيدها عيد للعرب قاطبة. ثم يتحدث عن أجواء الفرح بهذه المناسبة الوطنية، ويذكر الغبطة التي عادت بعودة هذا العيد. ثم يتحدث عن العلاقة الأخوية الراسخة بين الكويت والبحرين، وعن المودة التي تجمع بينهما منذ مئات السنين. ثم يدعو الله بدوام هذه المودة واستمرار هذه الصلة قائلًا:

لا فَرّقَ اللهُ شملاً ضمَّنا أبداً
حيث الوئامُ على الأخلاقِ محمودُ

أليس نحن وإياكم لنا نسبٌ
مِنْ ذروة المجد في الأحسابِ معدود

وكما أشرنا في ما مضى فإن هذا الشاعر لم يكتف في حديثه عن الكويت بتلك القصائد التي عرضناها هنا بل إن الكويت في ذهنه على الدوام يتذكرها ويتذكر زياراته لها كما يتذكر أصدقاء له فيها من الشعراء الذين عرفهم وعرفوه وارتبط معهم برابطة مودة متينة وذكرهم في شعره.

هو يذكر ذلك اللقاء الحميم الذي ضمه مع إحدى الحسان من زائرات الكويت في سنة ١٩٩٩م، ويقول في ذلك اللقاء قصيدة جميلة فيها رقة، وفيها تعبير عن حب ليس وراءه إلا الشجن، إذ ليس وراء اللقاء والنظر والحديث اللطيف بين الاثنين أمر آخر فهو يقول:

إذن منّي ولا تخافي فالسّـ
ـتينُ للعمر تقتلُ الإغراء
فأنا منكِ كالفراشةِ والنّا
ر حذارا ان تقربَ الاضواء

وهو في نهاية قصيدته يذكر لقاء آخر له بهذه الفاتنة في البحرين حيث احتفت روحه بها، وثارت في نفسه لواعج المحبة التي لا طائل وراءها. ثم يضيف:

وهنا في الكويت لما التقينا
في لقاءٍ به نرى الأدباءَ
الْتَقَى الشعرُ بالجمال وحسبي
منكِ وجهاً يزيد منّي العناءَ

هذا هو أقصى ما يريد منها، إنه لا يريد إلا اللقاء والنظر إلى الوجه الجميل حيث يلتقي الشعر بالجمال.

وهذا هو آخر ما وجدناه في ديوانه: «أنفاس الرياحين» مما ذكر فيه الكويت من شعر الجميل.

وإذا استأنفنا ما توقفنا عنده من قبل، وعدنا إلى ديوانه: «غيوم في الصيف» وجدناه يتحدث في أبيات فاخرة عن أديبنا المعروف عبدالرزاق البصير، فيقول:

تذكرت «المعرِّيَ» حيث كانت

بلاغتُهُ تشيرُ لها الدهورُ

لقد غَنَّت له الدنيا ولكن

أعاد زمانه فينا «البصير»

أديبٌ في الخليج له مقامُ

على العيوق تعرفهُ البدور

يرانا بالبصيرة من حجاهُ

ولم يبصرْ مرائيه البصير

مقيمٌ في الكويت ومن رُبَانا

له البحرينُ من عجبٍ تُشير

وتحت عنوان «عبرات» كتب قصيدة رثائية للأستاذ صالح شهاب الذي كان يرتبط بالبحرين برباط من المودة الخالصة، وعندما توفي فقدته الكويت كما فقدته البحرين والتقى البَلدان الشقيقان في حزن واحد. فيقول هذا الشاعر عن ذلك:

تحفُّ بقبركَ أنفاسُنَا

فما أنتَ من دارنا نازحُ

فأرواحنا حُوَّمٌ كالطيورِ

يُجنِّحها حُزنها الجامح

أتتك من واسعات البحا

رِ فضاق بها الأفق الواسع

يلاحظ قارئ ديوان الشاعر أحمد بن محمد آل خليفة «غيوم الصيف» أن له علاقة شعرية قوية بالشاعر الكويتي محمد الفايز إذ نجد بينهما في هذا الديوان قصائد متبادلة تدل على حميمية العلاقة بينهما.

ومحمد الفايز شاعر وكاتب ولد في الكويت سنة ١٩٣٨م ودرس في المدارس الأهلية (الكتاتيب) ثم أكب على قراءة الكتب، وبخاصة كتب التراث وحفظ كثيراً من شعر الشعراء العرب عند قراءته لدواوينهم، وكان معجباً بالشاعر المتبي ويعتبره مُعلمه الأول، ولذلك فإنه يحفظ كثيراً من شعره.

التحق بوزارة الإعلام وصار محرراً في مجلة «الكويت» التي تصدرها هذه الوزارة، ثم صار مراقبًا للنصوص التمثيلية في تلفزيون الكويت، ومراقبًا للنصوص في الإذاعة الكويتية وبعد ذلك تفرغ للبحث والقراءة والكتابة. وكان الشعر من أهم انتاجه في هذه الفترة. وقد اتجه إليه بعد أن أمضى فترة يكتب خلالها القصة القصيرة، ولكنه وجد ضالته في الشعر فاتجه إليه. وقد تقدم في هذا المضمار حتى حصل على شهادة الإبداع الشعري لنيله المركز الأول في مسابقة جائزة عبدالعزيز البابطين التي أقيمت في القاهرة.

وفي بداية ستينيات القرن الماضي أصدر عملًا مهما يعد من أفضل ما قدم حتى وفاته وهو ديوان «مذكرات بحار» وقد نال هذا الديوان شهرة كبيرة وأقبل عليه الناس وقدمته وزارة التربية في أوبريت على مسرح معاهد التربية الخاصة لحنه الأستاذ غنام الديكان وغناه الأستاذ شادي الخليج والفنانة سناء الخراز ولا يزال هذا العمل يذاع ويعشقه الناس منذ ذلك اليوم.

كما أصدر عدة دواوين منها: النور من الداخل، والطين والشمس وغيرهما.
وتوفي في القاهرة في شهر مارس لسنة ١٩٩١م.

نجد بداية الاتصالات الشعرية بين هذين الشاعرين في ديوان: «غيوم الصيف» ففي ص١٧٥ أهدى محمد الفايز تسعة أبيات للشاعر الشيخ أوردهما هذا الأخير في ديوانه المذكور أعلاه، وكان عنوان الأبيات التسعة هو: «تحية إلى البحرين» فقد اعتبر الشاعر الفايز تحيته للشيخ أحمد آل خليفة بمثابة تحية للبحرين كلها، ولذا فقد وصف مجالس أهل البحرين وما يجري فيها، وتذكر أيامًا له مضت عندما كان في شرخ الشباب وكان يستمتع بالبحر بصخوره ورماله، وتحدث للرمل قائلًا:

عبقُ الثرى بالعابرينَ كأنهم
طيبٌ يفوحُ وأنتَ بعد شَبَابُ
تُسقى به الأرواحُ في خلواتِها
ويشعُّ فيها كوكبٌ وشهاب

وفي ختام أبياته يقول:

أنَا راحلٌ وغدًا أعود إليكمْ
إنَّ المحبَّ حياتُهُ الأحبابُ

ولقد كانت هذه الأبيات وداعًا من محمد الفايز للشيخ ولمن التقى بهم في مملكة البحرين ولذلك رد الشاعر أحمد محمد آل خليفة، على الأبيات بما يناسب ذلك فقال:

أزفَ الرّحيلُ وآن ثمّ ذهابُ
فمتى لنا يوم يؤول إيابُ
إن رحتَ عنا فالقلوبُ جميعُها
تهفو إليك وتخشع الألباب

يا صاحبَ الخُلُقِ الرفيعِ تحيةً
منا تضوعُ بنفحِها الأطياب

ولقد كان الشاعر محمد الفايز كثير التردد على الشاعر آل خليفة، وكان يقيم في بستان له في قرية تسمى الجسرة، وكانت جلسات الصحب الذين يلتقون في هذا المكان ممتعة ومؤنسة، أما البستان فكان مليئًا بالأزهار المتفتحة الفواحة والأشجار التي تملؤها الفواكه وكانت الأطيار تحلق فيه وتطير من شجرة إلى أخرى مغردة مرددة أناشيدها. فكتب الفايز قصيدة يحن فيها إلى ذلك البستان وإلى تلك الجلسات التي تتم فيه. وقد رد عليه الشاعر أحمد محمد آل خليفة بأبيات فيها بعض العتاب لغيابه الطويل ومنها:

يا شاعرَ الحبِّ لا تنساكَ جسرتُنَا
فيها لصوتِكَ ترجيعٌ وإرنانُ
حتى الشحاريرُ عنك اليومَ تسالنا
هل صابَهُ عن ربا البحرين نسيان

ولقد استمر محمد الفايز بكتابة الشعر إلى صاحبه الشاعر فأرسل له قصيدة بعنوان «أشواق ومحبة» أولها:

لقاءٌ تقضّى واستحالَ بنا ذكرى
لأرضٍ وما أبهى وظلٌّ وما أذرى
وليلٌ عليه رونقٌ من نهارِهِ
نشاهدُ شمسًا في الدُّجى تبعث البُشرى

ويتذكر صاحبه بعد أن غادر البحرين:

أراكم بفكري حين أُطْبِقُ ناظري
على طيفِكم لما سرى طالما أسرى

وما أنَا إلا نورسٌ ظلّ هائمًا

حيال الضفافِ الزُّرقِ والقممِ الخضرا

وهو يعتذر عن مغادرته قائلًا:

أأحمدُ لولا صِبْيَةٌ قد تركتهم

ورائي إذا فارقتهم لم أجد عذرا

لكنتُ مقيمًا بينكم متقصيًا

بتلك النواحي الخضرِ عالمها الحرَا

وما إن تَسَلّم صاحبه هذه الأبيات حتى رد عليها مؤكداً أن طيف صديقه منذ غادره، وهو يطوف به يبعث الذكرى ويثير الوجد، ويقول إنه لا يزال يسمعه وهو يلقي شعره في ذلك المجلس المعتاد وكأنه لايزال مقيمًا بينهم:

خيالٌ نراه كلّ يوم وليلةٍ

يُؤنِسُنا ليلًا ويتركُنا فجرا

ويقول:

سلامٌ على أرض الكويت وأهلِها

ويا ليتني يومًا أجيء لها بحرا

لأُبْصِرَ هاتيكَ الشواطئ في الضحى

ورملاً إذا ما لاح تحسبه تِبرا

في الختام نراه يقول لصاحبه:

فَدُمْ بُلبلًا يُشجي الخمائلَ شَدْوُهُ

وتسجدُ أزهارُ الربيع له شكرا

في إحدى المرات أرسل محمد الفايز إلى صديقه الشيخ عدة أبيات يبثه فيها اشتياقه إليه، ويبلغه عدم صبره على فراقه، ويتحدث عن آل الخليفة ومناقبهم الكريمة ويمتدح الشيخ عيسى بن سلمان وأخاه الشيخ خليفة بن سلمان، والبحرين بصفة عامة والأبيات جميلة رقيقة:

أما أنا فكما علمت مشتت

لا استطيع سواكم أحبابا

وإذا ذكرتُكمُ أخالُ أضالعي

طارت لكمُ أو قد رَكِبتْ رِكابا

ومنها قوله:

إنْ قيلَ عيسى قلتُ شمسٌ ترتدي

رجلاً وكان ولا يزال شهابا

وخليفة قالوا فقلتُ مواهبٌ

وفضائلُ نتلو بهنَّ كتابا

وسرعان ما رد الشيخ الشاعر أحمد بن محمد آل خليفة على أبيات الشاعر محمد الفايز هذه. وكان رده معبّرًا عن إعجابه بالشعر، وبقائله، تفيض قصيدته حبًّا وإعجابًا ووصفًا يدل على ما في نفسه تجاه الشاعر الذي بادره بتلك الأبيات التي تحدثنا عنها آنفًا.

يقول الشيخ في رده:

كم في النّسيم لكم بعثت كتابا

وظللتُ أرقبُ للسؤال جوابا

وإذا العشيّاتُ اللطافُ تألقتْ

بالصَّخْبِ صار الذكرُ منكَ شرابا

ومضى في الحديث عن شعر الفايز، وتميزه ورقته وراح ينعته بالشهامة والإباء ويعتبر أن الدليل على ذلك أنه لا ينسى أصحابه مهما بعد به المقام وطالت فترة الغياب فهو يتذكر الأحباب، ويفي بحقهم عليه.

وتمنى أن يتمكن من الطيران إليه شوقًا ورغبة في لقائه، ويخبره أن الأصدقاء الذين يجتمعون في المجلس عنده يتذكرون الشاعر الفايز، ولا ينسون مكانه عندهم ولا شعره الذي يلقيه عليهم، ثم هو يشكره على امتداحه للأمير ورئيس الوزراء، ويرى أن هذه الإشادة جاءت في محلها، فهما يستحقان كل التقدير والمديح على أعمالهما، وحمايتهما للبحرين.

أما آخر قصيدة وردت في الديوان للشاعر محمد الفايز فهي مكونة من ثمانية أبيات وعنوانها «بركة البستان» وحول هذه البركة كانوا يتحلقون ويسمرون، ولها عندهم ذكريات لا ينساها واحد منهم، وهو في أبياته هذه يذكر البركة والبستان ويصفهما ويصف المجلس العامر بأولئك الرفاق ثم يتحدث عن الشيخ الذي هيأ هذا كله ومكنه من مجالسة هذا الصحب الطيب. وأخيرًا:

يا احمدَ المحمودِ في أفعالهِ
شكرا لكمْ ولفضلكم وتمامهِ

وأما الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة فإنه لم يرض بأن يرد على صاحبه بثمانية أبيات كما كان منتظرًا، بل رد عليه بقصيدة كاملة عدتها ستة وعشرون بيتًا مطلعها:

ذكر الأحبَّةَ فاكتوى بغرامهِ
صبٌّ بكى فجفاهُ طِيب منامهِ

ويقول عن محمد الفايز:

إنّا ادُّكرنا في النُّدامي شاعرًا
زُحَلُ إذا ما رامَ دون مرامه

هو في الكويت تخالهُ لكنّهُ
مِن عَبقَرٍ والجنُّ من خدامِهِ

ثم يتحدث عن الإعجاز في شعر صاحبه، ويقول إنه إذا أنشد فإنك تخال عذاري الشعر من حوله. أما النخيل فإنها شوقًا إليه تكاد تدنو لكي تعصر شهدها في كأسه.

وينهي القصيدة بالحديث عن الشعر ودوره في الحياة وأهمية العلوِّ به والسمو في معانيه. وأنه رأس الكبرياء فلا ينحني أبدًا. ولكنه - فيما يرى - قد صار إلى ما يشبه الذبول وتغيرت أحواله مما يقتضي الاهتمام به ورعاية أهله.

هذا هو ما نكتفي بقوله عن الشاعر الملهم الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة الذي أغنى ساحة الشعر بقصائده الجميلة، وأسعدنا بما أنجز من دواوين. وعبر في شعره عن محبته للكويت وتقديره لحكامها ولأهلها. وليس في الإمكان أن نقدم أكثر من هذا لأن شعره موضوع بحث طويل ومقارنات تأخذ وقتًا ومجالًا واسعين. ولكننا نجد أن فيما قدمناه الكفاية.

وإضافة إلى ذلك فإننا لو أردنا أن نتحدث عما كُتب عنه أو أرسل إليه من شعر ونثر، وما سطره الأدباء من تدبيج لشعره وثناء عليه فإننا سوف نحتاج إلى وقت طويل ومكان واسع لذا وجب الاكتفاء بما تقدم.

****

الكويت في أعداد مجلة الهلال القديمة[1]

تحدثنا قبل بضعة أسابيع عن مجلة الهلال، وتناولنا تاريخ نشأتها وتطورها من مجلة مفردة إلى دار صحفية كبرى ذات تاريخ طويل، وتنوع في الإنتاج الأمر الذي أكسبها سمعة طيبة بين كافة القراء في مصر وفي خارجها.

ولقد ذكرنا علاقة أبناء الكويت بالهلال، وبينًّا أنها كانت علاقة قديمة، ولما كان الوضع الحالي لهذه الدار ينذر بكارثة تودي بها فقد جاء المقال الذي أشرنا إليه ليوضح المكانة العالية التي تتربع عليها الهلال ومنتجاتها الصحفية الأخرى ولكي يحث من بيده الأمر على الاهتمام بها وصيانة ماضيها وقد توجهنا بالنداء إلى صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر أمير دولة الكويت آملين أن يقف مواقفه المحمودة مع هذه الدار التي ثبت أنها لم تنس الكويت في يوم من الأيام.

وقد تبيّن الآن أن اهتمامها بالكتابة عن الكويت قد بدأ في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٠١م حين نشرت في عددها الذي صدر في التاريخ المذكور بياناً عن الكويت تناولت فيه جغرافيتها ونظام الحكم فيها، ونظراً لبعد المسافات في ذلك الوقت وصعوبة الاتصال بل وانعدام وسائل ذلك الاتصال إلى حد ما فإننا لابد وأن نجد بعض الأخطاء البسيطة في الأعداد الأولى وبخاصة في مسألة الكويت والدولة العثمانية، ومشاكل الحدود ولكن هذه الأخطاء قد جاءها التصحيح بعد ذلك فقد صارت الهلال أكثر اهتماماً بموضوعات الكويت، وصارت ترسل عدداً من مندوبيها بين حين وآخر لكي ينقلوا الصورة الصحيحة عنا.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٧م.

بدأت نظرة الهلال إلى الكويت تتغير منذ أوائل خمسينيات القرن الماضي ففي اليوم الأول من شهر ديسمبر لسنة ١٩٥٢م نقلت مقالًا مترجمًا عن مجلة «ريدرز دايجست» ننشره هنا كاملاً لأنه من أوائل الموضوعات ذات الدلالة على الصدق في البحث ومتابعة الحقائق، وإن كان فيه ما لابد من الإشارة إليه مما هو موضع تحفظنا وسوف يرى القارئ ما نرمي إليه هنا بعد أن ننتهي من تقديم مقال المجلة الأمريكية المترجم الذي نشرته الهلال كما قلنا، وهذا هو نص المقال المذكور، وقد وضعت مجلة الهلال له عنوانين أعلاهما: أغنى رجل في العالم والأسفل هو: أمير الكويت، والمقصود في ذلك الوقت هو الشيخ عبدالله السالم الصباح (١٩٥٠ - ١٩٦٥م).

بدأ الحديث عن الشيخ بقوله:

«يقيم في منزل متواضع في بلدة صغيرة على شاطئ الخليج الفارسي على الرغم من أن دخله خلال عام ١٩٥٢م بلغ نحو خمسين مليوناً من الجنيهات، وهي ثروة لم يظفر بها أحد من أمراء الهند أو ملوك الصناعة في العالم في أكثر الأوقات رخاء وازدهاراً.

ذلك هو الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت التي يبلغ عدد سكانها ١٥٠ ألف نسمة.. وهو رجل قارب الستين من العمر، طويل القامة قوي البنية له شخصية جذابة قوية تبدو في عينيه الشفقة والطيبة، وصوته خافت هادئ ولكن فيه رنة القوة والسلطان.

إنه يحكم إقليماً صغيراً، ولكنه يكنز تحت رماله أكبر ثروة في مثل مساحته بجميع أنحاء العالم، فآبار بترول «برقان» التي تقع على بعد ٦٥ ميلًا جنوبي مدينة الكويت تقدر محتوياتها بما يتراوح بين ١٢ و١٥ ألف مليون برميل، أي ما يقرب من سدس مجموع كميات البترول التي يقدر وجودها في الآبار المعروفة في مختلف

أنحاء العالم، ويساوي هذا البترول – إذا قدر بالأسعار الحالية – ما يتراوح بين سبعة وثمانية آلاف مليون جنيه».

ثم تحدث المقال عن حالة الكويت فقال:

«ومنذ خمس سنوات فقط، كانت الكويت بلداً منسيّاً لا يسمع عنه أحد، وكان سكانها يقيمون في أكواخ صغيرة تتخللها طرقات ضيقة، ولم يكن بها من آبار الماء سوى عدد قليل، لذلك كان أهل الكويت يحضرون الماء بالسفن من مكان يبعد عنها بأكثر من مائة ميل وكانوا جميعًا – باستثناء قلة من تجار اللآلئ – يعيشون في فقر مدقع أعانت الأمراض والأوبئة على الفتك بهم».

وتحدث عن الأعمال النفطية في البلاد، فقال:

«وفي عام ١٩٣٤م حصلت شركتان أجنبيتان على ترخيص من أمير الكويت بالبحث عن البترول في بلاده، وفي سنة ١٩٣٨م، اكتشف البترول ولكن نشوب الحرب حال دون استغلال الآبار.

فلما استؤنف العمل في عام ١٩٤٧م، فاضت الآبار فجأة بكميات كبيرة لم يكن يتوقعها أحد، فبينما يبلغ متوسط بئر البترول في الولايات المتحدة ستة عشر برميلًا في اليوم، بلغ متوسط إنتاج بعض الآبار في الكويت أربعة آلاف برميل ومنها ما بلغ إنتاجه ستة عشر ألف برميل، وظهر أن البئر الذي يتكلف حفره ٨٨ ألف جنيه يغطي نفقات حفره في أسبوع، ثم يواصل إنتاج ما تعادل قيمته ٢,٥٠٠,٠٠٠ جنيه في العام، وقد كانت آبار «برقان» تنتج ٢٤٠ ألف برميل من الزيت في اليوم عام ١٩٤٩م، وفي العام الماضي بلغ الإنتاج ٦٥٠,٠٠٠ برميل في اليوم، ولا يزال هذا الإنتاج يتزايد.

وكان طبيعيًّا أن تحدث آبار البترول انقلابًا عظيما في الكويت، فقد استحال البلد الهادئ الساكن إلى كتلة من النشاط والصخب والضوضاء. وزخرت الصحراء القفراء بآلات الحفر وخزانات التعبئة وأصبحت المدينة تبدو في الليل كأنها في وضح النهار، وأنشئ على شاطئ الخليج أكبر ميناء في العالم لشحن البترول. وبُنيت مدن جديدة في الصحراء، تتخللها شوارع طويلة تصطف على جانبيها منازل أنيقة ذات طابق واحد لتتخذ مكاتب أو دور ضيافة ومستشفيات».

وفيما بعد ذلك تحدث كاتب المقال عن حالة الكويت بعد أن تدفق النفط وبدأت آثاره في البلاد فقال:

«وانفسح مجال العمل أمام الأهلين حتى أصبحت الوظائف بالآلاف. وكانوا في أول الأمر يقومون بالأعمال الصغيرة غير الفنية، ثم أنشئت المدارس لتدريبهم، وسرعان ما أصبح الكثيرون من أبناء الكويت مساعدي مهندسين وميكانيكيين ولحامين ونجارين وسائقي سيارات. وعهد كذلك إلى الوطنيين بإنشاء المباني والمؤسسات الجديدة، فظهرت طبقة من المقاولين ذات ثراء عريض. وظهرت أسواق جديدة في الكويت امتلأت بالسلع الفاخرة من أثاث حديث وآلات كهربائية للغسل وثلاجات وأجهزة للراديو. إذ هاجر إلى البلاد تجار أجانب أغرقوها بكل شيء».

ثم ذكر المقال أنه في هذه الفترة التي انقلبت فيها حال البلاد إلى الأفضل توفي في سنة ١٩٥٠م الشيخ أحمد الجابر الصباح، فخلفه ابن عمه الشيخ عبدالله السالم الصباح، ويقول المقال عن هذا الشيخ: «هو رجل مثقف طموح جم التواضع. ولم يعمد بعد توليه الحكم إلى البذخ والإسراف، ولا غَيّر مسلكه في الحياة بما يناسب الثروة العظيمة التي آلت إليه بوصفه أمير البلاد، بل بقي كما كان من قبل، يعيش في نفس المسكن المتواضع الذي كان يقيم فيه، أما القصر فلا يذهب إليه إلا حين يؤدي أعمال الدولة».

ثم جاء دور الحديث عن أعمال التنمية، وبدأها الكاتب بالمشكلة الأساسية وهي مشكلة المياه، والنهوض بالعمل التربوي والصحي فقال: «وقد بدأت مشكلة الماء تحل.. إذ أقامت شركات استغلال البترول آلات لتقطير ماء البحر تنتج نحو ٦٠٠ ألف جالون في اليوم. وبدأ الأمير في إنشاء مجموعات من آلات أخرى سوف تنتج ١,٢٠٠,٠٠٠ جالون يوميًّا. كما بنى مستشفى فسيحًا زوده بأحدث الآلات والعقاقير، وأنشأ مصحة كبيرة للدرن.

وكانت مدارس الكويت لا تتجاوز أربع مدارس ابتدائية عدد تلاميذها ستمائة، فبنى الأمير عشرين مدرسة جديدة تتسع لثمانية آلاف طالب، وأنشأ مدرسة ثانوية تشبه جامعة صغيرة بها معامل فسيحة ومكتبة وملعب كبير وجناح للنوم.

وقد استعان الأمير بعدد من الخبراء الإنجليز والأمريكيين، في تحسين مرافق بلده وإنشاء مدن جديدة صحية، وتنظيم شؤونها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وهو يقضي كل وقته في تدبير شؤون الدولة مع معاونيه وخبرائه، والإشراف على الأعمال الإنشائية بنفسه».

أما الدخل القومي من النفط ومجالات صرفه، والمقارنة بين الكويت وغيرها من الدول النفطية فقد جاء الحديث عن كل ذلك في ختام المقال حيث قال:

«وقد قفز الدخل السنوي فجأة من عشرة ملايين من الجنيهات في عام ١٩٥١م إلى خمسين مليونًا من الجنيهات في عام ١٩٥٢م. وإذا كان جانب كبير من العشرة ملايين لا يزال مكدّسًا في البنوك، فكيف تنفع خمسون مليونًا من الجنيهات؟

إن بترول الشرق الأوسط الذي يقدر بنحو ٣٥ ألف مليون برميل ثروة كامنة تكفي لاستصلاح أراضيه وللتوسع في الصناعة وإنشاء المدارس والمستشفيات.

ولكن المشكلة في أن البترول يوجد في الدولة قليلة السكان: الكويت وشبه جزيرة العرب والعراق وإيران. ولا يوجد منه إلا القليل – أو لا شيء إطلاقًا – في الدول المكتظة بالسكان: مصر وسورية ولبنان والأردن وتركيا.

وقد اقترح أن يقوم أمير الكويت بتخصيص جانب كبير من دخله الكبير لإقراضه للدول العربية التي يعوزها المال لتمويل مشروعاتها الحيوية بقصد زيادة العمران ورفع مستوى المعيشة فيها، وكذلك ينبغي أن تفعل المملكة العربية السعودية والعراق والشركات التي تقوم باستغلال البترول فيهما، فمن صالح الجميع ضمان الاستقرار في الشرق ولا سبيل للاستقرار إذا لم تشن حرب شعواء على الفقر والجهل والمرض في ربوعه.

إن تنفيذ هذا الاقتراح يتطلب حكمة وسعة أفق، ولعل أمير الكويت – وهو أغنى رجل في العالم الآن – يثبت أنه من أحكم الناس أيضاً وأبعدهم نظراً.

يلم المقال إلمامًا وافيًا بحالة الكويت في سنة ١٩٥٢م وما قبلها بقليل، وهي فترة مهمة في تاريخها، إلا أن من الملاحظ أنه قال عن السكان أنهم كانوا يقيمون في أكواخ صغيرة، وهذا غير صحيح على إطلاقه، أما ما قامت به الكويت من إنشاء صندوق التنمية العربية وإطلاق يدها بالصرف على الدول المحتاجة فقد اعتبره الكاتب اقتراحًا ورد من الخارج، وهذا أمر غير صحيح، فقد كان مشروع هذا الصندوق فكرة كويتية خالصة سبقت بها كثيرًا من الدول المنتجة للنفط، وقد أدير هذا العمل بحكمة وبعد نظر شديدين، وهذه هي الأعمال التي قام بها الصندوق المذكور في مختلف أنحاء العالم وكلها تدل على ما تبذله الكويت في هذا المجال.

☆☆☆☆

وفي اليوم الأول من شهر يناير لسنة ١٩٥٤م نشرت الهلال مقالاً بعنوان «أقصوصة واقعية، رؤيا أسعدت شعبًا»، وهذه الرؤية رآها وكتبها القنصل البريطاني

السابق في الكويت عندما كان يعمل بعد تفرغه من عمله السابق لدى شركة نفط الكويت. وقد ذكر أن ما رآه كان في منطقة بحرة في شمال غربي البلاد وذلك في النصف الأخير من شهر سبتمبر لسنة ١٩٣٧م. وكان البحث في حقل بحرة متعثراً، فتأخر العثور على النفط في تلك الأنحاء. روى هارولد ديكسون حكاية ما رآه في كتابه «عرب الصحراء»، ونشرتها الهلال باختصار شديد حتى لقد فاتها أن تذكر بعض التفصيلات.

هذا وقد سبق لنا أن نشرنا بياناً كاملاً عن هذا المنام الذي تحققت بموجب رواية ديكسون، وكان ذلك في مقال من مقالات «الأزمنة والأمكنة» عنوانه: موعد في برقان.

ولقد كانت نتيجة ذلك كما رأينا اكتشاف حقل برقان المشهور عالميّاً تحت شجرة أشار إليها الحلم.

يقول ديكسون: «كان تأثير أم مبارك (مفسرة الحلم) عليَّ كبيراً مما جعلني أنطلق فوراً لكي أخبر المدير العام (مستر سكوت)، ومدير الحفر (مستر راكيسترو) وهما في بحرة وقد حضر معهما شاهدان. وفي اليوم التالي أخبرت صاحب السمو الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت».

ونتيجة لذلك تم الحفر في الموقع الجديد وظهر النفط فيه فأسعد الكويت وشعبها.

☆☆☆☆

واستعرضت الهلال في اليوم الأول من شهر يونيو لسنة ١٩٧٣م موضوعاً مختلفاً عنوانه «معارك أدبية» وكانت بذلك تشير إلى ما حدث في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في مدينة تونس خلال شهر مارس لسنة ١٩٧٣م. وكان الوفد

اللبناني قد انسحب من الاجتماعات لأسباب بينها الأستاذ الشاعر أحمد السقاف حين علّق على ما حدث، وكان رئيس الوفد اللبناني قد زعم أن وفود مصر والكويت والسعودية قد رفضت اقتراح الوفد اللبناني بإثارة قضية حرية الأدباء المضطهدين في بعض البلدان العربية وفق ما جاء في جريدة النهار اللبنانية التي نشرت هذا الخبر. وقد كان من تعليق الأستاذ السقاف قوله: «إن وفد رابطة الأدباء الكويتيين ليس وفداً رسميّاً، وسهيل إدريس رئيس وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين يعرف ذلك حق المعرفة، واذا كان رئيس وفد رابطة أدباء الكويت لم يتزلق في المنحدر الذي تم إعداده سلفاً للتشهير بجمهورية مصر العربية، ولنسف المؤتمر بعد ذلك شأنه شأن رؤساء الوفود الأخرى، فما الجريمة التي اقترفها لتُكال له التهم الظالمة، ولقد كان رئيس الوفد ومازال ممن يرفضون بيع مواقفه في المزاد العلني فليفهم سهيل إدريس ذلك جيداً».

كان ذلك ضمن بيان شامل كتبه أستاذنا السقاف ليرد على ما حدث، وليعبر عن وجهة نظر الوفد الكويتي، وقد قامت مجلة الهلال بنشر كامل البيان لما له من أهمية.

☆☆☆☆

في اليوم الأول من شهر سبتمبر لسنة ١٩٨٢م نشرت الهلال مقالاً عنوانه: «الكويت وعواصم الخليج العربي» كتبه الأستاذ عاطف مصطفى، وكما يبدو لنا للوهلة الأولى فإن المقال يتناول الحديث عن الكويت حديثًا مسهباً تشوبه بعض الأخطاء التاريخية التي لا نلوم كاتبه على ارتكابها لعدم توافر المراجع الكافية لديه، ولذا فاننا سوف نقدم هنا ما كتبه عن الكويت دون أن نذكر الموضوعات التي لنا اعتراض عليها ومن ذلك قول الكاتب:

«ويطلق اسم الكويت على الدولة كلها، وعلى عاصمتها التي تقع على الضفة الجنوبية وحول العاصمة تقع قرى صغيرة بعضها أقدم نشأة من المدينة ذاتها.

وقد كانت مدينة الكويت مسورة بسور من طين له خمسة أبواب يحيط بها من ثلاث جهات، ويقابلها البحر من الجهة الرابعة، وقد بني السور سنة ١٩٢٠ وتطوع ببنائه أهل الكويت جميعاً، ومعدل ارتفاعه نحو أربعة أمتار، وله سبعة أبراج كبيرة وستة وعشرون برجًا صغيرًا، وقد هدم السور سنة ١٩٥٧ بسبب ازدياد العمران وإنشاء مناطق سكنية طبق التخطيطات الحديثة، ولم يبق من السور في الوقت الحاضر سوى ثلاثة أبواب فقط.

وخليج الكويت الصغير يعد من أحسن الموانى الطبيعية في المنطقة ويصلح لرسو البواخر في أكثر جهاته وقد تم تعميق جزء منه لكي تستطيع السفن الكبيرة الرسو على الساحل في ميناء الشويخ الجديد.

والكويت مدينة تجارية عظيمة تأتيها البواخر والطائرات والسيارات من جميع أنحاء العالم، وهي تشبه أخواتها من المدن العربية التجارية كصيدا وقرطاجنة والرقيم وتدمر ومكة في تاريخها القديم، وبيروت والعقبة وطنجة وعدن ودبي ومسقط في تاريخنا الحديث.

ولقد عرف أهلها العالم واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ، فأثروا قبل ظهور البترول في أرضهم، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وفي ١٩١٧ اكتشف البترول ثم قامت الحرب العالمية الثانية فبقي هذا السائل مطمورًا حتى عام ١٩٤٦م حيث بدأ يتدفق من آبار في أنابيب ضخمة إلى مخازنه القريبة من البحر.

لقد تغيرت مدينة الكويت تمامًا عما كانت عليه في الخمسينيات، والحقيقة أن التغير الذي يحدث في الكويت تغير سريع يحدث كل عام، بل كل شهر، فقد تحطم السور العتيق وخرجت المدينة إلى الصحراء الواسعة المترامية الأطراف، فملأتها بالحياة، وملأتها بالعمران.

إن الكويت الآن مدينة تجدد شبابها دائمًا في كل شيء.. في شوارعها الفسيحة التي تتخللها الأشجار الخضراء وفي مرافقها العامة في مباني الحكومة ودواوين الوزارات التي أصبحت تشغل المباني الحديثة الضخمة التي شيدت على أحدث ما عرف من فنون هندسة العمران، لقد اختفت المباني القديمة وزالت الحواري الضيقة، وأصبح الكورنيش العظيم يلف المدينة من جهة الخليج.

إن مدينة الكويت الآن مدينة كبيرة ضخمة، فإلى جانب الأبنية الشاهقة للوزارات والسفارات، فيها فنادق من الدرجة الأولى على مستوى عالمي، وفيها جامعة بنيت على أحدث طراز وفيها عدد كبير من المدارس الثانوية والابتدائية ورياض الأطفال ودور الحضانة والمعاهد الخاصة المتنوعة، فيها سينمات ومسارح وأندية وجمعيات ولا تكاد تخلو مدرسة من قاعة للمحاضرات وقاعات للمسرح والسينما.. فيها مستشفيات وتأميم للعلاج.. وفيها إلى جانب المتاجر الكبيرة مطار مشيد على أحدث طراز.

ومن أبرز معالم مدينة الكويت الأبراج الثلاثة الضخمة لتوصيل المياه العذبة إلى المنازل كما يستفاد به كمرفق سياحي كبرج بيزا المائل وبرج القاهرة وغيرهما من الأبراج العالمية».

☆☆☆☆

وفي اليوم الأول من شهر فبراير لسنة ١٩٨٢م، كتب الأستاذ مختار العطار مقالاً تحت عنوان: «نافذة على الفنون التشكيلية في الكويت». وقد تحدث الكاتب كثيرًا عن اهتمام الكويت بهذه الفنون من حيث تهيئة الظروف الملائمة لإنتاج الفنانين بما في ذلك إقامة المعارض ودور العرض، حتى لقد قال الكاتب إن قاعات المعارض التشكيلية الكويتية ظاهرة نادرة في البلاد العربية. ثم تحدث عن الفرص التي تتاح بين وقت وآخر للفنانين التشكيليين من أجل إبداء إبداعاتهم والمشاركة

في كل مناسبة يقام فيها معرض للفن التشكيلي. وقد أشار إلى أن عدد الفنانين التشكيليين كثير بالنسبة لعدد سكان الكويت وقد قال في هذا الخصوص:

«لذلك، فبالرغم من قلة تعداد السكان الأصليين في الكويت، شارك في المعرض العام السنوي الأخير خمسون فنانًا وفنانة، في مجالات الإبداع التشكيلي من تصوير ونحت وحفر. وتنظم هذا المعرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية التي يرأسها فنانهم المعروف أمير عبد الرضا، وهو مصور درس في كلية التربية الفنية بالقاهرة، ويعتبر ناقدًا أيضًا، إذ إنه يقدم برنامجًا تليفزيونيًا أسبوعيًّا ويكتب في الصحف بين حين وآخر.

كما أن المرسم الحر، يقيم معرضًا سنويًّا للفنانين المتفرغين الذين يزيدون على العشرة بينهم شيخ فناني الكويت، خليفة القطان (٤٧ سنة)، وهو فطري الطابع وصاحب أول معرض في الكويت، قبل أن ينفجر بترولها سنة ١٩٤٦م وتتبوأ مكانتها الاقتصادية المرموقة».

وأشار في نهاية حديثه إلى أن قلة نادرة من الفنانين يمكن وصفها بالاحتراف، فليس منهم من هو متفرغ تفرغًا تامًّا للفن إلا العدد القليل لأن بعضهم مرتبط بأعمال أخرى وبخاصة بعض الوظائف المرتبطة بالفنون التشكيلية كالتدريس والعمل في جهاز التلفزيون وغير ذلك.

ولم يكتف الأستاذ مختار العطار بذلك فتحدث عن فن النحت، وأشار إلى الفنان سامي محمد وهو من النحاتين البارزين في الكويت، وله مشاركات كثيرة في معارض مختلفة وقد ذكر الكاتب أن فناننا هذا كان يعبر في إبداعه المصبوب بالبرونز عن أزمة الإنسان في العصر الحديث. وتحدث عن حركة النقد وأثرها في نمو الأعمال الفنية وذكر أنه على الرغم من أن بعض الكتابات في هذا المجال اجتهادية ومتواضعة فإن بعضها مفيد، وهي تُفسح المجال أمام الناقدين لتطوير أنفسهم وطرح أفكارهم أمام زملائهم.

ويضيف أخيرًا: «كما أن هناك حركة نشطة لإحياء التراث القديم المتمثل في زخارف السفن، والملابس، وهذا ليس بمستغرب في الكويت التي تتمتع بتاريخ له قيمته».

☆☆☆☆

وافتتحت الهلال في اليوم الأول من شهر مارس لسنة ١٩٨٤م بابًا جديدًا من أبوابها الثابتة أطلقت عليه اسم: «رسالة الكويت» وقد كتب في هذا الباب منذ البداية الكاتب محمد سعيد.. وكان المقال الذي كتبه تحت عنوان: «القيم العربية والإسلامية وأبعاد الانفجار الإعلامي»، وقد كان الحافز له على كتابة هذا المقال هو متابعته للدور الثالث من أدوار انعقاد مهرجان الخليج للتلفزيون، وقد أجمل تصوراته حول هذا الموضوع منذ بداية مقاله، فكتب في هذا الشأن:

«أهمية التلفزيون هي التي دعت إلى عقد مهرجان الخليج الثالث للإنتاج التلفزيوني الذي انعقد في الكويت أخيرًا وكان في مضمونه عربيًّا يتسع لكل الطموحات القومية بينما كان في شكله خليجيًّا يواكب تطلعات الأشقاء العرب في هذه المنطقة إلى وحدة تجانسية تعد خطوة في سبيل الحلم العربي في زمن لا يعترف إلا بقوة الكيانات الكبيرة.

وعلى الرغم من تقديري لهدف مهرجان الخليج في العمل على تطوير الأساليب التلفزيونية في التعبير الفني والأداء التقني وتأصيل العطاء الذي يستلزم التراث ويستمد مادته من الواقع الاجتماعي والحضاري، وذلك من أجل هدف تقديم إنتاج تلفزيوني أفضل، إلا أنني أتصور أن الوقت لم يسمح بعد – ورغم أن المهرجان اختتم دورته الثالثة – أن يلعب مثل هذا اللقاء الإنساني الدور المرتقب في البحث عن إمكانات تحسين الأداء التلفزيوني وإحداث طفرة فيه تحقق طموحات الإنسان العربي في أن يرى في هذا الجهاز وسيلة تنوير وتبصير لا غنى عنهما في

الدور الفعال المنتظر من الإذاعة المرئية بجانب الدور الذي لا يحتاج إلى تأكيد وهو دور الترفيه والتسلية».

وفيما يخص ما جاء في عنوان المقال، فقد أثنى الكاتب كثيرًا على ندوة معينة حَظيتْ بحضور إيجابي من الوفود المشاركة في المهرجان، وهي التي عرض فيها المستشار الإعلامي سعد لبيب للنقاط الأساسية في ميثاق العمل التلفزيوني التي تضمن خمسة أبواب رئيسية هي تخطيط البرامج بحيث تكفل التوازن بين التثقيف والترفيه في إطار الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي مع الارتباط بخطط التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للدولة، والباب الثاني هو الاهتمام بأخلاقيات البرامج وما يجب العناية به من حفاظ على القيم الروحية والاجتماعية ومبادئ الشُّورى.. إلى بقية الأبواب.

واستعرض الكاتب بعد ذلك أقوال عدد من المتحدثين في الندوات فكان منهم المخرج مصطفى العقاد والأستاذ أحمد فراج وغيرهما.

☆☆☆☆

وكتب الأستاذ صبري منصور مقالاً في الهلال بتاريخ اليوم الأول من شهر أغسطس لسنة ١٩٨٥م، وكان عنوانه «أضواء على الفن التشكيلي في الكويت» وهذا المقال عبارة عن سرد تاريخي لنشأة هذا الفن في الكويت، وهو مزود بعدد كبير من الصور التي تمثل إنتاج بعض الفنانين التشكيليين الكويتيين، وفي المقال - ايضًا - حديث عن تأثير البيئة المحلية في الأعمال المقدمة، وتأثر الفنان بها من حيث استعمال الألوان والمواد الخام، وفيه إشارة إلى بعض الفنانين وهو في الختام يؤكد على أن نهضة الفنون التشكيلية في الكويت لن تستكمل فتصل إلى المستوى العالمي المطلوب إلا بوجود حركة نقدية تنير الطريق وتكتشف المواهب.

وفي ختام حديثنا عن هذا المقال نود الإشارة إلى أن ما ورد هنا شديد الشبه بما ورد في المقال الذي سبق أن عرضناه في هذا المقال وكتبه الأستاذ مختار العطار لمجلة الهلال، وهذا دليل على اهتمام منها بهذا الفن.

☆☆☆☆

المقال الذي نصل إليه الآن هو - أيضًا - من الباب الذي أشرنا اليه سالفاً وهو «رسالة الكويت» وجاء تحت عنوان: «أزمة ثقافة» ثم تحت هذا العنوان: «أزمة ثقافية؟ أم أزمة المجلات الثقافية»؟.

وقد كتبه الأستاذ مصطفى نبيل، وفي بدايته تظهر لنا أسباب كتابته فهو يقول: «عقدت في الكويت ندوة موضوعها» الدوريات الثقافية وآفاق المستقبل شاركت «الهلال» في هذه الندوة التي حضرها نخبة من المهتمين بالمجلات الثقافية.

وتناولت الندوة قضايا مهمة؛ مثل أزمة المجلات الثقافية والقيود والحدود المفروضة على انتقالها من قطر عربي إلى آخر، وما تُعانيه من الرقابة أحياناً، والتحويل النقدي في أحيان أخرى.

ودار في الندوة حوار خلّاق حول التجارب والأفكار المتعددة. ثم بدأ الكاتب في الحديث عن الندوة تفصيلًا فقال إنها مالت إلى التعميم والتجارب القديمة، وكان ينبغي أن ينتقل العقل العربي للبحث في العمق، وفي التفصيلات بدلًا من الخوض في الكليات، وينظر إلى المصاعب القائمة بدلًا من أن يقف عند تجارب بدأت ثم مضت وانتهت.

ومن رأيه أن الندوة ابتعدت عن التقنيات الصحفية، وقضايا الطباعة فاعتبرتها موضوعات فنية تخرج عن مجال اهتمامها، وكأنّ الاهتمام بمراجعة البديهيات والمسلمات هو جُلُّ همّها.

ولم يكن حديث الأستاذ مصطفى نبيل هو كل هذا فقد تراوح حديثه بين التأريخ للمجلات الثقافية، ومراكز إصدارها وبين ضرورة الاهتمام بها من كافة الوجوه، ولو أردنا أن نستعرض مقالته كلها لما استطعنا بسبب المجال المتاح.

لقد نشر المقال في اليوم الأول من شهر يونيه لسنة ١٩٩٠م، ولا تزال الأفكار التي ترددت فيه مدار حديث حتى اليوم فها هي مجلة الهلال وهي مجلة ثقافية بالدرجة الأولى تعاني من كثير من المشكلات التي عانت منها مجلات سبقتها وها نحن نضع أيدينا على قلوبنا مخافة أن يحل بها ما حل بغيرها من مجلات سابقة نحن نذكرها إلى الآن ونأسف لفقدها.

☆☆☆☆

ونشرت مجلة «الهلال» في عددها الصادر في اليوم الأول من شهر يوليه لسنة ١٩٩٠م، مقالاً عنوانه: «الفن رسول حضارة وسفير حكمة»، وهو يتحدث عن دار الآثار الإسلامية في الكويت، وهي دار يقول عنها محرر «الهلال»: يطل على الخليج العربي مبنى بطراز متميز هو: دار الآثار الإسلامية، يعرض علاوة على مقتنياته كنوز متحف الأرميتاج في رحلة هي الأولى من نوعها؛ عندما خرجت هذه المقتنيات - وعبرت المحيطات - من لينينجراد إلى الكويت.

ومضى المحرر في وصف تلك المقتنيات التي شاهدها وأعجب بها غاية الإعجاب، ولقد كانت كافية لكي تقدم لنا ذكريات الشرق على هيئة: آنية أو نَسيج، أو خزف، أو مباخر، ولقد كان وصفه دقيقاً لكافة زوايا المعرض، ولكافة المعروضات التي يضمها بين جوانبه. ولقد كان كاتب هذا المقال الشيِّق هو الأستاذ مصطفى نبيل الذي أسهم في كتابة المقال السابق.

☆☆☆☆

وآخر مقال نجده حتى أول يوم من شهر سبتمبر لسنة ١٩٩٠م هو المقال الذي كتبه الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى، وكان هذا الكاتب أستاذاً بجامعة الكويت، عرف عنه أنه من خيرة الأساتذة وأدراهم بمادته العلمية، وقد أشرف على عدد من رسائل الدكتوراه في تاريخ الكويت والخليج العربي، وله زملاء يذكرونه بالخير ويثنون عليه أعطر ثناء، وهو يستحق ذلك.

يتناول المقال مشكلة الحدود الكويتية العراقية وما جرى عنها من حديث في الوثائق البريطانية وهو بحث علمي موثق فيه عرض وفيه مقارنات، ومن أجل ذلك فإنه يستحق دراسة مستقلة إذ لا يكفي أن نقول هنا إن الكاتب قال: كذا من الأمور، دون أن نقدم نصوصاً يضيق بها مجالنا في «الأزمنة والأمكنة» وكل ما نرجوه أن تتاح لنا فرصة أخرى للعودة إلى مقال الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى فهو جدير بهذه العودة.

☆☆☆☆

هنا أود أن أقدم شكري إلى أخي الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم الذي أمدني بصور عن مقالات الهلال التي جاء مقالنا هذا اعتماداً عليها، كما أشكر ابنه العزيز محمداً الذي ساعد أباه في التصوير والتحضير.

وأرجو أن يُضَمّ ما قُلناه هنا إلى مقالنا السابق الذي أشرنا إليه منذ البداية فهما من موضوع واحد.

****

الشيخ فهد السالم الصباح

رجل في تاريخ الكويت (١)[1]

نعم، إنه رجل من رجال الكويت الذين أسهموا في كتابة تاريخها الحديث. كان له دور بارز في إدارة البلاد وعلى الأخص في فترة الخمسينيات من القرن الماضي. وتصدر للمسؤولية رئيساً لدائرة البلدية ومجلس الإنشاء ودائرة الأشغال العامة، في اليوم الثامن والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٥١م، عُين رئيساً لدائرة الصحة العامة وبقي فيها حتى اليوم العاشر من شهر يونيو لسنة ١٩٥٩م، وقد أنجز في هذه الدائرة إنجازات جمة تذكر له، ويذكر بها، وفي وقت عمله كان حريصاً على أن تؤدي دائرة الصحة العامة واجبها كاملاً تجاه المواطنين مقدمة العلاج والتوعية الصحية، وقام من أجل ذلك بإنشاء عدد من المستوصفات في كل أنحاء الكويت.

واستمر نشاط الدائرة باندفاعاته التي أثارها هذا الرئيس النشط، واستمرت على ذلك حتى تحوّلت فيما بعد إلى وزارة.

كان الشيخ فهد السالم الصباح محبّاً للأسفار ولكن أسفاره كانت لمصلحة مُعَينة ففي كل رحلة من رحلاته كان يستفيد علماً، أو دراية بأحوال بلد من البلدان أو معرفة بأشخاص لهم خبراتهم ومكانتهم في ديارهم التي يزورها. وهو في بعض الأحيان يقوم بزيارة طلاب الكويت الذين يدرسون في الخارج فيلتقي بهم ويتحدث

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٢٤م.

إليهم عن آمال وطنهم، وعن نظرة حكومتهم للمستقبل وقد كشفت هذه الزيارات عن شخصية هذا الرجل فبدا محبّاً لوطنه ولأهل وطنه، وتبين حرصه على أن يكون مستقبل طلاب الكويت مستقبلاً زاهراً مما جعله محبوباً في نفوس أولئك الذين زارهم من أبناء البلاد.

ومما يلفت النظر في رحلاته أنه كان يحرص على لقاء رؤساء الدول التي يزورها، وكذلك كبار الموظفين فيها. وكان على استعداد لمخاطبة وسائل الإعلام في كل بلد يمر به فيعبّر عن مشاعره تجاه ذلك البلد، كما يشرح للناس كل شيء عن مستقبل وحاضر وطنه الكويت.

لقد بدأ الرجل - كما نلاحظ - نشاطه وهو شاب يافع، استفزته الرغبة في التزود بالعلم فالتحق بعدة مدارس ورغب في دراسة اللغات فاتجه إلى أول مدرسة أهلية نشأت من أجل تدريس اللغة الإنجليزية، وكانت الإرسالية الأمريكية في الكويت قد أنشأت هذه المدرسة في سنة ١٩١٧م.

واهتم بمواصلة الدراسة كما رأينا، وقام بعدة رحلات شاهد خلالها عدداً من البلدان وعرف كبار المسؤولين فيها إلى غير ذلك مما مر بنا.

وإضافة إلى ذلك فإن تعدد مسؤولياته في العمل الحكومي يدل على ميزة لا نظير لها من حيث الإقبال على أداء الواجب وخدمة الوطن مهما تكن الصعوبات. أما صلاته بالناس فقد كانت متينة للغاية، وكان محبوباً من الجميع. وأذكر المرة الأولى التي شاهدته فيها، وكان في زيارة إلى القاهرة سنة ١٩٥٧م ضمن زيارات عدة إلى هذا البلد العربي الشقيق، وقد حرص على لقاء كافة أعضاء البعثة الطلابية الكويتية، والتحدث إليهم ممضياً في ذلك وقتاً ممتعاً سر كافة الطلاب.

ورجل من هذا النوع تصعب الإحاطة بأعماله وبسيرته الذاتية الكثيرة الملامح المتعددة النشاط، فإنه لابد وأن نجد وسيلة للحديث عنه تضمن عدم التشعب الذي

يضيع الفائدة على القارئ، إذ إن من المصلحة التركيز في حديثنا حتى نستطيع أن نلم بكافة ما نريد عرضه.

وسوف نرى أن تقديم ما قاله عنه معاصروه هو أهون السبل للإحاطة بكل شيء عن فهد السالم، وسوف نبدأ بهذه المقدمة اليسيرة ثم نتناول ما ورد عنه من أحاديث الكتّاب المعاصرين له.

فهد السالم الصباح ابن أمير الكويت الأسبق الشيخ سالم المبارك الصباح وهو أخٌ للأميرين السابقين عبدالله السالم الصباح وصباح السالم الصباح، وهو وقد ذكرنا ذلك آنفاً رجل من رجال الحكم المعدودين، تولى عدداً من المناصب، وأنشأ دوائر حكومية لا تزال بصماته عليها إلى اليوم.

ولد الشيخ فهد السالم المبارك الصباح في سنة ١٩٠٩م، ودرس في بدايته الدراسية في المدرسة الأحمدية، وكان شاباً ذكياً لامع الذكاء، وقد درس في هذه المدرسة مبادئ الفقه والعقيدة، والنحو والصرف، والجغرافيا وغيرها من العلوم، وعندما سافرت بعثة لطلب العلم من أبناء الكويت، كان هو أحد أعضائها وقد درس في المدرسة الرحمانية في البصرة، ثم انتقل للحاق بزملائه في الكلية الأعظمية ببغداد، ولم تكن هذه الدراسة كافية لإشباع رغبته في العلم، ولم يجد فيها المستوى الذي يتطلع إليه فانتقل إلى بيروت والتحق بالجامعة الأمريكية هناك، في سنة ١٩٣٢م، ثم عاد شاباً متعلماً متفهماً لأمور الحياة، مطلعاً على كل ما يحتاج إلى الاطلاع عليه من الشؤون العامة.

ذكر عبدالعزيز الرشيد الشيخ فهد السالم الصباح في كتابه تاريخ الكويت، وأثنى عليه كثيرًا، فقال عنه: «ويعجبني من هذا الشاب طموح نفسه للرحلة في طلب العلم إلى البلاد القصية، فعسى الله أن يحقق أمنيته، فالشوق وحده يكفي لتذليل الصعاب، فكيف إذا انضم معه استعداد وذكاء؟»، وقد تحقق للشيخ فهد

ما أراد وعاد إلى وطنه لكي يبدأ مسيرته في العمل الحكومي الذي قدم للكويت من خلاله أجل الخدمات، ويكفي أن نذكر من ذلك قيامه برئاسة مجلس الإنشاء والإسكان وهو المجلس الذي وضع الخطط العمرانية التي سارت عليها الكويت فيما بعد.

بعد هذا فإن أولى الناس في الحديث عن هذا الرجل العامل لوطنه ولأمته زوجته التي عاشت معه فترة من حياته، وتوفي وهو زوجها. تلك هي السيدة بدرية السعود الصباح، التي كتبت في جريدة «الوطن» مقالاً يوم السادس والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ٢٠٠٠م، ترد فيه على مقال نشرته إحدى الكاتبات، ولا نجد اليوم داعيًا لذكر المقال المردود عليه ولا صاحبته لأن الزمن تجاوز كل ذلك من جهة، ولأن الشيخة بدرية هي أولى الناس بالكتابة عن زوجها من جهة أخرى.

يضم المقال معلومات كثيرة من الصعب أن نعرضها كلها هنا، وبخاصة وأن بعضها كان له طابع شخصي يتعلق بأناس قد يهمهم ألا نعلن أسماءهم في هذا المجال، ولكن ما نود الإشارة إليه هو حديث الشيخة بدرية عن زيارة الشيخ وهي في معيته للمغرب، وتقول في ذلك: «إن الرحلة كانت في سنة ١٩٥٨م بالسيارات من أسبانيا إلى طنجة بالمغرب وبواسطة العبارة. وكانت زيارتنا للمغرب الشقيق بدون علم السلطات المغربية المسبق ولكن عند وصولنا إلى طنجة وجدنا عامل طنجة «المحافظ» ينتظرنا في الميناء بأمر من المغفور له الملك محمد الخامس ونيابة عن جلالته وقد استقبلنا المحافظ استقبالاً حارًّا وبلغنا بأمر الملك بأن نكون بضيافة جلالته طوال وجودنا في المملكة المغربية وقد أمضينا ثلاثة أيام في طنجة كنا خلالها موضع تكريم واحترام من جميع المسؤولين والقائمين على هذه المدينة الجميلة.

ثم انتقلنا إلى مدينة الرباط استجابة لدعوة جلالة الملك محمد الخامس وقد أقمنا في منزل رئيس الوزراء في ذلك الوقت المرحوم أحمد بلفريج، ثم استقبلنا

جلالة الملك محمد الخامس في قصره الملكي وكان يرافقنا في هذه الرحلة المرحوم خالد الحمد وأصر الملك على وجودي مع المرحوم الشيخ فهد في دعوته إلى البلاط الملكي وأمر ولده الأمير عبدالله شخصياً بأن يكون مرافقا لنا إمعاناً في التكريم والاحترام للشيخ فهد ومرافقيه طوال مدة وجودنا في المملكة المغربية ولا أريد أن أطيل في موضوع زيارتنا للمغرب لأن ما رأيناه وما لمسناه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال ما يعجز عنه اللسان وما لا يخطه القلم وكنا نحتفظ بصور جميلة عن هذه الرحلة التي لم ولن أنساها ما حييت، ولكن الغزو العراقي الغاشم لكويتنا الحبيبة لم يترك لنا أي شيء للذكريات بتدميره لقصرنا ومحتوياته».

ثم تحدثت السيدة بدرية عن وفاة الشيخ فهد السالم فقالت: «أما عن وفاته رحمه الله فقد كانت ١٩٥٩/٦/١٦ أول أيام عيد الأضحى المبارك في مدينة الدمام بالمملكة العربية السعودية أثناء عودتنا من رحلة بحرية شملت أولاً السعودية ثم ذهبنا إلى قطر ومنها إلى البحرين ثم عدنا إلى الدمام في طريق عودتنا إلى الكويت للتزود بالوقود التي وصلناها صباحًا وبعد تناول الغداء في الدمام شعر رحمه الله بوعكة صحية طارئة لم تمهله إلا دقائق محدودة وبعدها انتقل إلى رحمة الله تعالى في حدود الساعة الثانية بعد الظهر وكان معنا في هذه الرحلة الشيخ عبدالعزيز سعود الصباح والمرحوم الشيخ يوسف سعود الصباح والمرحوم خالد الحمد والمرحوم سعود عبدالعزيز العبدالرزاق والمرحوم سيد أحمد سيد الرفاعي وعدد اخر من المرافقين وفي نفس الليلة عدت إلى الكويت بمفردي على طائرة خاصة أمر بها جلالة الملك سعود رحمه الله وفي نفس الليلة أرسلت طائرة من الكويت وعليها سمو الشيخ سعد وبعض الشيوخ وذلك لإحضار جثمان المرحوم رحمه الله وغمّد روحه الجنة».

لقد توفيت السيدة بدرية السعود الصباح مأسوفًا عليها بعد ان احتفظت مدة طويلة بذكرياتها عن زوجها الكريم وكانت - دائمًا - على استعداد للحديث عن مسيرة حياته رحمها الله.

نبدأ الآن في استعراض ما كتبه الكتاب عن الشيخ فهد السالم الصباح منذ شبابه إلى حين وفاته.

وكنا قد أشرنا إلى ما كتب عنه الشيخ عبدالعزيز الرشيد وكان أهم ما أشار إليه هو رغبة الشيخ فهد في طلب العلم والحرص على الاستزادة منه.

في الفترة من شهر فبراير إلى شهر مايو لسنة ١٩٤٨م، زار الكويت رجل من اليمن هو أحمد محمد الشرماني، وكانت زيارته ضمن جولات ألف عنها كتابًا عنوانه «الجناح المحلّق في سماء المشرق، وقد طبع مركز البحوث والدراسات الكويتية الجزء الخاص بالكويت من هذا الكتاب ونشره في سنة ٢٠٠٨م، وفي هذا الكتاب معلومات لا بأس بها عن الكويت أثناء زيارته لها، وفيه حديث عن الشيخ فهد السالم الصباح، وعلاقة المؤلف به، وعلى الأخص بداية هذه العلاقة التي قويت مع الزمن حتى وصل بها إلى الكويت.

عرف الشيخ فهد السالم الصباح مؤلف الكتاب عندما كان في زيارة صيفية إلى سورية، ففي دمشق حيث كان يقيم في تلك الفترة من فترات الصيف تقدم إليه هذا الرجل مصحوباً بشخص آخر كان الشيخ فهد يعرفه من قبل. وقد ارتاح الشيخ للشرماني، وتوطدت صلته به. أما المؤلف فقد كتب عن الشيخ قائلاً: «وقد وجدت له من النبل وعلو الهمة وكمال الخلق ما جعلني أكبره في نظري إلى أبعد حد، وأجعل له في قلبي مكانة خاصة، هي به أليق، وبسمو صفاته أخلق، عرف الكثير عن رحلاتي والقصد منها، وفهم مغزاها ومرماها، فقدّر لي مجهودي، وأكبر أعمالي، وأثنى على ما أسماه بعزيمتي المتجددة، ودفعته طبيعته العلمية الإصلاحية

وشغفه باستطلاع المجهول إلى أن يشاركني أشواطاً من رحلتي، ويقوّي من عزيمتي، وليس في الأمر غرابة، فتلك جبلّة وطباع آل الصباح...، وهي أخلاق العرب من نجدة ومروءة، وشهامة وإباء مع فطنة متأصلة وذكاء متوقد.

ولقد صحبته من دمشق إلى حلب لنتجول جولة أو جولتين معاً، وصح العزم على زيارة قلعة الحصن، ذات الآثار العجيبة الخالدة، وتجرد سمو الأمير عن حاشيته، وركبنا في سيارته الخاصة يصحبنا بعض الأدلاء، وبعض الأعيان من شيوخ العرب هناك، واستقبلنا لدى بابها مدير آثار المنطقة، واحتفى بقدومنا حفاوة عظيمة، ورافقنا مع عدد من موظفيه في جولات داخل القلعة، ولم يترك شيئاً مما وقع عليه نظرنا إلاّ وعلّق عليه تعليقاً علمياً يدل على رأي ناضج وتفكير مستقيم».

وكان لابد للشرماني أن يأتي إلى الكويت، فقد دعاه الشيخ فهد السالم بعد أن أمضى في صحبته أيامًا بعضها في دمشق وبعضها الآخر في حلب، وعرف عنه أنه أديب رحالة، يريد أن يكتب عن البلدان التي يزورها.

وعندما بدأ في كتابته عن الكويت قال ما يلي: «كانت تلك أول مرة أزور فيها إمارة الكويت مستطلعاً مرتاداً، وكان عليّ أن أقضي أول أيامي فيها متنقلاً بين الدوائر الحكومية لأداء المجاملات الودية لدى رجال الحكومة من زيارات وتحيات قوبلت معها بكثير من الإجلال والتقدير الذي كان يتخذ مظاهر كريمة حينما يقفون على صلتي بسمو الأمير فهد – بما له في نفوسهم من مكانة سامية –».

كل ذلك والشيخ فهد السالم لم يعد بعد من رحلته، ولكنه عاد في الأيام اللاحقة، وقام الشرماني باستقباله مصاحبًا لعدد كبير من المستقبلين الذين بادروا إلى مطار الكويت من أجل أن يكونوا في الاستقبال.

ولقد تحدث الشرماني عن الكويت موقعًا وتاريخًا، وأفاض في الحديث عن السكان، وطبائعهم وأثنى عليهم ثناءً جمّاً، وإذا تأمل القارئ في كل ما كتبه المؤلف

عن هذه النواحي فإنه يظن أن من كتب تلك الأقوال المسهبة والدقيقة قد عاش في الكويت مدة طويلة، فقد كتب عن مدينة الكويت، وعن نظام المنازل فيها، وموقع البلاد مع بيان أهميته، كما تحدث عن الدوائر الحكومية العاملة – آنذاك – فذكر دائرة الأمن العام ودائرة الشرطة، ودائرة البلدية، ودائرة المعارف، ودائرة المالية ودائرة التموين. وتحدث عن النفط ومنابعه، وعن عدد كبير من الأشخاص الذين التقى بهم وعرفهم وأعجب بما يتمتعون به من أخلاق وعلم وآداب.

ولقد استل أخي الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم هذا القسم الخاص بالكويت من كتاب الشرماني: «الجناح المحلّق في سماء المشرق» وأعده للنشر إعداداً يقرّبه إلى ذهن القارئ، كما زوده بعدد من الصور المهمة التي توضح بعض موضوعاته، وقد مرت بنا الإشارة إلى ذلك.

وبعد أن أنجزنا ما يتعلق بما كتبه أحمد الشرماني عن الشيخ فهد السالم الصباح فإننا ننطلق إلى مجال آخر، فقد كتب عن الشيخ رجل آخر هو محمد بن خليفة النبهاني، وذلك ضمن كتابه (الموسوعة) المسمى: «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» وهو كتاب ضخم ولكنه في مجلد واحد طبع بالمطبعة المحمودية بمصر في سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) وذلك على نفقة المؤلف. وكان مما ورد فيه فصل واسع عن الكويت تضمن تاريخها وحديثًا عن عادات أهلها، وما يتميزون به من صفات حسنة. كما تحدث عن حكامها والمتعلمين فيها وغير ذلك كثير.

ومن ضمن الذين كتب عنهم النبهاني في كتابه المذكور الشيخ فهد السالم، وقد كتب عنه ما يلي: «نشأ على حب الكويت، وحب العلوم والمعارف، وارتحل في طلب العلم، وله فكر وقاد، وذكاء مفرط، مع بشاشة يخالطها وقار وهيبة، وهو حسن المجالسة، محب للتاريخ وأخباره، فلا تُمَلُّ مجالسته».

في آخر شهر من سنة ١٩٤٦م صدر العدد الأول من مجلة البعثة التي كان يصدرها بيت الكويت في القاهرة منذ ذلك الوقت حتى أوائل خمسينيات القرن

الماضي، وكان الطلاب الكويتيون يسهمون في الكتابة بها بتشجيع ورعاية من مدير البيت الأستاذ عبدالعزيز حسين، ثم لما انتقل الأستاذ المدير ليشغل منصب مدير المعارف هنا، قام الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري مقامه، وتابع إصدار المجلة حتى توقفت لأسباب خارجة عن إرادته. وقد قام مركز البحوث والدراسات الكويتية مشكورًا بجمع كافة ما صدر من أعداد هذه المجلة القيمة وأعاد طباعتها (تصويراً) فجاءت في ثمانية مجلدات بواقع سنة لكل مُجلَّد، وأضاف إلى هذه المجلدات مجلدًا كاملًا ضم الفهارس المنوعة. وبذا فقد زاد نفعها، وأعادت إلينا تلك الأيام بتاريخها النيِّر المكتوب بأيدي أبناء الكويت المتميزين الذين يدل إنتاجهم الفكري على تميزهم.

يرد ذكر الشيخ فهد السالم الصباح كثيرًا في مجلة البعثة وترد له صور متنوعة، وكان قد زار بيت الكويت عدة مرات ولقي الطلاب وتحدث إليهم وهذه بعض النقاط التي وردت في هذه المجلة بخصوص ذلك:

– في العدد السابع للسنة الرابعة للمجلة الصادر في شهر أغسطس لسنة ١٩٥١م. كان الشيخ مارًّاً بالقاهرة وقت أن كان طلاب البعثة يحتفلون بذكرى مرور خمس سنوات على إنشاء بيت الكويت هناك فزارهم، وشاركهم حفلهم والتقطت له وللعاملين في البيت والمرافقين له وعدد من الطلاب صورة تذكارية مهمة.

– ونشرت البعثة – أيضًا – موضوعًا يتعلق بالشيخ فهد السالم في العدد الأول من السنة الخامسة لها، وذلك في الأول من شهر يناير لسنة ١٩٥١م، وقد ذكرت – آنذاك – أن الشيخ كان في جولة واسعة حول الدنيا، زار خلالها سورية ولبنان ومصر وفرنسا، ثم ارتحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وجال في كافة أرجاء الولايات ثم عاد مرة أخرى إلى بريطانيا، وأخيرًا غادر إلى فرنسا فمصر فالكويت.

وقد تحدث خلال رحلته الطويلة هذه إلى محطتين إذاعيتين هما محطة «صوت أمريكا»، والمحطة التي تديرها هيئة الإذاعة البريطانية B. B. C.

أجاب في حديثه الأول على أسئلة المحطة الإذاعية «صوت أمريكا» وتناول الأسئلة عدة جوانب كان الشيخ حريصًا على أن يُغَطِّيها بالكامل، ووجه ضمن حديثه كلمة إلى أبناء وطنه في الكويت حياهم بها وأطلعهم على ما شاهد في رحلته.

وهذه هي الأسئلة وإجابة الشيخ عليها:

س: ما الأثر الأول الذي تركته في نفسكم هذه الزيارة للولايات المتحدة؟

ج: إن الأثر الذي تركته في نفسي هذه الزيارة هو لطف الشعب الأمريكي وإيمانه بالحرية الفردية لكل قاطن في هذه الديار، ثم إعجابي بنظم التعاون التجاري أو ما يسمونه بنظام صناعة البلاد وتجارتها العظيمة.

س: هل تنوون القيام بزيارة للأرجاء الأمريكية؟

ج: هذا أول ما خطر ببالي، وزاد في رغبتي ما رأيته من تشجيع المسؤولين في نظارة الخارجية وتسهيلهم أمامي سبل الرحلة، ولا يخفى عليكم أنه في أثناء دراستي بالجامعة الأمريكية ببيروت من سنة ١٩٣٢ – ١٩٣٦ تمكنت من الاطلاع على تاريخ وجغرافية هذه البلاد ونهضتها الجبارة وتوثبها الدائم للاستقلال، ونشر الفكرة الديموقراطية، لذلك أرغب في تطبيق ما درسته بالكتب عن طريق المشاهد العيانية، وقد زودتني نظارة الخارجية بكل ما أحتاج إليه لدى السلطات المسؤولة في الولايات المتحدة، وانني بهذه المناسبة أقدر بعاطفة شريفة حسن التعاون الذي يسود العلاقات التجارية المتبادلة بين الكويت وهذه البلاد.

س: ما النقط الرئيسية التي ترغبون في دراستها أثناء زيارتكم؟

جـ: إني أهتم بصورة مخصوصة بالتطور الصناعي والوسائل الفنية الزراعية والحركة التجارية، فأستطيع بعدها أن أفيد بلادي بما في وسعها الإفادة منه خدمة للشعب الكويتي والترفيه عنه، لأننا لا نريد الحكم لمجرد الحكم، ولكننا نريده لخدمة إخواننا الكويتيين وخيرهم.

س: ما الانطباعات التي تركها في نفسكم المغتربون العرب الذين تعرفتم بهم؟

جـ: وجدت من حفاوة إخواني المغتربين العرب ما يجعلني أفخر وأمجد هذه النخبة الفتية التي سبقت سفراء العرب الرسميين إلى رسالتهم الحاضرة، فهم في أنديتهم وصحافتهم، وتجارتهم الواسعة عنوان الرجولة العربية والنهضة المتوثبة، وأرجو أن يكونوا لوطنهم في مستقبل الأيام خيرًا وبركة.

س: هل اجتمعتم بسفراء العرب وبموظفي نظارة الخارجية الأمريكية؟

جـ: إن سفراء العرب ووزراءهـم المفوضين فور علمهم بوصولي شرفوني بزيارتهم ورحبوا بي بحفاوة وكـرم، وفـي طليعتهم سعادة الشيخ أسعد الفقيه سفير المملكة العربية السعودية وبقية شباب العرب الموظفين في القارة، وزارني من نظارة الخارجية السيد ماكجي مساعد ناظر الخارجية والسيد ويلكتز رئيس إدارة الشؤون العربية، وسواهما من كبار الموظفين الذين رحبوا بي باسم الحكومة الأمريكية وأظهروا كل مؤانسة ولطف، وزودوني بكل الامتيازات السياسية مع العلم أن زيارتي لا صفة رسمية لها.

فإلى سفراء العرب ومساعديهم ومغتربي العرب والحكومة الأمريكية وموظفي نظارة الخارجية، أطيب تحياتي وامتناني وشكري.

س- هل من رسالة تبعثون بها إلى بلادكم الكويت؟

جـ- إن رسالتي إلى الكويت وإخواني أبناء الكويت وعاهل الكويت سيدي صاحب السمو الأمير عبدالله السالم الصباح، تنحصر في إرسال تحية عاطرة مزجاة بالشوق، متمنيًا لهم ولبلادي الخير والسلام؛ وإنني من وراء هذه البحار ورغم المسافات البعيدة التي تفصلنا ما يزال الوفاء يشدني إليهم والذكريات القومية تراود خيالي ليل نهار، وإنني أرجو أن أرجع إليهم بما يفيدهم عن تطور الحياة بهذه البلاد.

إن الشعب الأمريكي يجهل الكثير عن بلادي الكويت فاستطعت أن أعطيه عنها نظرة عامة، وحيثما كنت اغتنمت الفرص لأعرّف بلادي للأمريكيين الذين مهما جهلوا ما يربطهم بالعرب من روابط ومصالح، سيظلون يحملون فكرة الديموقراطية أنها إنسانية عالية، مهما يتجنّى عليها ويشوهها المغرضون.

أما المحطة البريطانية فقد ألقى من خلالها كلمة تحدث فيها عن الكويت، وعن آمالها في الوصول إلى منتهى التقدم والرقي، وذكر كفاح الآباء في سبيل كسب العيش، وأنهم لم يجدوا الراحة إلا بعد أن ظهر النفط في البلاد، ولذا فإن الحكومة حريصة على أن تقدم للشعب كل ما يحتاج إليه ويعوضه عن شظف الماضي وقد جاءت الكلمة هكذا:

انتهز فرصة مجيئي إلى هذه البلاد لأبعث على موجات الأثير من وراء البحار إلى سيدي ومولاي حاكم الكويت المعظم بأطيب التحية وخالص الولاء، راجيًا لسموه مديدًا من العمر وخالصًا من السعادة.

إن الكويت الحديثة التي أخذت تشق طريقها في عزيمة وصدق نحو الإصلاح والأخذ بوسائل التقدم، تستمد من قائدها القوة التي تكلل مسعاها بالنجاح، ولها

من ثاقب رأيه وحسن توجيهه ما يجنبها الزلل ويحميها من العثرات، ولقد شمل سمو الأمير المعظم كل نهضة فكرية أو عمرانية أو اقتصادية بعطفه وتشجيعه، فأصبح بتأييد من اخواني أبناء الكويت الأعزاء الرأس المدبر العامل على توفير وسائل الحياة الكريمة لشعبه الكريم، والمشجع لكل مشروع يهدف إلى رفع مستوى الحياة وتحقيق أسباب التقدم، حتى أصبحت الكويت وقد قدمت على عهد جديد توافرت فيه وسائل النهوض. وتضافرت فيه القوى على الأخذ بأيدي المواطنين إلى ما فيه الخير والصلاح للجميع، يتعاون كبيرهم وصغيرهم في ذلك، شاعرين بما هم فيه شعور الجسم الحي الواحد.

لقد مضى على الكويت ردح من الزمان كافح فيه أبناؤها حياة فيها الكثير من الصعوبات، حتى تحققت لهم في هذه السنوات الأخيرة أسباب الحياة، فحق لهم والحال هذه أن يهنأوا بما تدره عليهم بلادهم من خيرات، وأن ينال العاملون منهم جزاء ما قدموه ويقدمونه للبلاد من جهود، وأن من دواعي فخرنا أن نرى أن عاهل البلاد المعظم يدرك هذه الحقيقة ويقدرها تمام التقدير، ويؤمن أن خير ما يقدمه لشعبه هو أن تكون خيرات بلاده لأبناء بلاده، وأن تستغل هذه الخيرات على الوجه الأصلح فيما يعود على إخواننا أبناء الكويت بأطيب النتائج.

وقد نحقق في هذا العهد المبارك للكويت الكثير من آمالنا ولا زلنا بتأييد وعطف أميرنا المعظم وبتكاتف إخواني أبناء الكويت، نتطلع إلى الكثير مما تصبو إليه نفوسنا وتهفو إليه قلوبنا لكي تحتل بلادنا مكانها في مقدمة الصفوف.

وقد شعرت وأنا أحل بهذه البلاد بما وصلت إليه بلادنا من تفكير ناضج عندما التقيت بعدد من أبنائنا الكويتيين الذين أرسلتهم معارفنا إلى انجلترا لطلب

العلم من منابعها الغزيرة، ومن قبل ذلك أرسلت عدداً آخر إلى مصر لهذا الغرض، ونأمل أن تتتابع البعثات ويزداد عددها حتى يتوافر المواطنون الذين يسدون الفراغ الذي نشعر به الآن.

ولا أريد أن أختم كلمتي قبل أن أشيد بما لقيته من حفاوة من أبناء هذه البلاد العريقة، وما شملني به رجالها المسؤولون من تكريم. مما أعتبره خير تحية لبلادي تستحق الشكر والامتنان، وكذلك لا يفوتني أن أشكر محطة الإذاعة البريطانية على إتاحة هذه الفرصة لكي أتحدث إلى أميري وإخواني من أبناء وطني العزيز.

****

الشيخ فهد السالم الصباح رجل في تاريخ الكويت (٢)[(١)]

نستأنف هنا حديثنا الذي بدأناه في مقالنا السابق من الأزمنة والأمكنة، وهو المقال الخاص بمسيرة الشيخ فهد السالم الصباح، وقد تحدثنا هناك عن كثير من الأمور المتعلقة بذلك، ولكن الحديث عن حياة رجل مهم مثل هذا الرجل حديث طويل، لذا فإننا نستمر فيما بدأنا به، مع التفصيل الذي يسمح به المجال.

في شهر فبراير لسنة ١٩٥١م صدر العدد الثاني للسنة الخامسة من مجلة البعثة، وفيه ذكر لافتتاح مقر جديد لبيت الكويت في القاهرة، وقد جاء في الخبر المنشور في المجلة المذكورة: «تم افتتاح بيت الكويت الجديد رسمياً، وكان ضيف الشرف هو الشيخ فهد السالم الصباح يصحبه السيد مشاري الحسن البدر، وقد حضر حفل الافتتاح بعض الشخصيات، وبعض نظار المدارس، وقد نوهت معظم الصحف الكبرى بهذا الافتتاح كالأهرام، والمصري والبلاغ والزمان».

ثم ذكرت المجلة في الصفحة ذاتها أن الشيخ قد غادر مصر مع رفيقه في الرحلة السيد مشاري الحسن البدر، فور افتتاح البيت متجهاً الى الوطن.

☆☆☆☆

وجاءت سنة ١٩٥٢م، فنشرت مجلة البعثة بيانات الانتخابات التي جرت في الكويت إبّان نهاية سنة ١٩٥١م لاختيار أعضاء مجالس بعض الإدارات الحكومية، وقد ذكرت أسماء الأعضاء الجدد أو المجدد لهم لإدارات المعارف والبلدية والصحة

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٣١م.

والأوقاف. وذكرت المجلة أن الشيخ فهد السالم الصباح نال رئاسة مجلس بلدية الكويت ومجلس دائرة الصحة العامة.

والآن وقد وصلنا إلى ذكر دائرة الصحة العامة فإن من أفضل ما كتب عن هذه الدائرة في عهد الشيخ فهد السالم هو ما كتبه الأستاذ عبدالعزيز الغربللي ونشرته البعثة في عددها الشامل لشهري يناير وفبراير لسنة ١٩٥٣م، وسوف نقدمه كاملًا في هذا المجال على أن يكون ختاماً لهذا القسم من الأزمنة والأمكنة وسوف نستأنف الحديث عن الشيخ فهد السالم في العدد المقبل إن شاء الله.

كان المقال المذكور شاملا لبعض نواحي النهضة في البلاد، وقد تحدث الكاتب عن الصحة في جزء منه فقال:

«أما نصيبها (يقصد الكويت) فلا يقل عنه في مجال التربية والتعليم، فقد حرصت إدارة الصحة وعلى رأسها الوطني المخلص حضرة صاحب السعادة الشيخ (فهد السالم الصباح) على تيسير أسباب العلاج المجاني المنظم لكافة طبقات الشعب، والنهوض بالمواطنين إلى المستوى الصحي اللائق، ولعلّ في وجود المستشفى الحديث الكبير، والمستوصفات المجهزة بأحدث الوسائل والأدوية الموزعة على أحياء المدينة، توزيعاً عادلاً. وكذلك مصح الأمراض الصدرية المقام على ساحل منطقة الشويخ، لعل في ذلك كله ما يقيم الدليل على الجهود المشكورة، والخدمات الجليلة التي تقوم بها إدارة الصحة لمحاربة الأمراض على اختلاف أنواعها وألوانها حرصاً على سلامة الشعب وصحة المواطنين، ولا يزال المجال واسعاً أمام إدارة الصحة لتعمل الكثير لتثقيف الشعب ثقافة صحية ترشده، إلى الطريقة المثلى في الحفاظ على سلامة صحته، واتقاء مسببات الأمراض والوقاية خير من العلاج كما يقول المثل، ومتى تثقف الشعب ثقافة صحية استطاع أن يتعاون مع الحكومة على محاربة الأمراض والحيلولة دون انتشارها في البلاد.

وأعتقد أن هذه الناحية المهمة مدروسة وهي في سبيل التنفيذ لدى المسؤولين في الصحة العامة.

في مجلة البعثة – أيضًا – كتب السيد خالد يوسف النصر الله في زاوية «رسائل القراء» عن ملاحظة أثارها أحد قراء المجلة تتعلق بالنظافة العامة في الطرق والمواد الغذائية وأنحى فيها باللائمة على الجهات المختصة ناعياً عليها عدم اهتمامها، وعدم حرصها على أداء واجبات عملها. وقد ذكر السيد خالد النصر الله أنه يؤيد كل من يكتب وهو يقصد المصلحة العامة، بل هو يشكر الشخص الذي كتب ذلك كما يشكر كل المخلصين الذين يسعون إلى التنبيه على المخالفات مهما كانت، غير أنه يقول: «وإني أبشر الزميل بأن رئيس دائرة الصحة العامة سعادة الشيخ فهد السالم الصباح الساهر على صحة الشعب أمر – حفظه الله – بفتح قسم يتألف من مفتشين ومراقبين للقضاء قضاء تامًّا على الأقذار والأوساخ، وجند لهذه المهمة عدداً من الشباب الكويتي الناهض تحت إرشاد الأطباء، فشنوا حرباً شعواء لا هوادة فيها على جميع المطاعم والمقاهي والمخابز وبائعي الفواكه والخضر، وبائعي المعلبات ومحترفي الحلاقة وغيرهم.. وجعل أنظمة عامة وقوانين خاصة لكل محترفٍ مهنة من المهن للقضاء على كل شيء يضر بسلامة الجمهور، وإتلاف المعلبات القديمة، ومنع دخول الفواكه والخضر الخاربة إلى أسواق الكويت».

ولم تخلُ مجلة «البعثة» من حديث – طال أو قصر – عن الشيخ فهد السالم الصباح، وإن كان فيما سبق لنا أن ذكرناه الكفاية إلا أن هناك ما هو جدير بالذكر منها المقال الذي كتبه الأستاذ لبيب سالم الذي كان يشغل منصب المدرس الأول للمواد الاجتماعية، وهو معار من مصر إلى دائرة معارف الكويت. وكانت له كتابات شيقة في مجالات الكويت التي كانت تصدر آنذاك وقد ألمحنا إلى بعض ما كتب في مقالات لنا سابقة.

في العدد الصادر في شهر ديسمبر لسنة ١٩٥٢م من البعثة كتب عن لقاء له وكان مصاحبًا الأستاذ عبداللطيف الشملان والأستاذ عبدالمجيد مصطفى بالشيخ فهد السالم بدأ المقال بصيغة استفهام قدمها الأستاذ لبيب سالم باعتبارها مما قاله الأستاذ الشملان فقال:

«هل لكم في جولة على «السِّيف»؟ هذا السؤال وجهه لنا السيد عبداللطيف الشملان في نهاية اليوم المدرسي، وقد لاحظ علينا إمارات التعب وآثار الجهد بعد يوم مدرسي شاق.

– لا مانع يا سيدي فقد عودتنا ذلك، فصحبتك لنا فيها تجديد لنشاطنا وترويح لنفوسنا – كان ذلك جوابنا وكنا ثلاثة: السيد عبدالمجيد مصطفى رئيس البعثة التعليمية المصرية والسيد يوسف أبو الخير مفتش المواد الاجتماعية والمتَشرِّف بكتابة هذا المقال.

ركبنا السيارة نحو السيف فأحسسنا نسيم جون الخليج العليل، وجلت عيوننا مناظر مياهه البهيجة، وما هي الا فترة قصيرة حتى أشار أحد الزملاء إلى قصر منيف متسائلًا: لمن هذا القصر؟

فأجاب الأستاذ عبدالمجيد:

قصر الشيخ فهد السالم الصباح شقيق أمير الكويت المعظم وأحد أمراء آل الصباح الأماجد، كم كنت أود زيارته منذ وطئت قدماي هذه البلاد، ولكن العمل ينسيني وكثرة الواجبات تلهيني حتى هذه الساعة.

– لا مانع من زيارته الآن فربما كانت فرصة خير من ألف ميعاد.

وهل تجوز الزيارة قبل تحديد موعد لها؟

- نعم فأبواب الأمراء هنا مفتَّحة أمام كل طارق من أبناء العروبة.

نزلنا من السيارة وإذا بسيارة أخرى تقف أمام القصر وينزل منها الشيخ الكريم ويتقدم الأخ عبداللطيف بتقديمنا إلى سعادته بلباقته المعهودة فيسلم علينا بيد قوية وينظر إلينا بعيون حادة عميقة نفذت إلى قلوبنا وعرفت سر قدومنا.

تقدمنا إلى «الديوانية» مرحبًا، مسلِّما، ومجاملاته الرقيقة تتقدمنا حتى استقر بنا المقام.

- أهلًا برسل مصر.. مصر الشقيقة الغالية.

إن لمصر حقًّا كبيرًا علينا، حقّ تعليمنا وتثقيفنا الذي تبرعت به قبل أن تتحسن اقتصاديات بلادنا.. إننا لن ننسى أبدًا أن مصر كانت ترسل أساتذتها وتدفع لهم نصف راتبهم من ميزانيتها، وتضمن لهم وظائفهم وتحتجزها لهم حتى يأتوا إلى الكويت ويعملوا مطمئنين.

- إن مصر يا سيدي لم تقم إلا بما يمليه الدين، وما تقتضيه الشهامة العربية، فالعرب جميعًا جسم واحد، إن أصاب عضو أي مرض فإنما ذلك يؤثر في الجسم كله.

ثم اعتدل سعادته في جلسته وطلب القهوة «التقليدية» وأخذ يفيض بسيل من أفكار كثيرة نيرة في التسامح الديني، والصحافة، وما تحتاج إليه الكويت من خبراء فنيين، ولم يفت سعادته في النهاية أن يذكر مصر بكلمة تنم عن حب وتقدير ووفاء.

ثم انتهت الزيارة، وقد تجدد نشاطنا، وذهب كل إلى بيته، ثم أويت إلى فراشي وقمت بعد منتصف الليل بقليل على دوي حديث الأمير الكريم المستنير، وصارت كلماته تتزاحم على ذهني، وآراؤه تؤثر في نفسي، وعلى غير عادة، هرب النوم من

عيني فقمت لساعتي وتركت فراشي في ليلة اشتدت فيها البرودة، وأمسكت بقلمي لأسطر حديث الأمير، الذي يشرفني تلخصه على الوجه الآتي:

أولًا: استنكر سعادته التعصب الديني بين العرب الذي ينشره ذوو الأغراض السيئة، وهؤلاء في العادة أشخاص مأجورون لإيجاد ثغرات تساعد على تدخل أعداء العرب لإيجاد التفرقة بينهم، وإنه من الخير، بل ومن الدين محاربة المتعصبين لأننا جميعًا عرب، ووجدت العروبة قبل المسيحية وقبل الإسلام، وجاء عيسى ونادى بمبادئ سامية نبيلة كلها تهدف إلى تكوين الخلق السامي والفرد الصالح.. ثم جاء بعده محمد فحمل نفس اللواء وبشر بنفس المبادئ وكلها كانت موجهة إلى الله وحب الله وعبادة الله، اعترافًا بجميله جلت قدرته لخلقنا وتفضيلنا على جميع مخلوقاته الأخرى، ثم قال سعادته: ماذا يعني: «التسامح» الذي جاء به الإسلام إذا لم يفد في تحطيم هذا التعصب الذي ينادي به أفراد لمصالحهم الشخصية واشباعاً لشهواتهم النفسية. اننا نتعصب ضد الوثنية ونحاربها حتى يتنبه الوثنيون إلى أن هناك إلهًا، وحينئذٍ يعملون بتعاليمه، وحينئذٍ يدخلون في العالم الإنساني ليعملوا على خيره، سواء كانوا مسيحيين أم مسلمين. إنني ناديت بهذه المبادئ في أمريكا في زيارتي الأخيرة لها، ولا مانع لديَّ أبداً أن أصلي في كنيسة اذ ما جاء وقت الصلاة، لأن الكنيسة إنما بنيت من أجل عبادة الله، والصلاة لم تحدد المسلم بمكان معين، وإنما أهم ما يميز المسلم طهر قلبه وإخلاصه وتفانيه في حب غيره وفي حب الإنسانية جمعاء.

ثانيًا: ثم استطرد سعادته حديثه عن الصحافة وقال: إن الصحافة هي المنبر الذي منه يستنير المرء وتزداد ثقافته وعلمه، وهي النور الذي يهدي القوم ويبين لهم الحق والباطل، فلابد إذن أن يستند ما يكتب فيها إلى حقائق لا لبس في صحتها ولأضرب مثلاً بذلك ما ينشره بعض الصحافيين من أن أمير الكويت أغنى رجل في

العالم إذ ليس هذا بصحيح لأنه رجل دخله معروف، وميزانيته الخاصة محدودة، وهو يعيش كما نعيش جميعاً لا فارق كبيراً بيننا، وإن زيارة بسيطة لسموه تبين بجلاء مدى بساطة الحياة التي يسلكها.

وتطرق سعادته في حديثه عن الصحافة إلى الكلام عن الصحافة المصرية وفضلها على الشرق العربي وما أدته وتؤديه من الخدمات في تنبيه الأذهان وإيقاظ العقول وتنوير البصائر ورفع مستوى التفكير وربط البلاد العربية برباط روحي قوي يزداد على الأيام قوة وتماسكًا، غير أنه رجا من صحافة بعض البلاد العربية التقليل من الدعوة إلى الهجرة غير المنظمة إلى الكويت بحثًا وراء العمل - فمثل هذه الهجرة تأتي أحياناً بأوخم العواقب فقد لا تتهيأ سبل العمل أمام هؤلاء المهاجرين بالسهولة التي صورتها لهم هذه الصحف بالصورة البراقة الآخاذة التي دفعتهم إلى الهجرة بدون ترتيب سابق، فاذا الحقيقة المرة تصدمهم، والأماني الحلوة تتبخر أمامهم لا لشيء إلا لأن الكويت إنما تحتاج لأنواع من الفنيين قد لا تتوافر في هؤلاء المهاجرين - أن الكويت بحاجة الى أساتذة ذوي مؤهلات لمكافحة الجهل وتكوين جيل صالح مُتَمدِّن يتمشى في تفكيره وسلوكه مع العالم الذي يهدف إلى صالح الإنسانية جميعًا. نريد أطباء متخصصين يقضون على الأمراض التي تفتك بالشعب حتى يتكون الجسم الصحيح الذي يحوى عقلاً سليماً يتقبل العلم المفيد. ونريد مهندسين فنيين في العمارة وشق الطرق والكهرباء حتى يحولوا الكويت إلى بلد يتمشى في نظامه مع العالم الحديث. ونريد فنيين يحلون لنا مشكلة المياه والنهوض بالقرية الكويتية وإنعاش الزراعة في الجهات التي تتوافر فيها المياه.

ثالثًا: ومصر مرة أخرى كانت أحب ما أراد سعادته أن يكون ختام الحديث، فهو يود لها من كل قلبه الاستقرار في العهد الجديد. وسعادته يؤمن إيمانًا قويًّا

- وهذا تلطف كبير منه - أن مصر هي النور الذي يشع على بلاد العرب جميعاً، ففيها من فقهاء القانون من يقفون على قدم المساواة مع فقهاء الغرب. وفيها من الأطباء والمهندسين من يزون أندادهم في الأقطار الأخرى. وفيها من الأدباء الميرزين الذين يعترف بفضلهم الغربيون أنفسهم. وخصّ سعادته بالذكر المرحوم مصطفى عبدالرزاق الذي يصفه على حد تعبيره (بذي الثقافتين) وترحم عليه كثيرًا. غير أن سعادته يلوم على بعض هذه العقول الكبيرة تدخلها في السياسة وانغماسها في مشاغلها مما أدى إلى حرمان العالم جميعاً من الوقت الذي كان عليهم أن يكرسوه في خدمة الميادين التي تخصَّصوا وأفنوا من شبابهم الشيء الكثير في سبيلها من أجل نشر شعلة الثقافة وهي الضريبة التي يجب أن يدفعوها من أجل صالح العالم.

حقًّا إنه لحديث ممتع وجلسة ممتعة مع أمير من أمراء الصباح الكرام. وقد أتيح لي أن أتشرف بزيارة سعادة الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيس المحاكم والمعارف، وسعادة الشيخ عبدالله المبارك رئيس الأمن، وسعادة الشيخ صباح السالم رئيس الشرطة، فما وجدت من هؤلاء جميعاً إلا تمجيداً للعروبة وحثًّا على تقوية أواصرها ورفع شأنها وإن أنسَ لا أنسى بيت الشعر الذي يتمثل به دائماً سعادة الشيخ عبدالله المبارك كلما زاره أحد أبناء العروبة:

يـا ضيـفَنـا لـو زرتـنـا لـوجـدْتَـنـا
نـحـن الـضُّـيـوفُ وانــت رب المـنـزلِ

ولا يفوتني أن أنوه في هذا الحديث عن الصلة القوية التي تربط الأسرة الحاكمة بالشعب الكويتي المجيد، فهم يعتبرون الكويت أسرة واحدة وعائلة واحدة يحترم صغيرهم كبيرهم، ويعطف كبيرهم على صغيرهم، تسود فيهم روح المحبة والتعاون والوئام، ولا عجب إن وجدت الأمن والرخاء يسودان ربوع هذه الإمارة العربية الكريمة.

☆☆☆☆

هذا وسوف يلاحظ القارئ مقدرة كاتب المقال على الصياغة الأدبية اللطيفة، ورغبة الأستاذ الشملان في العناية بالأسرة التربوية، واهتمام الشيخ بضيوفه.

وفي شهر فبراير لسنة ١٩٥٤م، صدر العدد الثاني للسنة الثامنة من سنوات مجلة البعثة، وهو مُزَيّن بصورتين الأولى منهما كانت صورة الغلاف وهي تمثل الرئيس المصري الأسبق محمد نجيب وهو يجلس مع الشيخ فهد السالم الصباح. أما الصورة الثانية فهي تمثل الرئيس المصري الأسبق - كذلك - جمال عبدالناصر وهو يستقبل الشيخ في مكتبه بمقر القيادة العامة للثورة.

ومن الواضح أن نشر الصورتين في هذا العدد له دلالات منها أن الشيخ فهد كان في زيارة من زياراته إلى القاهرة في تلك السنة. ومنها اهتمام قادة ثورة مصر بهذا الرجل الذي أحب مصر كثيرًا وداوم على زيارتها. وقد أشارت المجلة إلى هذه الزيارة مؤكدة أنها كانت لمدة أسبوعين، وأن الشيخ - يومذاك - كان رئيسًا لدائرة البلدية ودائرة الأشغال العامة ودائرة الصحة. وذكرت - أيضًا - أن من رفاقه في هذه الزيارة الشيخ جابر العلي السالم الصباح الذي كان - وقتذاك - رئيسًا لدائرة الكهرباء في الكويت إضافة إلى عدد آخر من المرافقين. وقد كتبت البعثة عن هذه الزيارة ما يلي:

«قام الشيخ فهد السالم الصباح أثناء زيارته لمصر بعدة زيارات لبيت الكويت كانت أولاها لمقابلة الطلبة والتحدث معهم فيما يخصهم ويخطر ببالهم من آراء وأفكار تشغلهم نحو الوطن العزيز!. وقد أبدى سموه روحًا طيبة في مناقشته معهم وصراحة تامة في حديثه وحسن توجيهه. ونحن إذ نسر بهذه الزيارة السعيدة إنما نتقدم لسموه بخالص الشكر لما أبداه من شعور صادق نحو الطلبة، ومساهمته معهم في تقديم «كأس البعثة» المهدى إلى المرحوم عبدالوهاب حسين.

ولقد تجلّت روح سموه العربية الصادقة، وتجاوب شعوره مع شعور الطلبة بالواجب الذي يجب على الكويت أن تؤديه نحو البلاد العربية الشقيقة، بتبرعه بمبلغ من المال لمشروع الجامعات المصرية، ولهيئة التحرير، ولمساعدة المحاربين القدماء، ولمساعدة أبناء اللاجئين الفلسطينيين».

هذا ولقد استمرت مجلة البعثة طيلة فترة صدورها وهي تورد الموضوعات المختلفة عن الشيخ فهد السالم، فهي لم تتأخر عن ذكر رحلاته، وما يزاوله من أنشطة خلال هذه الرحلات. ولا عن أعماله التي يقوم بها في الكويت، ولا عن صلاته بالناس، وحبه لأبناء وطنه، وحرصه على الالتقاء بطلبة الكويت في القاهرة أو في لندن كلما سنحت له الفرصة فزار هذين البلدين. ولقد لاحظنا أن حياة هذا الرجل كانت غنية بالأفعال الطيبة، وكانت جديرة بأن نسجل خطواته فيها لما كان يمثله من صورة المواطن المخلص لوطنه الحريص على أن يؤدي واجباته نحو هذا الوطن على أكمل وجه ولقد قامت مجلة البعثة بقسط كبير من هذا الذي نعنيه هنا.

☆☆☆☆

كان الشيخ أحمد الشرباصي كاتبًا ذائع الصيت، وخطيبًا ملهمًا يتحدث في مختلف الموضوعات بارتجال المتمكن من معلوماته المالك لعنان القول. وكان من كتاب مجلة البعثة منذ صدرت ومن ذوي العلاقة مع كافة العاملين فيها، وهي علاقة استمرت إلى وفاته. وقد دُعي إلى الكويت، ولم تكن دعوته لزيارة خاطفة بل إنه دعي لكي يقيم سنة دراسية كاملة أمضاها مدرسًا بالمدرسة المباركية، ولقد كان خلال هذه السنة شعلة من النشاط داخل المدرسة وخارجها وزار العديد من الناس، واستمع إلى أحاديثهم ووطّد علاقاته بهم، ولم يفتْهُ أن يجمع كافة ما كتب خلال وجوده في الكويت، وكافة ما ألقاه من خطب على منابر المساجد أو المدارس

أو الأندية فيجعل كل ذلك في كتاب كبير الحجم، يلقي الضوء على تلك الفترة من حياة الكويت ويُخبر عن أهلها. هذا الكتاب هو «أيام الكويت» الذي صدر في سنة ١٩٥٣م.

تحدث الشرباصي عن الشيخ فهد السالم الصباح في كتابه المذكور هنا. وقد بدأ ذلك بإيراد أسئلة وجهها إلى عدد من المسؤولين في الكويت، وردودهم عليها، وكان من هؤلاء المسؤولين الشيخ فهد السالم الصباح الذي تلقّى من الشرباصي عدة أسئلة فأجاب عليها، وقام هذا الأخير بنشرها في كتابه المذكور. وهذه هي الأسئلة والأجوبة:

س١: ما أهم المشروعات الإصلاحية التي تمت في الكويت خلال السنوات الخمس الأخيرة؟ وما المشروعات التي يُنتظر أن تتم قريبا؟.

ج١: لقد تم في الكويت خلال السنوات الخمس الأخيرة إنجاز مشروعات كثيرة، وأستطيع أن أقول إننا بدأنا العمل جديًّا منذ وضعنا مشروع تنظيم المدينة، حتى نستطيع أن نبني على أسس واضحة، ولقد أشرفت على وضع وتنفيذ هذا المشروع دائرة الأشغال العامة، التي من شأنها أن تشرف وتساهم في تنفيذ الكثير من المشروعات الحيوية التي تعود على البلاد بالخير. فتعبيد الطرق الكثيرة، ومشروع مياه السيل، وإنشاء المدارس والجوامع، ومشروع تقطير المياه، ومشروع الكهرباء والمستشفيات (الأميري، والسل، والأطفال، بجميع أقسامها) كل ذلك كان بإشراف دائرة الأشغال العامة، ومجلس الإنشاء الأعلى الذي أخذ بدوره بالمساهمة في التوجيه والإشراف.

كما أنني أريد أن أشير إلى إنشاء الدوائر الأخرى، التي كانت ضمن المشروعات الكبيرة التي تمت خلال السنوات الأخيرة، والتي كان لها الفضل الكبير في التوجيه،

والتعاون في سبيل رفعة البلد ونهضتها. فدائرة المعارف مثلًا تقوم بقسط كبير في سبيل إعداد الجيل الجديد، ودائرة الصحة العامة هي دائرة كبيرة مستقلة تشرف على العلاج والوقاية في المدينة، مما أدى إلى ارتفاع مستوى الصحة في البلاد. ولقد ساهمت البلدية بنصيبها، وإننا نأمل أن تعمم وتزيد فائدتها في المستقبل.

أما المشروعات التي ننتظر أن تتم قريبًا فكثيرة أيضًا، ولعل أبرزها هو إنشاء ميناء الشويخ الكبير، كما أن هناك مشروعاً يرمي إلى جر (الغاز) إلى البيوت للاستفادة منه، كما أننا بدأنا فعلًا في بناء مستشفى جديد للسل (٢٥٠ سريراً) وآخر للعمال، وسننشئ معملا لتحضير الطوب (الطابوق)، ومعملًا آخر لتحضير بيوت جاهزة للسكن، كما أن النِّيّة لا تزال متجهة إلى توسيع المدارس، وبناء مدارس خاصة للأطفال، وأخرى للصنائع، بالإضافة إلى الجامعة التي نأمل أن ينتهي العمل فيها قريباً. وتتجه نية الحكومة إلى بناء مختبر عالمي للدراسة والأبحاث، كما أن هناك نية لإنشاء فندق كبير للحكومة، هذا بالإضافة إلى تعبيد الطرق والشوارع، بحسب مشروع تنظيم المدن. ولا يفوتني أن أذكر أن النية متجهة لإنشاء دائرة شؤون اجتماعية تضم مأوى للعجزة.

هذه بعض مشروعاتنا المقبلة، التي باشرنا العمل بتنفيذ قسم منها منذ مدة، والتي نأمل أن ننتهي منها لنتفرغ لغيرها.

س٢: هناك فكرتان، الأولى تقول بتغيير مدينة الكويت وتجديدها، والثانية تقول بالإبقاء على المدينة، مع بناء مدينة جديدة في الشويخ، فإلى أي الفكرتين تميلون؟

ج٢: إنني من المؤمنين بضرورة تغيير وتجديد مدينة الكويت، ولا أعتقد أنه من الضرورة أن نبني مدينة جديدة في الشويخ، فالعمار والبناء في الشويخ إن هو

إلا امتداد طبيعي للمدينة التي أخذت في التوسع بحكم أوضاعها الجديدة، ولقد اتخذت كل من دائرة الأشغال العامة، ودائرة الصحة العامة جميع الاحتياطات، واستعملت جميع الوسائل، في سبيل تجديد وتغيير المدينة على أسس صحية، وعلمية فنية، والعمل لايزال مستمرًّا.

س٣: يلاحظ أن الكويت تعتمد في مواد البناء على الخارج، فهل اتخذت خطوات لإنتاج هذه المواد داخل الكويت عن طريق المصانع والمعامل؟

ج٣: أنا لا أنكر أن الكويت تعتمد في مواد البناء على الخارج، وذلك لسبب بسيط، وهو أن المواد (الخام) تكاد تكون معدومة في البلاد حتى الوقت الحاضر؛ إلا أن النية متجهة إلى تشجيع الصناعة، وإنشاء مصانع محلية لصنع هذه المواد، واستهلاكها داخليًّا، ولكن ذلك يتطلب بعض الوقت. كما أن الحكومة استحضرت آلات كبيرة لتصنيع (البلوكات) التي تساهم في عمليات البناء للبيوت الجاهزة، كما استحضرت مكائن لصنع الطوب (الطابوق).

س٤: يقول بعض الناس إن الشؤون الصحية في الكويت تعتمد على العلاج أكثر من الوقاية، مع أن الواجب العكس، فهل هذا صحيح؟ ولماذا.

ج٤: لقد كان هذا صحيحًا قبل سنتين، فقد كانت دائرة الصحة العامة تعنى بالعلاج أكثر من الوقاية، وذلك لكثرة الأمراض الموجودة، ولكن دائرة الصحة التفتت إلى تلك الناحية، فعينت سنة ١٩٥١ طبيبًا خاصًّا له خبرة واسعة في هذا الميدان للإشراف على شؤون الوقاية؛ فافتتحت دائرة الوقاية في الصحة عدة فروع لها، أبرزها فرع خاص لفحص طلاب المدارس، وفرع آخر لمراقبة وترخيص الحرف والصناعات ومكافحة الحشرات بواسطة آلات (التيفا) المشهورة، والتي

نملك منها ستُّ آلات، كما أشرف قسم الوقاية على مكافحة الجرذان، ومراقبة الأمراض السارية، وتفتيش المجاري العامة والخاصة، وأشرف على نظافة المدينة والقرى المجاورة.

س٥: يشكو السكان من غبار الطرق والشوارع، لأنه يسبب مرض العيون والصدر، فهل هناك جهود لرصف هذه الطرق والشوارع؟

ج٥: إن دائرة البلدية تعنى برصف الشوارع لاتقاء الغبار، ولكن ذلك ليس سهلًا كما يتصور الكثيرون، لأن الطبيعة تقسو في محاربتها لنا أحيانًا.

س٦: هل هناك تفكير لتجميل الشاطئ أمام الكويت، بالرصف والشجر والمقاعد؟ ومتى؟

ج٦: نعم، هناك بعض الاقتراحات بشأن تجميل الشواطئ؛ وأتمنى أن نُنفِّذَها في الوقت المناسب.

ومما يتبين من إجابات الشيخ فهد على الأسئلة المقدمة إليه أنه محيط بكثير من الأمور في وطنه، وأنه يمثل المسؤول القادر على تصور مشكلات عصره ووضع الحلول لها. وقد جرى اقتطاف ما يفيدنا في هذه الناحية دون أن نقدم كافة ما قام الشرباصي بنشره في كتابه. ولا يفوتنا أن نذكر أنه وفي ص٤٢٥ من الكتاب المذكور تحدث الشرباصي عن زيارة لقي خلالها الشيخ وتناول معه خلالها أطراف الحديث في موضوعات شتى.

وهذه نهاية الجزء الثاني من هذا المقال.

****

الشيخ فهد السالم الصباح
رجل في تاريخ الكويت (٣)[1]

وإذا كانت مجلة البعثة قد كتبت عن الشيخ فهد السالم وأشادت به وبأعماله. فإن مجلة «الرائد» لم تكن ببعيدة عن هذه الأجواء فقد نشرت عنه كثيرًا من المعلومات.

ومجلة «الرائد» هي المجلة التي كان يصدرها نادي المعلمين في الكويت الذي نشأ في سنة ١٩٥١م، ثم قام بإصدار مجلته التي نالت شهرة كبيرة في البلاد وفي خارجها، ولكنها لم تُعمِّر كثيرًا فقد صدر أول عدد منها في شهر مارس لسنة ١٩٥٢م، وتوقفت بعد صدور العدد الصادر في شهر يناير لسنة ١٩٥٤م. وكان يرأس تحريرها كل من أحمد العدواني وحمد الرجيب وفهد الدويري.

قام مركز البحوث والدراسات الكويتية - كجاري عادته - بإعادة طبع أعداد المجلة المذكورة مصورة تصويرًا كاملًا وقدمها لمن يريد من القراء وهو أمر يشكر عليه. ولم يكتف بنشر البعثة والرائد فقد نشر مجلة «كاظمة» التي كان يصدرها الأستاذ أحمد السقاف، ومجلة «الصحة المدرسية» التي كانت تصدر بالتعاون بين دائرتي الصحة والمعارف، وأخيرًا فإن المركز قد أصدر مجلة الإيمان التي كان النادي الثقافي القومي يصدرها منذ سنة ١٩٥٣م. ومجلة المعهد الديني التي كان

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١١/٧م.

يصدرها «معهد الكويت الديني» وقد صدر منها عدد واحد فقط، وكان ذلك في شهر أبريل لسنة ١٩٥٤م.

ومما نشرته (الرائد) من الأمور المتعلقة بموضوعنا مايلي:

- كان الأستاذ منصور سالم مدرسًا في الكويت معارًا من بلاده مصر، وقد كان عمله في مدرسة الصباح، وقد اضطر إلى دخول المستشفى الأميري من أجل إجراء عملية جراحية لاستئصال الدودة الزائدة، وقد تم له ذلك، وبعد الشفاء ومغادرة المستشفى كتب مقالاً تناول فيه تجربته هذه ونشره في مجلة الرائد، وكان النشر في العدد الصادر في شهر أبريل لسنة ١٩٥٣م. ومما جاء في المقال:

«ولقد رأيت حضرة صاحب السعادة الشيخ فهد السالم يسأل المرضى عن أحوالهم، وطلباتهم، وملاحظاتهم، غير مُبالٍ بجنسية المريض. لأن سعادته يعتبر المريض صاحب حق إنساني».

والمقال يحتوي على صور عديدة منها صورة للشيخ فهد، ومناظر تتعلق بالمستشفى.

☆☆☆☆

واستمر اهتمام مجلة الرائد بأخبار الشيخ فهد السالم الصباح. وكان مما تحدثت عنه ذلك النشاط الذي بذله في مجلس الإنشاء الذي تولى رئاسته، وأعلنت المجلة عن ذلك في عددها الصادر في شهر يناير لسنة ١٩٥٣م، حين قالت: «رأس الشيخ فهد السالم الصباح مجلس الإنشاء، و«الرائد» ترجو أن يحقق الله الآمال على يديه».

وتحدثت فيما بعد عن أخبار المجلس وقراراته التي اتخذها منذ سنة ١٩٥٢م، وكان دوره مهمًّا في نهضة الكويت العمرانية، وتطور منشآتها وطرقها، مع الحرص على أن تكون الأعمال المنجزة على أفضل مستوى.

ومما ورد في الرائد ضمن العدد الصادر في شهر فبراير لسنة ١٩٥٣م ما يلي: «عندما تعرض مجلس الإنشاء في إحدى جلساته إلى موضوع استيراد بعض الآلات من الخارج رغب صاحب السعادة الشيخ فهد السالم الصباح رئيس المجلس أن يسجل في محضر الاجتماع مايلي: «أن رغبة حضرة صاحب السمو الصريحة هي نفسها رغبة المرحوم الحاكم السابق، وهي المحافظة على مصالح الكويتيين، وذلك باستيراد أية مشتريات من الشركات والمؤسسات الأجنبية بواسطة الوكالات الكويتية إذا وجدت».

وفي ص٥٠ من العدد الصادر في شهر مارس ١٩٥٢م مقال بعنوان حديث الناس وفيه حديث عن خطط تحسين البلاد، ودعوة للبلدية كي تنهض بهذا الأمر، وفيه: «وللجميع أمل كبير في حل هذه المشكلة الخطيرة بحكمة حضرة صاحب السعادة الشيخ فهد السالم الصباح رئيس البلدية وأعضاء المجلس، وهو وهم من عرفوا بالحنكة والدراية، والرأي الصائب، والرعاية الصالحة لمصالح الشعب، ومتطلبات الظروف».

وفي ص٣٩٥ - وما بعدها من العدد الصادر في شهر مايو ١٩٥٢م مقال عن الكويت نشرته جريدة الرسالة بمناسبة زيارة الشيخ فهد لمنطقة ديترويت، وفيه إشارة إلى هذه الجريدة التي تصدر في ديترويت وقد سبق لها نشره في سنة ١٩٥١م بمناسبة زيارة الشيخ فهد لهذه المدينة.

☆☆☆☆

في أعقاب حرب تحرير الكويت، أصدر أستاذ جامعي قدير كتابًا عن هذا الموضوع، وهو الأستاذ الدكتور حبيب الرحمن. الذي أنجز بحثًا غاية في الروعة نال بسببه الجائزة الأدبية في أسبوع التاريخ الدولي لسنة ١٩٩٧م.

ولكي يتحدث عن موضوع الغزو والتحرير كان لابد له وأن يتحدث عن الخلفيات فبدأ بذكر الأحداث المتعلقة بالحدود بين الكويت والعراق، ومسألة إسالة مياه شط العرب إلى الكويت، وإلحاح الحكومة العراقية في ذلك الوقت على استغلال عرضها الذي ثبت أنه لا يحتوي على أية مصداقية، إلى أن تطرق إلى مواقف بعض الرجال من أبناء الكويت الذين أسهموا في دفع الأذى في ذلك الوقت ومنهم الشيخ فهد السالم الصباح الذي تردد اسمه كثيرًا في حديث المؤلف عن هذا الأمر.

ولقد كان حديث الدكتور حبيب الرحمن حديثًا مستفيضا تناول كافة جوانب الموضوع، وأوضح الظروف التاريخية التي كانت سائدة آنذاك، وفق ما يمكننا عرضه فيما يلي بدون إخلال بمجمل ما جاء في الكتاب:

يرجع التفكير في إسالة مقدار من مياه شط العرب إلى الكويت إلى سنة ١٩٢٨م، ولكن الفكرة لم تكتسب قوتها إلا في الخمسينيات من القرن الماضي. وفي أكتوبر من سنة ١٩٢٨م كتب المقيم السياسي البريطاني في الكويت ترينشارد فاول يقول إن اقتراحًا شائعًا بدأ يتردد في الكويت متضمنًا نقل المياه العذبة بواسطة الأنابيب من العراق إلى الكويت. وكانت العراق تطرح الفكرة من أجل الحصول على مطالب محددة من الكويت إضافة إلى أن الخط فيما لو أنشئ فإنه سوف يكون عنصر ضغط يستفيد منه الجانب العراقي لتحقيق أغراضه. أما المطالب التي طرحت في المقابل فكان أهمها أمرين، هما: مد خط أنابيب لنقل البترول العراقي عبر الأراضي الكويتية، واستغلال جزء من أم قصر التي تملكها الكويت لاستعمالها ميناء للعراق.

والغريب أن العراقيين لم يعلنوا في أي مرحلة من مراحل البحث في هذه الأمور عن عزمهم على الاتفاق النهائي على ترسيم الحدود بين البلدين، وهو الأمر الذي أثار حولهم شكوك الحكومة الكويتية.

في سنة ١٩٥٢م زار أمير الكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح بغداد، والتقى بعدد من كبار المسؤولين فيها، وقد أبلغه العراقيون – آنذاك – بأنهم مستعدون لضخ المياه العذبة من شط العرب إلى الكويت. وقد تابع الشيخ عند عودته إلى بلاده هذا الموضوع وطلب من البريطانيين متابعة الأمر مع الجهات العراقية وفقًا للارتباطات الكويتية – البريطانية. وعلى الرغم من أن الجانب البريطاني كان شديد الشك في النيات العراقية بالنسبة لهذا الموضوع، وكان واثقًا أشد الثقة من أن أحد أسباب رغبة العراق الشديدة في تزويد الكويت بالمياه هو جعلها تعتمد نهائيًا على المياه العراقية إلا أن البريطانيين لم يترددوا في تلبية طلب الشيخ عبدالله السالم، فانطلقوا يبحثون الأمر مع سلطات بغداد بكل جدية.

ومع ذلك فقد كان الاقتراح البريطاني المعروض على الكويت هو عدم الموافقة على المشروع المقدم بشأن المياه ما لم يكن مشروطًا بأن يتعهد العراق بتخطيط الحدود بين البلدين. وكان السفير البريطاني في بغداد جون تراوتبك هو الذي يتولى المباحثات مع العراقيين في هذا الشأن حتى شهر يناير من سنة ١٩٥٤م حيث نقل من موقعه وحل محله السير مايكل رايت في أوائل سنة ١٩٥٥م بدأ مايكل رايت مرحلة جديدة مضنية من البحث في الموضوع، وأدخل العراق إلى موضوع المياه موضوعًا آخر هو طلب استئجار أرض كويتية في أم قصر وما جاورها، ولكن الموضوعين لقيا معارضة شديدة في الكويت لعدة أسباب منها رفض تأجير الأراضي للغير، وهو الموقف الذي وقفه الشيخ مبارك الصباح حين رفض تأجير كاظمة للألمان. ومنها الأجحاف الذي تتعرض له الكويت من جراء هاتين المسألتين إضافة إلى عدم الثقة بالجانب العراقي وهو أمر تبرره الأحداث الماضية وقد أبرزته الأحداث اللاحقة.

تولى الشيخ فهد السالم الصباح رئيس مجلس الإنشاء الحملة المضادة للاتفاقيتين المقترحتين. وحاول الجانب البريطاني الذي تولى كما أشرنا من قبل المباحثات حول هذين الأمرين استمالة الشيخ فهد حين زاره المقيم السياسي في الكويت (بل) في الخامس عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٥٥م لاقناعه بجدوى خط أنابيب المياه وفائدته للكويت، وأن سيئات تأجير الأراضي الكويتية ليست بالأمر الذي يتصوره الشيخ. وكان رد الشيخ فهد السالم صريحًا وواضحًا فقد أجاب المقيم السياسي بقوله: «إن الكويت إذا قبلت باتفاقية شط العرب، فستكون ملزمة أخلاقيًا بقبول اتفاقية أم قصر، التي سوف ينجم عنها وجود غير مستحب لقاعدة بحرية عراقية إلى جوارنا بل على أرضنا المستأجرة». وقد استشف المقيم السياسي البريطاني من المقابلة أن الشيخ فهد السالم كان مقتنعًا بأن تطوير ميناء كبير في المكان المستهدف سوف يقضي على حركة التبادل التجاري القائمة من خلال ميناء الكويت. وأن الشيخ غير واثق من أن الجانب العراقي سوف يأذن لشركة نفط الكويت بالتنقيب عن النفط في كافة أنحاء جزيرة وربة، والمجرى المائي المتاخم لها متذرعين بأية ذرائع لا ينفكون يرددون أمثالها في مناسبات متعددة أخرى. كما استشف المقيم السياسي البريطاني أن عددًا من تجار الكويت قد أبدوا للشيخ مخاوف من هذا القبيل هي التي أكدت عزمه، على اتخاذ جانب المعارضة لأنّه رأى فيها مصلحة الكويت. ولذا فقد أحجم المقيم عن تقديم مسودتي الاتفاقيتين لعلمه بقوة معارضة الشيخ فهد، ولاستنتاجه بأن هذه المعارضة سوف تتزايد بانضمام آخرين إليها.

في هذا الوقت كان الجانب العراقي يتحرق شوقاً إلى تنفيذ الاقتراحين، وقد نفد صبره عندما أَحَسّ بالمعارضة القوية لهما، ورغبة في حث الكويت على المضي قدما في قبول وتوقيع الاتفاقيتين فقد أسرع رئيس وزراء العراق – آنذاك – نوري السعيد إلى زيارة الكويت في خلال شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٥م ليبحث مع الشيخ

فهد السالم – مباشرة – مشروع أنابيب المياه الذي سيؤدي بدوره إلى قبول مشروع التأجير، ولكن الرئيس العراقي فشل في إقناع الشيخ فهد السالم. وقد أحبط نوري السعيد من جراء هذا الموقف الذي اتخذه الشيخ لمصلحة بلاده، وقال للقائم بأعمال السفير البريطاني في بغداد إن العراق في حاجة الى هذا المرفأ لما له من أهمية في تصدير النفط ولكن الشيخ فهد السالم لم يتفهم هذه الأمور البسيطة، والواقع أن نوري السعيد ينظر إلى الأمور بمنظار آخر هو منظار المطامع التي طالما ترددت من أفواه عدد من المسؤولين العراقيين. وفي المقابل فإن الجانب الكويتي أضحى أكثر اقتناعًا بعدم السير في هذا الطريق.

والغريب أن القائم بأعمال السفير البريطاني في بغداد روبن هوفر كان يظن أن الشيخ فهد يتوقع الحصول على منفعة من إنشاء معامل لتقطير المياه في الكويت. وقد استقى هذه الفكرة من شخص بريطاني يعمل في حقل المياه وتصريفها في بغداد يدعى جورج سميثورست وقد رفض (بل) الوكيل السياسي البريطاني في الكويت هذه المزاعم قائلًا: «من الصعب أن نرى كيف يمكن أن يكون لفهد أي مصلحة مالية في الأمر، كما أنني لا أعلم أي أسباب شخصية تجعله يفضل معامل تقطير المياه على مخططات «شط العرب» وهكذا نفى هذا البريطاني أن يكون موقف الشيخ فهد المضاد للمشروعين يرجع إلى أسباب مادية يستفيد منها، أو إلى أسباب شخصية يحتفظ بها في نفسه. وهذا – في حد ذاته – يؤكد أن ما قام به الشيخ إنما قام به من أجل مصلحة بلده بعيدًا عن أية مؤثرات أخرى.

وقد استمر الإلحاح العراقي على طلب استئجار أم قصر، فأشاروا إلى إمكانية إدارة الميناء الذي سوف ينشأ عليها بصورة مشتركة بين البلدين. وقد وصل إلى الكويت – بناء على إلحاح نوري السعيد – مسؤول بريطاني عارضًا مشروعي اتفاقيتين على الشيخ عبدالله السالم، معلنا أن هذه فرصة لا تعوض حيث إن

العراقيين قد عرضوا الموافقة على تخطيط الحدود فيما بعد، ولكن الشيخ عبدالله لم يكن واثقًا من الأمر كله، فطلب مهلة للدراسة وتقليب الموضوع على وجوهه المختلفة قبل اتخاذ أي قرار بشأنه. وقد قام المندوب البريطاني بعد ذلك بعرض ما جاء به على الشيخ فهد السالم الذي قال في رده على ذلك المندوب: «يجب أن تحتفظ الكويت بالملكية، وبالسيطرة الفعلية على أراضيها، ولا تتنازل عنها بموجب عقد إيجار قد يعني – في المحصلة – التنازل عنها إلى الأبد». وقد لجأ العراق إلى حيلة أخرى وهي الادعاء بتأجيل العمل في مشروع ميناء أم قصر، والتوجه إلى إسالة ماء شط العرب بواسطة الأنابيب إلى الكويت وأرسل نوري السعيد إلى الشيخ عبدالله السالم ليخبره بذلك، ولكن الشيخ عبدالله بعد دراسة الموضوع أعلن في الثامن عشر من شهر يناير لسنة ١٩٥٦م أنه لا يستطيع قبول مشروع مياه شط العرب.

وقد شاركه في اتخاذ هذا الرأي عدد من أفراد الأسرة الحاكمة وأعيان البلاد وكان الشيخ عبدالله السالم يرى أن وضع الكويت تحت رحمة العراق حين يصبح المصدر الوحيد لتزويدها بالماء سوف يكون خطأ فادحًا، فإنه يفضل أن تحل مشكلة المياه في البلاد بصورة يوثق بها كثيرًا، وذلك عن طريق إنشاء عدد من معامل تقطير المياه.

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد ففي شهر مايو لسنة ١٩٥٦م عاد الموضوع إلى ما كان عليه، وطرح على المجلس الأعلى الكويتي مجدداً مشروع إسالة مياه الشرب من شط العرب، وقد وافق هذا المجلس على المشروع وفق شروط منها:

١ – أن يوافق العراقيون على تخطيط الحدود استنادًا إلى الرسائل المتبادلة في سنة ١٩٣٢م.

٢ – ألا يطالب العراق في أي وقت بأمر يمكن أن يؤثر في أمن الحدود الكويتية كإنشاء مرفأ في أم قصر.

٣ - يجب على الحكومة البريطانية أن تكفل تطبيق هذه الاتفاقية لتفادي حصول أي سوء تفاهم، أو صعوبة في المستقبل.

٤ - يجب أن تترافق المفاوضات مع العراق حول مشروع المياه مع المفاوضات المتعلقة بخط أنابيب النفط الممتد من الزبير إلى الكويت.

لقد بات واضحًا أن الكويت لن تفرط بشيء من أراضيها، ولن تجعل مصير شعبها تحت رحمة العراق. وأنها ترى أن الفرصة سانحة للحصول على مطالبها بتخطيط الحدود بين البلدين وبخاصة وأن نوري السعيد صاحب الرسائل المتبادلة هو الآن رئيس وزراء العراق. وبات واضحًا أن التعنت العراقي في رفض تخطيط الحدود مع الكويت ليس إلا دليل سوء نية، ورغبة أكيدة في فتح مطالب أخرى في المستقبل. وقد ظل الجانب البريطاني المكلف بمتابعة الموضوع بين البلدين فترة من الزمن لا يقدم أي جديد ولكن المقيم البريطاني في الكويت زار الشيخ فهد السالم رغبة في إزالة شكوك الشيخ في نوايا العراقيين. وبهذه المناسبة دعته الحكومة العراقية إلى زيارة بغداد، وقد قام المقيم البريطاني في الكويت (بل) بزيارة الشيخ فهد بعد قبوله القيام بالزيارة تلبية للدعوة العراقية؛ ليخبره بأَنّ من اللازم أنه سوف تترتب على الكويت تقديم تنازلات إذا وافق العراقيون على تخطيط الحدود. ولكن الشيخ قال له بصريح العبارة: «أن حاجة الكويت إلى المياه العراقية، وحاجة العراق إلى منفذ إضافي للنفط تجعلان إنشاء خط أنابيب للمياه مقابل خط أنابيب للنفط، ترتيبًا عادلًا» وقد قام الشيخ فهد السالم برحلته التي كانت منتظرة إلى بغداد دون أن يثار في خلالها من قبل أي من الطرفين موضوع إسالة المياه أو موضوع تخطيط الحدود. فكانت زيارة برتوكولية بحتة.

لقد كانت موضوعات البحث متعددة مع العراقيين كمسألة إسالة المياه، ومسألة تطوير أم قصر، ومد خط أنابيب النفط من الزبير إلى الكويت، وكانت

الكويت مستعدة لبحث كل ذلك على أن يكون مشروطًا بتخطيط الحدود. وكان العراق يرفض - دائمًا - الخوض في هذه المسألة مما يعني أنه يضمر للكويت سوءاً يمكن أن يظهره في أي وقت، ولو كانت النية سليمة لما تردد في تلبية هذا الطلب العادل، وبخاصة وأنه أنهى تخطيط حدوده مع مجاوريه إلا الكويت.

أما الشيخ فهد السالم فقد وقف موقفًا وطنيًّا سليمًا في رد كل الاقتراحات العراقية التي تخفي من ورائها أمورًا يمكن ان تسيء إلى الكويت أو تنقص من أراضيها، أو أنها تسعى لجعلها تحت رحمة العراقيين.

☆☆☆☆

وبعد فقد آن لنا أن نختتم مقالنا هذا، ولعل أفضل ما نختتم به هو ما ذكره الأستاذ أحمد البشر الرومي في أوراقه الخاصة. وكان معاصرًا للشيخ وله به علاقة طيبة تُفْصِحُ عنها الكلمات التالية:

أول ما نراه من ذلك ما كتبه الأستاذ البشر في ص ٨١ من كتابنا: «أحمد البشر الرومي.. قراءة في أوراق الخاصة» وما ورد في الصفحة المذكورة يدل على العلاقة الشخصية المتينة بين الرجلين، ولذا فقد ورد في اليوميات: «خرج أهل البيت إلى البر، وقد نزلوا عند عبدالرحمن بالمسيلة، وتم نقلهم بسيارة، نقلت أغراضهم في الدرب الأول، ونقلت النساء في الدرب الثاني، والسيارة مساعدة من الشيخ فهد السالم». (١٩٤٥/٣/٢٤).

ثم جاء ذكر الشيخ في أكثر من موضع بعد ذلك، وهذه المواضع هي:

١ - عين صباح هذا اليوم (١٩٥١/١٢/٦م) الشيخ فهد السالم رئيسًا للصحة والبلدية. وكان يرأس هاتين الدائرتين من قبل: الشيخ عبدالله السالم.

٢ - يدور حديث عن تأسيس شركة مقاولات وطنية بموافقة الشيخ فهد السالم (١٩٥٢م).

٣ - صدر منشور ممضي من الشيخ فهد السالم تتعهد فيه دائرة الأشغال العامة بالقيام بجميع الأعمال الإنشائية للدوائر الحكومية. (١٩٥٣/١/٩م).

٤ - أصدر الشيخ فهد السالم في ١٩٥٣/٣/٣١م رسالة أوضح فيها صلاحيات الجنرال هيستد الذي اختارته الحكومة مشرفًا على الأعمال الإنشائية.

٥ - منذ ثلاثة أيام (١٩٥٥/٢/١٠م) وصل الشيخ فهد السالم من مصر بعد سياحة في أوروبا.

☆☆☆☆

وبعد، فقد كان لوفاة الشيخ فهد السالم وقع شديد في الكويت بأسرها. وتناقل الناس الخبر وهم في غاية الأسى، وتم نعيه على المستوى الرسمي.

وكان أبرز عنوان حملته الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» هو العنوان الذي يذكر وفاة الشيخ فهد السالم الصباح التي كانت مفاجئة للجميع. فقد جاء في العدد الصادر في اليوم الثامن والعشرين من شهر يونيه لسنة ١٩٥٩م من الجريدة المذكورة، وكان تحت رقم ٢٩٩، ما يخبر عن الوفاة بأن وضعت الجريدة في صدرها صورة كبيرة للفقيد وجعلت عنوانها: «البقاء لله وحده» ثم ألحقت ذلك بالنعي الصادر من دائرة المطبوعات والنشر التي تصدر الجريدة ونصه ما يلي:

«انتقل إلى رحمة الله يوم الثلاثاء ١٦ يونيو ١٩٥٩م الموافق ١٠ ذو الحجة ١٣٧٨هـ المغفور له الشيخ فهد السالم الصباح عن عمر يناهز الخمسين عامًا، على إثر أزمة قلبية. درس الفقيد في الجامعة الأمريكية في بيروت وتقلد عدة مناصب رئيسية في الحكومة، فكان رئيساً لمجلس الإنشاء، ورئيساً لدوائر الأشغال العامة والبلدية والصحة العامة والبريد والبرق والتلفون والإسكان والشؤون الإدارية.

والكويت اليوم إذ تتقدم إلى حضرة صاحب السمو حاكم البلاد المعظم وجميع أفراد عائلته الكريمة خاصة، وإلى الكويتيين عامة بخالص العزاء، تدعو الله أن

يسكن الفقيد الكريم فسيح جناته، وأن يتغمده بواسع رحمته، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان».

وذكرت الجريدة الرسمية بعد نعيها هذا البيان الذي أصدره سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت آنذاك بمناسبة وفاة أخيه الشيخ فهد السالم وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

شعبي العزيز

بمزيد من الامتنان أشكر جميع الذين أعربوا عن محبتهم ومواساتهم لنا في فقيدنا العزيز سواء من حضر منهم أو أناب عنه، راجياً للجميع حياة طيبة وعمرًا طويلاً».

عبدالله السالم الصباح

☆☆☆☆

لئن طويت صفحة حياة الراحل بذلك، فإن ذكره لم يطو أبداً فهو في ذاكرة الشعب وفي صفحات تاريخ الكويت.

☆☆☆☆

وكما أشرنا قبل قليل إلى أن هذا هو ختام مقالنا ولقد وجدنا فيه ما يدل على نشاط الشيخ فهد السالم الصباح وقوة همته، وحسن علاقاته بأبناء وطنه.

****

شيء من التاريخ في صورة[1]

نجد في صورة ما - أحيانًا - ما لا نجده مكتوبًا في كتاب أو نراه سائراً على الألسنة. وفي الوقت نفسه فإن الصورة تعبر عن جزء ولو كان يسيرًا عن تاريخ الكويت، وهذه الصورة التي نقدمها هنا من هذا النوع، فهي تلفت النظر لأول وهلة فَنَجِدُ فيها ما يجب أن نقوم بكتابته حتى يحفظ ضمن ما تناثر من تاريخ الكويت الذي نسعى ويسعى عدد من أبنائها إلى كتابته ولو على أجزاء يسيرة إلى أن تتسنى كتابته كاملًا بعد أن تتم هذه المنثورات التي نجدها - أحيانًا - في الصورة أو نجدها في أحيان أخرى في وثائق كشف عنها الزمن بعد مرور حين على كتابتها، وهذا الجهد عندما يؤدي إلى هذا الغرض النبيل وهو الحصول على تاريخ شامل لبلادنا فإنه جهد طيب والكويت تستحق أن يبذل أشق الأعمال من أجلها فهي أمنا التي احتضنتنا منذ سنة ١٦١٣م.

هذا وإن الذي أثار هذا الحديث هو اطلاعي على صورة لها تاريخ، أهداها إليّ أخي الأستاذ سليمان عبدالله العنيزي، وهي من الصور التي التقطت عندما كان يعمل مستشارًا ثقافيًّا في سفارة الكويت بلندن.

وسبب التقاط هذه الصورة هو اجتماع عدد من الرجال حول مائدة أعدها سفير دولة الكويت هناك السيد أحمد النقيب تكريمًا للسلطان قابوس بن سعيد الذي كان يزور لندن - آنذاك - في أعقاب وصوله إلى الحكم في بلاده.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٤م.

وقد صادف ذلك وجود سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح في لندن؛ فحضر هذه الوليمة هو وعدد من أبناء الكويت الذين سوف يأتي ذكرهم بعد قليل. وقبل أن نصل إلى ذلك فإنه لابد وأن نذكر أن لهذه الصورة دلالتها الواضحة على تقدير الكويت للسلطان قابوس، ولسلطنة عمان على وجه العموم، كما نعرف منها حسن العلاقة بين القيادة الكويتية والقيادة العمانية، وهذا هو ما جمع السلطان بالشيخ سعد الذي حرص كل الحرص على حضور هذه المناسبة التي يكرم فيها رجل أخذ على عاتقه في ذلك الوقت النهوض ببلده، ووضعه في مصاف الدول المتقدمة بأسرع وقت ممكن.

كانت الوليمة المشار إليها في سنة ١٩٧١م، وأخذت هذه الصورة في أعقابها وكان في صدرها جلالة السلطان قابوس بن سعيد، وسمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح. وكان معهما في المشهد نفسه كل من السيد محمد عبدالرحمن البحر، والسيد عبدالرحمن سالم العتيقي والسيد سعدون الجاسم، والسيد عبدالله علي رضا، والسيد عبدالرحمن السلطان والشيخ فهد المحمد الصباح، والسيد محمد يوسف اليعقوب، والسيد السفير أحمد عبدالوهاب النقيب والسيد محمد الصالح، والسيد محمود درويش، والسيد موسى سليمان السيف، والأستاذ سليمان عبدالله العنيزي.

ويلاحظ أن في الصورة من الواقفين أكثر من صف، ولكن الأسماء المذكورة هنا إجمالاً تذكر جميع الحاضرين دون تحديد مواقعهم، يضاف إليهم رئيس مكتب الخطوط الجوية الكويتية في لندن السيد جورج شمعون. وفيما يلي بيان عن كل واحد منهم بحسب الامكان.

☆☆☆☆

السلطان قابوس بن سعيد نجم سطع - آنذاك - في سماء العرب، ابتهج الناس بوصوله إلى سدة الحكم في بلاده أملًا في الوصول بها إلى مجال من التقدم

هي أولى به. فقد كانت عمان بلداً عريقاً له تاريخ ضارب في القدم، وقد أمضى سنين طويلة وهو في الظل ولكن السلطان قد جاء لاخراجه إلى النور حتى يعرف العالم كله مقدار هذا الوطن، والقيمة الإنسانية العالية لأهله من أبناء عمان.

ولد السلطان قابوس بن سعيد في سنة ١٩٤٠م، ودرس في وطنه أولًا ثم سافر من أجل الدراسة في الخارج، فتوجه إلى بريطانيا حيث التحق بكلية سانت هيرست العسكرية، وتخرج فيها متفوقًا ثم عاد إلى وطنه. وكان همه منذ عاد أن يحسِّن من أوضاع البلاد، ويرفع من مستوى المواطنين، ولذلك فقد عرض على والده عدداً من المقترحات في هذا الشأن، ولكن الوالد كان متمسكًا بالأساليب التي تلقاها عن أبائه وأجداده ولم يقبل من المقترحات شيئاً. ولم يجد السلطان قابوس بدًّا من أن يتولّى الأمر بنفسه، رغبة منه في التغيير الذي به مصلحة البلاد وراحة المواطنين، ولذلك فقد تسلم مقاليد الحكم في عمان، وذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو لسنة ١٩٧٠م. وقد كان لذلك رد فعل طيب لدى الشعب العماني، بل ولدى دول الخليج كلها، لأن في انفتاح عمان على شقيقاتها الخليجيات قوة للجميع.

نهض جلالة السلطان قابوس بالمهمة الصعبة، وأحيا كثيراً من الأعمال التي كادت تتوقف، وأعاد للبلاد وجها جديداً ناصعاً كل من يراه يعرف مدى الجهد الذي بذله العاهل العماني في سبيل تطوير بلاده وتقدمها.

حرص السلطان على أمرين مهمين هما أن يباشر الاطلاع على واقع الأمر في بلاده كلها، فهو يكثر من زيارات كافة الأصقاع، ويجتمع بالمواطنين ويتحدث إليهم، لا يفصل بينه وبينهم شيء. أما الأمر الثاني فكان يتمثل في حرصه على اختيار حاشيته ومساعديه فهم ممن عرف إخلاصهم لوطنهم ووفاؤهم له شخصيًا وعرف ما يتميزون به من أخلاق قويمة وأمانة.

ومنذ البداية، وفي ظل هذين الأمرين اللذين أشرنا إليهما كان العمل العاجل الذي أنشأ به الوزارات والدوائر الحكومية المختلفة والمجالس المتخصصة. وسعى منذ البداية. في سنة ١٩٧٠م إلى تكوين علاقات متينة مع الخارج فأنشأ في هذه السنة وزارة الخارجية وفي سنة ١٩٧١م انضمت بلاده إلى جامعة الدول العربية بعد أن رتب أمورها الداخلية وسار بها إلى أبواب النجاح، وعمان اليوم تتمتع بصلات دبلوماسية مع عدد كبير من دول العالم وقد تحققت في داخلها سياسة السلطان التي هي الاستقرار والأمان. ولم ينس الاهتمام بالداخل فقام بإعداد الخطط وتنفيذها من أجل نشر التعليم وبناء المستشفيات وأنشأ بأسرع وقت جامعة السلطان قابوس التي صارت من أهم الجامعات العربية على الإطلاق.

وخلال السنوات القليلة التي تلت قيامه بتولي الحكم في سلطنة عمان شاهدنا الكثير من الأعمال من اهتمام بالصناعة، والزراعة، والتبادل التجاري مع دول العالم. كما شاهدنا الاهتمام بإنشاء الطرق والموانئ، ولاحظنا مدى النشاط العماني في مختلف المجالات.

ولقد كانت زيارة السلطان قابوس بن سعيد إلى لندن في السنوات الأولى من سني حكمه، وكان يريد بذلك تمتين العلاقات مع هذه الدولة الكبرى، ومحاولة الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية لوطنه لما في مثل هذه الزيارات من تقريب لوجهات النظر وإثارة للتعاون بين الدول.

أما الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح فهو علم من أعلام الكويت، لا يحتاج إلى تعريف، ولكن الأجيال التي تواترت بعد وفاته في حاجة إلى معرفة الكثير عنه. وهو من الذين ينبغي أن يعرفهم الناس ويسجل ذكرهم التاريخ حيث كان بطلًا من أبطال هذا الوطن تشهد مواقفه الكثيرة على ذلك ومن أهمها ما قام به عند الغزو الصدامي الغاشم وأثناء احتلال البلاد وبعد التحرير كان في الوقت الذي أقيمت

فيه الوليمة وذلك في سنة ١٩٧١م وزيرا للداخلية والدفاع، ثم في اليوم الحادي والثلاثين من شهر يناير لسنة ١٩٧٨م تمت المناداة به وليًّا للعهد بناء على ترشيح سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح. وجرى تعيينه رئيسًا لمجلس الوزراء في اليوم الثامن من شهر مارس لسنة ١٩٧٨م واستمر في هذا المنصب طويلًا وكان يشغل بحكم ذلك مجلس الدفاع الأعلى، والمجلس الأعلى للبترول، ومجلس الخدمة المدنية والمجلس الأعلى للإسكان، وكان خلال عمله مثالًا للإخلاص والوفاء بالمسؤولية والمقدرة التامة على إدارة البلاد إدارة حكيمة.

تلقى الشيخ سعد العبدالله السالم تعليمه العام في الكويت، ثم سافر في سنة ١٩٥٠م إلى المملكة المتحدة من أجل الالتحاق بكلية هاندن العسكرية، وعندما تخرج فيها التحق بعدة دورات تخصص فيها بشؤون الأمن والشرطة، ولم يتم هذه الدورات المكثفة إلا في سنة ١٩٥٤م. وفور عودته إلى الوطن عين نائبًا لرئيس دائرة الشرطة العامة، ثم في سنة ١٩٥٩م جرى تعيينه نائبًا لرئيس الشرطة والأمن العام حتى بداية سنة ١٩٦١م.

وفي اليوم السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م عين وزيرًا للداخلية وعندما جاءت سنة ١٩٦٤م أضيفت إلى مهماته وزارة الدفاع.

وقد نودي به أميرًا للبلاد فور وفاة الشيخ جابر الأحمد الجابر، ولكن ظروفه الصحية لم تسمح له بالاستمرار في هذه المسؤولية الكبيرة فتنازل عن حقه فيها إلى سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، الذي وقف أمام مجلس الأمة ليقول كلمته في أخيه الشيخ سعد العبدالله السالم فكان مما قاله: «وفي هذا المقام أتقدم باسمي وباسمكم، وباسم أهل الكويت جميعًا برسالة حب وتقدير ووفاء لأخي صاحب السمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، الرجل المعطاء لبلده من وقته وجهده وصحته، والبطل الذي زادته جراح الغزو الغادر قوة ومناعة

وإصرارا على متابعة مسيرة النضال حتى التحرير، وإعادة البناء والتعمير، رفيق الدرب لصاحب السمو الأمير الراحل رحمه الله، وشريكه في السراء والضراء، صاحب المكانة العالية في نفوسنا جميعًا، ومالك القلب الكبير الشخصية المستقرة في قلوب الكويتيين التي لم تكن لتستكين وتهدأ لولا حاجة صاحبها إلى الراحة، إنه قدر الله يسبق الجميع، وما شاء فعل، وسيبقى تاريخ الكويت نابضًا بذكراها العطرة ومآثرها الحية».

وأصدرت غرفة تجارة وصناعة الكويت بيانًا حول البيان الذي ألقاه سمو الشيخ صباح الأحمد أمام مجلس الأمة في اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير لسنة ٢٠٠٩م وهو البيان الذي قدمنا مقتطفًا منه آنفًا. وقد ورد في بيان الغرفة عن الشيخ سعد العبدالله السالم: «هو الذي عرفناه بحكمته وشجاعته وتواضعه وعفته وسمو أخلاقه فاغتمرت قلوبنا جميعًا بمحبته، وما عهدناه إلا مواسيًا للآلام، وبلسمًا للجراح، ومضحيًّا بجهده وصحته، حاملا هموم وطنه في قلبه وعقله ووجدانه.

وأضاف البيان: هو صاحب الدور التاريخي المشهود في مواجهة جريمة الغزو الغادر حيث واصل الليل بالنهار بجهود استثنائية حثيثة تعكس إيمانًا صادقاً بعدالة قضيته وعزماً لا يلين من أجل استعادته حرية الكويت.

هو الرمز الوطني الشامخ ذو المكانة الرفيعة المستندة إلى تاريخه الناصع الطويل في خدمة الكويت وأهل الكويت، وستظل تضحياته وأعماله ومواقفه وإنجازاته ماثلة في أذهان الكويتيين على مدى الدهر».

☆☆☆☆

الداعي إلى الوليمة كما قلنا فيما سبق هو سفير دولة الكويت في لندن السيد أحمد عبدالوهاب سيد خلف النقيب وكان ذلك في سنة ١٩٧٠م. وكان هذا

فيه الوليمة وذلك في سنة ١٩٧١م وزيرا للداخلية والدفاع. ثم في اليوم الحادي والثلاثين من شهر يناير لسنة ١٩٧٨م تمت المناداة به وليًا للعهد بناء على ترشيح سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح. وجرى تعيينه رئيسًا لمجلس الوزراء في اليوم الثامن من شهر مارس لسنة ١٩٧٨م واستمر في هذا المنصب طويلاً وكان يشغل بحكم ذلك مجلس [illegible] الأعلى والمجلس الأعلى للبترول، ومجلس الخدمة المدنية والمجلس الأعلى للإسكان. وكان خلال عمله مثالاً للإخلاص والوفاء بالمسؤولية والمقدرة التامة على إدارة البلاد إدارة حكيمة.

تلقى الشيخ سعد العبدالله السالم تعليمه العام في الكويت، ثم سافر في سنة ١٩٥٠م إلى المملكة المتحدة من أجل الالتحاق بكلية هاندن العسكرية، وعندما تخرج فيها التحق بعدة دورات تخصص فيها بشؤون الأمن والشرطة، ولم يتم هذه الدورات المكثفة إلا في سنة ١٩٥٤م. وفور عودته إلى الوطن عين نائبًا لرئيس دائرة الشرطة العامة، ثم في سنة ١٩٥٩م جرى تعيينه نائبًا لرئيس الشرطة والأمن العام حتى بداية سنة ١٩٦١م.

وفي اليوم السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م عين وزيرًا للداخلية وعندما جاءت سنة ١٩٦٤م أضيفت إلى مهماته وزارة الدفاع.

وقد نودي به أميرًا للبلاد فور وفاة الشيخ جابر الأحمد الجابر، ولكن ظروفه الصحية لم تسمح له بالاستمرار في هذه المسؤولية الكبيرة فتنازل عن حقه فيها إلى سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، الذي وقف أمام مجلس الأمة ليتول كلمته في أخيه الشيخ سعد العبدالله السالم فكان مما قاله: «وفي هذا المقام أتقدم باسمي وباسمكم، وباسم أهل الكويت جميعًا برسالة حب وتقدير ووفاء لأخي صاحب السمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، الرجل المعطاء لبلده من وقته وجهده وصحته، والبطل الذي زادته جراح الغزو الغادر قوة ومناعة

وإصرارا على متابعة مسيرة النضال حتى التحرير، وإعادة البناء والتعمير، رفيق الدرب لصاحب السمو الأمير الراحل رحمه الله، وشريكه في السراء والضراء، صاحب المكانة العالية في نفوسنا جميعًا، ومالك القلب الكبير الشخصية المستقرة في قلوب الكويتيين التي لم تكن لتستكين وتهدأ لولا حاجة صاحبها إلى الراحة، إنه قدر الله يسبق الجميع، وما شاء فعل، وسيبقى تاريخ الكويت نابضًا بذكراها العطرة ومآثرها الحية».

وأصدرت غرفة تجارة وصناعة الكويت بيانًا حول البيان الذي ألقاه سمو الشيخ صباح الأحمد أمام مجلس الأمة في اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير لسنة ٢٠٠٩م وهو البيان الذي قدمنا مقتطفًا منه آنفًا. وقد ورد في بيان الغرفة عن الشيخ سعد العبدالله السالم: «هو الذي عرفناه بحكمته وشجاعته وتواضعه وعفته وسمو أخلاقه فاغتمرت قلوبنا جميعًا بمحبته، وما عهدناه إلا مواسيًا للآلام، وبلسمًا للجراح، ومضحيًّا بجهده وصحته، حاملا هموم وطنه في قلبه وعقله ووجدانه.

وأضاف البيان: هو صاحب الدور التاريخي المشهود في مواجهة جريمة الغزو الغادر حيث واصل الليل بالنهار بجهود استثنائية حثيثة تعكس إيمانًا صادقاً بعدالة قضيته وعزماً لا يلين من أجل استعادته حرية الكويت.

هو الرمز الوطني الشامخ ذو المكانة الرفيعة المستندة إلى تاريخه الناصع الطويل في خدمة الكويت وأهل الكويت، وستظل تضحياته وأعماله ومواقفه وإنجازاته ماثلة في أذهان الكويتيين على مدى الدهر».

☆☆☆☆

الداعي إلى الوليمة كما قلنا فيما سبق هو سفير دولة الكويت في لندن السيد أحمد عبدالوهاب سيد خلف النقيب وكان ذلك في سنة ١٩٧٠م. وكان هذا

الرجل دمث الأخلاق، يدير عمله بالمحبة، وجمع الناس حوله، فهو كريم النفس رائع المعاملة. ولد في الحي القبلي من عاصمة الكويت في اليوم الثالث من شهر يوليو لسنة ١٩٣٠م، ودرس في أمريكا حيث حصل على البكالوريوس في العلوم الاجتماعية من كلية آدنم في كولورادو سنة ١٩٥٧م، ثم التحق بجامعة أوكسفورد البريطانية في سنة ١٩٦١م فحصل منها على عدة دراسات تعمق دراسته الأولى.

في شهر يوليو لسنة ١٩٥٩م التحق بالعمل في دائرة الجمارك والموانئ، وبقي بها حتى سنة ١٩٦٢م.

ثم عين في وزارة الخارجية بدرجة سكرتير أول، والتحق مباشرة في سفارة دولة الكويت في لندن وبقي منذ سنة ١٩٦٢م حتى سنة ١٩٦٣م. ونقل في هذه السنة الأخيرة إلى نيويورك ليكون عضوًا في وفد الكويت الدائم لدى الأمم المتحدة حتى سنة ١٩٦٦م. وفي هذه الفترة رُقيَ إلى درجة مستشار، وكان ذلك في شهر مايو لسنة ١٩٦٤م.

حمل مسؤولية عدد من المراكز الدبلوماسية الكويتية في الخارج، منها منصب القنصل العام من الدرجة الأولى في نيروبي (كينيا) ومنصب سفير دولة الكويت لدى الباكستان منذ سنة ١٩٦٧م حتى سنة ١٩٧٠م. وفي السنة الأخيرة عاد إلى ديوان الوزارة في الكويت وشغل منصب مدير الإدارة الاقتصادية ثم عاد إلى العمل الدبلوماسي الخارجي فعين سفيرًا للكويت في لندن منذ اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٧١م حتى اليوم الرابع من شهر يونيو لسنة ١٩٧٥، وقد تمت ترقيته في هذه الفترة إلى درجة سفير. وفي أثناء وجوده في لندن أحيل سفيرًا للكويت لدى السويد ثم لدى الدنمارك بالإضافة إلى عمله.

وتقاعد عن العمل الحكومي في اليوم الرابع من شهر يونيو لسنة ١٩٧٥م، وتفرغ لأعماله الخاصة التي ازدادت وتشعبت بعد تفرغه لها، فقد كان رجلاً ناجحًا بكل المقاييس.

لقد اكتسبت الكويت في وجوده على رأس الأعمال التي تولاها رجلاً مخلصًا، قادرًا على أداء العمل الجيد، محبوبًا لدى الجميع.

☆☆☆☆

نعود الآن إلى الصورة التي ورد ذكرها في هذا المقال، وذلك لكي نتحدث عن بعض مَن ظهروا فيها ونبدأ بالأول على اليمين وهو السيد محمد عبدالرحمن البحر، وهو رجل أعمال مشهور من كبار تجار الكويت وأبرزهم، فهو يمثل الرعيل الأول من أولئك الرجال الذين نهضوا بكل طاقاتهم لكي يقدموا لوطنهم كل ما يستطيعون من جهد في سبيل نهضته وتقدمه؛ ولد في سنة ١٩١٩م، وقد جرى العمل التجاري في دمه إذ كان منذ نعومة أظفاره يعمل في هذا المجال فاشتغل محاسبًا لتجارة والده، وأدار محلًا من محلاته المتنوعة الأعمال، وكان ذلك في مدينة كراتشي التي صارت ضمن الباكستان فيما بعد تلك الفترة التي عمل خلالها هناك، ثم تنقل بين عدد من الموانئ من أجل العمل إلى أن استقر في وطنه بعد فترة من ذلك العمل الدائب في الخارج.

وكان محمد عبدالرحمن البحر عضوًا في المجلس البلدي، وعضوًا في مجلس الإنشاء الذي كان يتولى مسؤولية التخطيط للمشروعات الاغاثية في الكويت. وشارك في إنشاء عدة مؤسسات اقتصادية منها بنك الكويت الوطني، والشركة الأهلية للتأمين وغيرهما. وهو رئيس مجلس إدارة البنك الوطني منذ سنة ١٩٩٣م، ونائب رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت منذ سنة ١٩٩٦م.

وبالإضافة إلى ذلك فإن أعماله في مجال الخير مشهورة، ومن ذلك تبرعه بإنشاء مركز البحر لجراحة العيون الذي كلف إنشاؤه ثلاثة ملايين ونصف المليون دينار.

وكان من أقرب الناس إلى المرحوم محمد عبدالمحسن الخرافي إذ كانا يشتركان في إقامة كثير من المؤسسات الاقتصادية.

وكان المرحوم أبو جاسم نوعًا خاصًا من الرجال حيث شارك السيد محمد عبدالمحسن الخرافي في تأسيس عدد من الشركات المهمة في الكويت كان منها بنك الكويت الوطني الذي تولى رئاسة مجلس إدارته منذ سنة ١٩٨٠م حتى سنة ١٩٩٣م. ومنها شركة الخطوط الجوية الكويتية التي صار عضوًا في مجلس إدارتها. وعندما تأسست غرفة تجارة وصناعة الكويت صار عضواً في مجلس إدارتها، ثم في سنة ١٩٧٢م صار نائباً لرئيسها.

واتجه إلى العمل السياسي فرشح نفسه لعضوية مجلس الأمة، ففاز في انتخابات سنة ١٩٦٧م، ولكنه استقال بعد فترة وجيزة. ثم تفرغ لمؤسسته التي صارت من كبريات المؤسسات في مجال المقاولات والصناعة بصورة عامة، وشارك في كثير من المؤسسات الخيرية والجمعيات ذات النفع العام، ولا تزال بعض الأعمال التي غرسها من هذا النوع سائرة في طريقها الذي رسمه لها.

وبعد عمل جاد وقيِّم انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٩٩٣م.

كان المرحوم نوعًا من الرجال في وفائه لوطنه ولجميع أبناء وطنه وفي حبه للعمل في كافة مجالاته، وبحثه الدائم عن كل ما يعود بالنفع على مجتمعه، وفي المقابل فإن هذا المجتمع قد حفظ له ذكره، وعبر دائماً عن تقديره لكل الجهود التي بذلها في حياته، وهي جهود لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم في مشروعات متنوعة منها المشروعات الخيرية النافعة المتنوعة الأهداف.

☆☆☆☆

الرجل الواقف ثانيًا في الصف الأول هو الأخ الكريم أبو أنور عبدالرحمن سالم العتيقي. وهو من أبرز من عملوا في القطاع الحكومي، وكان متفرغاً لعمله في هذا القطاع تفرغًا تامًا، فقد كان يعمل في دائرة التموين منذ سنة ١٩٤٣م، ثم صار مديراً لشركة تموين الأقمشة وهي شركة حكومية منذ سنة ١٩٤٤م، وفي

سنة ١٩٤٩م صار مديراً لدائرة الشرطة العامة التي كان يرأسها يومذاك المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح، ثم تولى مسؤولية إدارة الصحة العامة، أما ما نراه من أبرز أعماله، فهو عمله في الأمم المتحدة، وتوليه منصب سفير الكويت في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في سنة ١٩٦١م، وكان ذلك العمل جديداً على أبناء الكويت، ولكن الرجل برز فيه وقام بواجبه تجاه وطنه خير قيام.

في سنة ١٩٦٣م صار وكيلًا لوزارة الخارجية، ثم دخل الحكومة وزيراً للمالية والنفط في سنة ١٩٦٧م ووزيراً للمالية في سنة ١٩٧٥م.

وقد اختاره المرحوم الشيخ جابر الأحمد الجابر ليكون مستشاراً له في سنة ١٩٨١م، وقد تولى عدة مسؤوليات خارجية مما يكلفه الأمير به من أعمال.

أبو أنور صاحب مبادرات في العمل الاجتماعي والخيري وله صلات طيبة بالناس وسمعة عطرة بينهم، ويبدو مما ذكرناه من سيرته في عمله أنه كان في الوقت الذي حضر فيه تلك المأدبة وزيراً للمالية والنفط.

☆☆☆☆

أما الواقف ثالثًا فهو الأخ الأستاذ سعدون محمد الجاسم، وهو رجل يجري حب الإعلام في دمه، فقد عمل في هذا المجال مدة طويلة، عرفته في سنة ١٩٥٩م عندما كان يعمل في دائرة المطبوعات والنشر التي تحولت فيما بعد إلى وزارة الإرشاد والأنباء ثم وزارة الإعلام. استقبلني الرجل استقبالًا كريمًا وقدّمني إلى الأستاذ الشاعر أحمد السقاف الذي كان معاونًا للمدير آنذاك. واستمرت علاقتي به لأنني عملت في الجهة التي كان يعمل بها فيما بعد، وتمت بيننا زمالة وصداقة ومحبة.

واكب أبو عمر كافة الأعمال الإعلامية الكويتية، وبذل جهداً كبيراً في الفترة التي كانت الكويت فيها تكافح ادعاءات عبدالكريم قاسم، وأشرف على كثير من

الأعمال المتعلقة بذلك وقد أنهى حياته العملية بطلب الإحالة على التقاعد في سنة ١٩٨١م بعد أن وصل في عمله إلى منصب وكيل الوزارة ممضيًا فيه عشرين سنة.

هذا الرجل كريم النفس، يحبُّه المرء لما يجده فيه من صفات طيبة، وحرص على الاتصال، واستمرار العلاقة أرجو له دوام الصحة والعافية.

☆☆☆☆

نجد في أقصى يسار الصورة رجلًا يُطلُّ علينا بطيبته المعروفة، هو الأخ الأستاذ سليمان عبدالله العنيزي، وقد كان في ذلك الوقت مستشاراً ثقافيًّا في سفارة الكويت بلندن، يتولى مهام الدارسين الكويتيين هناك ويقوم بعمل صلة الوصل بين وزارة التربية والأجهزة العلمية والتربوية والثقافية في تلك البلاد.

أبو عبدالله صديق قديم وزميل دراسة ثم زميل عمل، عرفته منذ كنا ندرس- معاً- في معهد الكويت الديني، ثم زاملته في الدراسة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم كان اللقاء الأوسع عندما عملنا معًا في وزارة التربية، ولقد كان من العاملين المجدين في مجاله عندما انتقل من مركزه في لندن إلى تولي منصب الأمين العام للجنة الوطنية للثقافة والفنون والآداب (اليونسكو). فقام بأعمال كبيرة أبرزت وجه الكويت التربوي والعلمي بين دول العالم، وشارك في المؤتمرات العديدة التي كانت تشترك الكويت فيها فكان خير ممثل لوطنه.

وهو لايزال يعمل، وينتج، فلقد صار بعد أن تقاعد عن العمل في وزارة التربية مستشارًا في مركز البحوث والدراسات الكويتية، وهو بذلك يواصل مسيرته التي بدأها بالشؤون الثقافية ويؤدي واجبه كاملًا تجاه وطنه.

☆☆☆☆

ويبدو في الصورة – أيضًا – خلف صورة السيد أحمد النقيب مباشرة المرحوم موسى سليمان الموسى السيف، وقد كان من سفراء الكويت، وآخر منصب تولاه أنه

كان سفيرًا للكويت في سيريلانكا سنة ١٩٩٧م وبقي في هذا المنصب حتى سنة ٢٠٠٢م. وقد عمل في وظائف كثيرة، وفي بلدان متعددة منذ جرى تعيينه في وزارة الخارجية في اليوم الثامن من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٨م.

ولد موسى السيف في حي المرقاب من عاصمة الكويت في اليوم الثاني والعشرين من شهر يونيو لسنة ١٩٤٣، ودرس في مدرسة المرقاب وأنهى دراسته المتوسطة في مدرسة صلاح الدين، ثم حصل على الشهادة الثانوية من ثانوية الشويخ، وكان ذلك في سنة ١٩٦٣م، ثم رَحَلَ إلى القاهرة حيث درس في جامعتها، وحصل فيها على دبلوم العلوم السياسية. ولم يكتف بذلك بل رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تلقى دراسة أعلى فحصل من واشنطن على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية وذلك في سنة ١٩٧٦م. وعاد بعدها إلى الوطن.

كان نشيطًا في عمله حضر عدة مؤتمرات، وندوات إقليمية ودولية. وأعد عددًا من الأبحاث المهمة في مجال تخصصه.

توفي – رحمه الله – في شهر يوليو من سنة ٢٠١١م إثر نوبة قلبية مفاجئة، وكان ذلك في أسبانيا. وكان خبر وفاته محزنًا للجميع.

☆☆☆☆

هذا ونرى في خلفية الصورة إلى اليسار رجلين من رجال سفارة الكويت في لندن أحدهما الأخ المرحوم محمد اليعقوب وكان من العاملين في المكتب الثقافي لفترة طويلة وهو قد تلقى تعليمه في لندن قبل أن يقوم بهذا العمل.

أما الثاني فهو الأخ حسن درويش الذي كان رئيسًا لمكتب الكويت الصحي هناك، وكان معروفًا عنه متابعته لشؤون المرضى وحرصه على أن ينالوا علاجهم، وأن يلبي رغباتهم التي جاؤوا إليه من أجلها، ولم يكن يخفي نفسه عن المراجعين

كما يفعل الذين جاؤوا من بعده، ولذلك فإن المريض يشعر أنه تلقى من بلاده الاهتمام والرعاية كما تلقى العلاج بسبب وجود شخص في رئاسة المكتب الصحي في لندن هو الأخ حسن درويش.

☆☆☆☆

وبعد فإنه كان من الواجب ان نفيض كثيرًا في تفصيلات الصورة، وأن نذكر البيانات الكاملة عن أولئك الذين لم نورد عنهم شيئًا، أو نتسع في الحديث عن الذين اختصرنا ما كتبناه عنهم. ولكن حجتنا واضحة وهي التي نكررها في كل حين: المكان والزمان.

وعلى كل حال فإن هذه الصورة قد دخلت في سجل تاريخ الكويت وأصبحت دليلًا على نشاط سفارتنا وسفيرنا هناك. وعلى حرص سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح على لقاء السلطان قابوس بن سعيد والحفاوة به، ولا نحتاج الى القول أن السلطان يستحق منا الحفاوة والتقدير فقد كان سندًا لنا عند الحاجة، ونحن لا ننسى مواقفه الكريمة في وقت الغزو الغاشم حين تخلّت عنا بل وأعلنت عداوتها لنا: دول الضد.

****

من زوار الكويت:
هيوبيسكو المقيم البريطاني في الخليج ١٩٣٠م[1]

هذه زيارة مهمة جرت وقائعها في سنة ١٩٣٠م، وقد كانت سنة مهمة في تاريخ الكويت، عادت البلاد في نهايتها إلى وضع الهدوء المطلوب بعد سنوات احتاجها الناس حتى يشهدوا عودة الأمور إلى نصابها وانقضاء فترة الزعازع المختلفة التي أزعجت الناس، وجعلتهم يتمنون أيام الهدوء والاستقرار. في سنة ١٩٢١م توفي الشيخ سالم المبارك الصباح، وتولى حكم الكويت بعده الشيخ أحمد الجابر الصباح، فكانت السنوات التي مرت من سنة ١٩٢١م حتى سنة ١٩٣٠م سنوات فيها عمل كثير يهدف إلى إنجاز كثير من الأعمال، وفيها هدأت نفوس أبناء الشعب، وبدأت الأنشطة الشعبية المختلفة في العودة إلى وتيرتها المعتادة. ولذا فإننا في السنة الأخيرة من هذه الفترة التي أشرنا إليها قد وجدنا بعض الأمور التي ينبغي ذكرها هنا قبل الوصول إلى موضوع مقالنا هذا وهو الخاص بزيارة هيوبيسكو المقيم البريطاني في الخليج.

في هذه السنة (١٩٣٠م) اتخذ الشيخ أحمد الجابر الصباح قراراً مهمّاً منع بموجبه أن يلبس المواطنون الرداء المتعارف عليه عندهم وهو (البشت)، وقد كان هذا الرداء مُهمّاً عند الرجال، وكان يرتديه الغني والفقير، فهو من الأمور التي يهتم بها الناس – آنذاك – ويرون في عدم ارتدائه عيباً، ويتكبّدُون في سبيل شراء (البشت) مالاً كثيراً لا يستطيع أكثرهم أن يدفعه دون أن يتحمل قيمته على سبيل

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢١م.

الدين الذي يرهق كاهله فيما بعد. ورغبة من الشيخ في إنهاء هذه المشكلة العامة، ومن أجل رفع العبء عن المواطنين فقد أمر بمنع لبس البشت حتى يتعود الناس على السير بدونه، وقد تم ذلك إلى حين.

وفي هذه السنة - أيضًا - تأسست دائرة بلدية الكويت. وهي من أوائل الدوائر الحكومية التي نشأت في البلاد، ولها عمل كثير ومهم في مجالات كثيرة كتنظيم الأراضي، والشؤون الصحية، وما إلى ذلك.. وكانت تقوم بأعمال صارت من اختصاصات بعض الدوائر التي نشأت بعدها، وبذا فإنها تكون قد أغنت في فترة من فترات بداية التنظيم الحكومي الكويتي الحديث وسدت مسد الدوائر التي لحقتها في الظهور.

وقد صدر القانون الذي نظم أعمال هذه الدائرة في سنة ١٩٣١م، ولا تزال دائرة بلدية الكويت تزاول نشاطها وتقوم بالأعمال المنوطة بها على أكمل وجه.

وكانت هذه السنة (١٩٣٠م) قد شهدت إنشاء أول محكمة نظامية ذات شكل رسمي، وتم معها إنشاء سجل للدعاوى، كما عين شخص يتولى التسجيل العقاري، وقد كانت هذه بداية جيدة للأعمال القانونية في البلاد، بما يكفل حقوق الناس المختلفة، وكانت أساساً لكل الأنظمة ذات العلاقة التي جرى وضعها فيما بعد.

وفي سنة ١٩٣٠م، بدأت أعمال القوة التي أنيطت بها حراسة العاصمة والأسواق، وحماية ممتلكات الناس حتى يسود الشعور بينهم بالأمن الدائم المستتب، وكانت عند نشأتها برئاسة الشيخ صباح الدعيج، وهو من الذين لهم نشاط بارز في متابعة العمل في الحراسة، وله سلطة كبيرة أخافت اللصوص والمتهاونين بالأمن.

وليس من المستحسن الإفاضة بأكثر مما قدمناه عن أحداث هذه السنة التي وصلت بأعمالها إلى خلاصة السنوات التي سبقتها بدءاً من سنة ١٩٢١م

يوم تولي الشيخ أحمد الجابر الصباح حكم دولة الكويت، وهذا هو ما أشرنا إليه في بداية هذا الحديث.

ولكننا نبدأ الآن ببداية جديدة تتناول حدثًا من أحداث السنة المذكورة، وهو حدث لابد من ذكره ولا بد من عرضه الآن بعد أن كان شبه خفي عن الأذهان وكان قليل من الناس هم الذين يلمون بخبره.

والحدث الذي نشير إليه هو زيارة المقيم السياسي البريطاني في الخليج: هاي فنسنت بيسكو، الذي بدأ عمله في موقعه الوظيفي هذا منذ سنة ١٩٢٩م، وانتهى منه في سنة ١٩٣٢م، وكان عمله هنا في وقت شهد فيه الخليج تحركًا كبيرًا بعد أن استقرت الأوضاع فيه عندما انتهت الحرب العالمية الأولى، وبدأ الناس يتخلصون من عقابيلها وما خلفته من مشكلات على نطاق واسع.

وقد نال الشيخ أحمد الجابر الصباح تقدير بريطانيا لما قام به من أعمال خلال هذه الفترة دلّت على مقدرته في إدارة دفة - الأمور في وطنه مما عجل في استقراره، وساعد على قيام علاقات طيبة له مع جيرانه وعلى الأخص دول الجزيرة العربية، وكان من نتيجة هذا التقدير البريطاني أن عزمت هذه الدولة على منح الشيخ وسامًا رفع المستوى باسم الملك جورج الخامس ملك بريطانيا، لحقه وسام آخر، ولكن الظروف التي أعقبت نهاية الحرب لم تتح الفرصة لتقديم هذين الوسامين في حينهما، ولم يتقلدهما الشيخ إلا في سنة ١٩٣٠م. ولهذه الغاية جاء إلى الكويت ذلك الرجل الذي تحدثنا عنه وهو هاي فنسنت بيسكو المقيم السياسي البريطاني في الخليج آنذاك وكان يطلق عليه محليًّا لقب: «رئيس الخليج».

كانت الزيارة مهمة، وكانت تحفها الرسميات، ومن أجل ذلك أُعِدّ لها برنامج محدد يذكر كل تفصيلاتها، وربّما كان هذا هو أول برنامج يوضع لزيارة ضيف رسمي للبلاد وقد كان كما يلي:

كان موعد الزيارة – بالطبع – مرتبطًا بموعد وصول الضيف وذلك في يوم الاثنين الثالث من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣٠م، حيث يصل رئيس الخليج إلى الكويت في تمام الساعة التاسعة صباحًا. ويذهب الشيخ أحمد الجابر الصباح والقنصل البريطاني في الكويت هارولد ديكسون لاستقباله في سفينته الحربية التي جاء على متنها، ويغادر الشيخ هذه السفينة في الساعة التاسعة وخمسين دقيقة حيث تطلق مدافع التحية. وعند تمام الساعة العاشرة صباحًا ينزل الرئيس وحاشيته والمقيم السياسي البريطاني في الكويت إلى الساحل.

لقد كان وصول رئيس الخليج إلى الكويت، وبدء زيارته لها في الموعد الذي ذكرناه، وقد جاء على متن اليخت المسمى: «باتريك ستيوارت»، ومعه سفينة حراسة هي المنور «ترايد» وعلى هذا الأخير قائد الأسطول البريطاني في الخليج. ومن «ترايد» انطلقت مدافع التحية التي أشرنا إليها آنفا.

وجاء في برنامج الزيارة المكتوبة بتفصيل كامل:

تبدأ زيارة رئيس الخليج يوم الاثنين الثالث من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣٠م، إلى الكويت على ظهر اليخت (باتريك ستيوارت)، يحرسه المنور «ترايد» وعلى ظهره قائد الأسطول في الخليج والمنور (ملكتون).

يذهب الوكيل السياسي هارولد ديكسون إلى اليخت «باتريك ستيوارت» ليكون في استقبال الشيخ أحمد الجابر صباحًا، وبعد قليل يصل الشيخ أحمد إلى اليخت المذكور، وبعد ربع ساعة ينزل الشيخ من اليخت مصحوبًا بطلقات مدافع التحية من «المنور» ترايد وبعد قليل ينزل رئيس الخليج وحاشيته مصحوبين بالوكيل السياسي في لنج القنصلية، ثم يتوجه إلى مقر الوكيل السياسي الكائن على ساحل البحر في المنطقة الشرقية من العاصمة.

وعندما يأتي المساء، وفي الساعة الثالثة مساء من اليوم نفسه يزور الرئيس مصحوبًا بقائد الأسطول والوكيل السياسي البريطاني (ديكسون) سمو الشيخ أحمد الجابر الصباح زيارة غير رسمية يتحادث فيها معه عن تفاصيل حفلة تقليد الوسام التي سوف تقام في اليوم الرابع من شهر نوفمبر لذات السنة، وهي الحفلة التي كانت السبب في حضور رئيس الخليج إلى الكويت.

بعد المقابلة المذكورة ينتقل الرئيس إلى مقر الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، ويستقبل أعضاء الأسرة الحاكمة، كما يستقبل عددًا من وجهاء البلاد.

ووفقا للبرنامج الذي نتحدث عنه فإنه سوف يجري في الساعة الثالثة والنصف من اليوم التالي لقاء يتم فيه تقليد الشيخ أحمد الجابر الوسام الذي جرى الحديث عنه، وسوف تقام بعد ذلك وليمة في قصر دسمان، يقيمها الشيخ، ثم تعقبها رحلة صيد رتبها الشيخ لضيفه وعندما تحل الساعة الثامنة مساء تقام حفلة في مقر القنصلية، وقد وضع في هذا البند احتياط يقول:

«وإذا كان الطقس والمد موافقين يمكن عمل حفلة العشاء على ظهر اليخت (ستيوارت) عوضًا عن العشاء في دار القنصلية».

وفي اليوم التالي عند وقت الظهر يسافر الضيف وفق إجراءات وداع رسمية، تدل على الاحتفاء به.

أما حفلة تقليد الوسام فسوف تتم كما يأتي:

– يغادر رئيس الخليج دار المعتمد البريطاني متجهًا إلى قصر الشيخ أحمد الجابر الكائن في العاصمة (المقصود قصر دسمان) مصحوبًا بقائد الأسطول والحاشية المرافقة، وذلك في الساعة الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة بعد الظهر.

– يرسل المنور «ترايد» إلى الساحل حرس الشرق الذين يجري صفهم في ساحة القصر في مقابل المدخل الرئيسي لقاعة الاجتماع، وذلك قبل وصول الرئيس ومن معه إلى هناك.

– سوف يكون الشيخ أحمد الجابر وهارولد ديكسون في انتظار وصول رئيس الخليج أسفل الدرج المؤدي إلى القاعة التي سوف يتم فيها اللقاء.

وقد جاء الوصف التالي بنصه في برنامج الزيارة:

«سوف يؤدي حرس الشرف التحية حال ظهور الرئيس في ساحة القصر عندما يتوجه إلى باب القصر. ثم يتوجه الكل إلى حجرة الاجتماع حيث أفراد عائلة الأمير جميعهم مع عدد من أكابر أهل البلد، وكانوا قد اتخذوا أماكنهم في الوقت الذي تركت فيه أماكن للرئيس وقائد الأسطول وديكسون وحاشيتهم، وفي هذه الاثناء تدار كؤوس (الشربت) كما تجري مبادلة بعض الكلمات الودية، ثم يقوم الرئيس فيخاطب الشيخ أحمد الجابر باللغة الإنجليزية، وفي نهايتها يقرأ مترجم دار الاعتماد البريطانية ترجمتها إلى اللغة العربية.

في الختام يقوم الرئيس فيقلد الشيخ علامة ونجمة النيشان وهو وسام فارس في الإمبراطورية الهندية. ووسام نجمة الهند، ويكونان – قبل ذلك – قد حملا على وسادة من المخمل، ووضعا أمام الرئيس على طاولته.

وفي أثناء التقليد يطلق المنور «ترايد» تحية سبع طلقات، ثم يؤدي حرس الشرف السلام، وعندما يتخذ الرئيس مكانه يقوم الشيخ بإلقاء كلمة شكر مناسبة.

عند هذا – بعد انتهاء كلمة الأمير – ينهض الرئيس مغادرًا المكان وفي هذه الأثناء يميل حرس الشرف بنادقهم استعدادًا للتحية، التي سوف يؤدونها حال نزوله من الدرج ودخوله السيارة. وسوف يقوم الشيخ بتوديع الرئيس إلى أسفل الدرج.

☆☆☆☆

كان حفل تقليد الوسامين من قبل رئيس الخليج بيسكو للشيخ أحمد الجابر الصباح هو أهم ما في زيارة الرئيس إلى الكويت. وقد حفلت المناسبة بأجواء طيبة وعبرت عن تقدير كبير لأمير البلاد في مقابل جهوده التي أشرنا إليها في بداية مقالنا هذا. وقد كانت مراسيم التقليد مهمة وذات دلالة في حد ذاتها، فإن الكلمتين المتبادلتين من الأمير والرئيس قد كانتا محل إعجاب من الحاضرين في تلك القاعة وقد عبر الرئيس – أولا – في كلمته عن سروره بالقيام بهذه المهمة وذلك بتقديم النيشان، ونجمة الهند.

وعبر – كذلك – عن متانة العلاقة بين بلاده والكويت، وهي علاقة ذات جذور تاريخية عميقة تتابعت منذ سنة ١٨٤١م، ولم تتوقف أبدًا، وأثنى في هذه الكلمة على الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي كان قد تولى حكم البلاد قبل عشر سنوات من ذلك التاريخ فكان مثالًا للحاكم المتمكن من قيادة وطنه، الواقف بكل ثبات في وجه التيارات المعاكسة، وكان محافظًا خلال ذلك الوقت على استمرار السياسة الحكيمة التي ورثها عن أسلافه.

وفي خلال كلمته نوه الرئيس بالأعمال التي جرت خلال العشر سنوات، وأعلن سروره بقيام الشيخ بخطوة مهمة في مجال خدمة الكويت وهي إنشاء دائرة البلدية.

لقد كانت كلمة معبرة، ذات دلالة على المناسبة التي قيلت فيها، وذات دلالة على شخصية الرئيس الذي عبر من خلالها عن موقف بلاده من الكويت ومجتمعها وأميرها.

وأوصى في النهاية بالاستفادة من جهود هارولد ديكسون فهو صاحب خبرة كبيرة في عدة مجالات، وسوف يقدم كل العون الممكن إذا طلب منه ذلك.

هذا ولقد كانت كلمة رئيس الخليج كما يلي:

«إنه ليسرني غاية السرور بأن احضر في هذا اليوم إلى هنا وأقدم إلى سعادتكم علامة الشرف للنيشان الرسمي «نيت كومندر أف ذى بوست امينت أوردو أف ذى انديان امباير) الذي أنعم به على سعادتكم في اليوم الثالث من شهر جون الفائت. وعلامة نيشان أف ذى بوست اكزالند اوردر أف ذى ستار أف انديا) الذي أنعم به على سعادتكم صاحب الجلالة الملك الإمبراطور منذ زمن مضى ولم تسمح الفرصة لتقديمه قبل الآن.

إن صداقة الحكومة الانجليزية ما زالت متوارثة في بيت سعادتكم فقد وقعت أول معاهدة بين حكام الكويت والحكومة الإنجليزية في عام ١٨٤١ ميلادي، أي منذ تسعة وثمانين عامًا، وقعها جد سعادتكم العظيم الشيخ صباح بن جابر، وقد سلك جد سعادتكم الشيخ مبارك هذا السبيل فدارت المفاوضات بينه وبين الدوائر الإنجليزية لعقد معاهدات جديدة في أوقات متفاوتة واعترفت الحكومة الانجليزية بخدماته في عدة مواقع.

وفي عام ١٩١٤م وفي نفس هذه الغرفة قدم له فخامة القائد العام البحري بالنيابة عن الحكومة الانجليزية نفس النيشان كهذا الذي أنا قائم بتقديمه الى سعادتكم الآن.

والآن وقد حكم سعادتكم الكويت مدة عشر سنوات قابلتم في أثنائها في أوقات متباينة ظروفاً مملوءة بالمصاعب الكثيرة التي هي لابد قد أقلقت راحتكم بيد أنكم بكل ثبات حافظتم على السياسة المتجذرة في بيتكم وقدمتم البراهين الكثيرة على نواياكم ورغبتكم في التعاون مع الحكومة الانجليزية.

ولاشك في أنه إشارة إلى الصداقة الدائمة من قديم بين حكام الكويت والحكومة الإنجليزية واعترافاً بالمساعي الشخصية التي قام بها سعادتكم لتوطيد

وتقوية هذه الصداقة شاء صاحب الجلالة الملك الامبراطور أن ينعم على سعادتكم بهذين النيشانين من إحسانه الملوكي اللذين أنا قائم بتقديمهما إلى سعادتكم.

بيد أنني قبل تقديمها أحب أن أغتنم هذه الفرصة لإيراد، بصورة موجزة، بعض الأمور التي هي لا شك تقلق سعادتكم في الوقت الحاضر. إن حالة الكويت وكثير من رعاياكم تجتاز الآن عهداً كثير المشاكل وأسبابه مضاعفة.

أولًا إن الكويت تعتمد في الأكثر على تجارة اللؤلؤ، وهذه الحرف تعاني كما تعاني جميع الحرف الآخرى تقريباً في جميع العالم في الوقت الحاضر أضراراً وسوقًا رديئاً فالكويت إذن ليست منفردة بذلك، بل إن كل الشعوب كما تعلمون، تقريباً غنيها وفقيرها وكبيرها وصغيرها، تجتاز في الوقت الحاضر دورًا انحطاطيًّا اقتصاديًّا صارمًا، ولكنا نؤمل أن الأحوال ستتحسن في المستقبل القريب، ولكن في هذه الأثناء لا يمكننا إلا أن نقدم لكم كلمة نصح.. ذلك أن تستعملوا أدق درجات الاقتصاد في إدارة حكومتكم وأن تشجعوا أولئك المتعلقين بحرفة الغوص لكي يوجدوا الوسائط الممكنة لجعل أفراد الفقراء الذين يعتمدون في معاشهم على هذه الحرفة قادرين على القوت إلى أن يحصل رواج عام، وتوجد أسباب خاصة أخرى كان لها الأثر السيئ في تقدم بلادكم، أما من جهة هذه الأسباب فلا أقول إلا أنه ربما أمكن إزالة بعضها في المستقبل القريب.

لقد سرني أن أسمع من الكرنل ديكسون أن سعادتكم قد أنشأتم إدارة بلدية الكويت.. أملي أن هذا العمل الناجح سيؤدي إلى إعداد استراحات إضافية لسكان المدينة أو سيكسب مأموريكم التمرن على الأشغال بدرجة أوسع. إنكم كما أعلم ستجدون الكرنل ديكسون حاضراً على الدوام لمساعدتكم بنصحه في جميع الأعمال التي يمكن أن توجدوها لإصلاح شعبكم.

وفي الختام، أقدم لسعادتكم أحسن تمنيات الحكومة الإنجليزية وتهانيها في هذه الفرصة المباركة، واحب أن أقدم - أيضًا - تحياتي الطيبة الشخصية بصفتي صديق سعادتكم المخلص».

أما كلمة الشيخ أحمد الجابر الصباح التي ألقاها ردًّا على كلمة الرئيس بيسكو. فقد كانت أكثر اختصارًا، ولكنها مليئة بالعواطف الجياشة بسبب التقدير بالوسامين وبالحديث الذي ألقاه رئيس الخليج.

بدأ الكلمة بالشكر، والتعبير عن السرور بمناسبة حضور الرئيس وصحبه في هذه المناسبة الطيبة. وأثنى على الملك جورج الخامس ملك بريطانيا الذي قدم الوسامين وبعث بها رئيس الخليج وهو أكبر موظفي بريطانيا في هذه المنطقة. وقال: إن هذا الأمر غير مستغرب فالملك حريص على العلاقات بين البلدين الكويت وبريطانيا، يعطف على كل من يعمل لصالح وطنه الأمر الذي أرجو أن يكون عطفاً مستمرًا غير منقطع. كما شكر رئيس الخليج والمعتمد البريطاني في الكويت: هارولد ديكسون اللذين أظهرا نحوه من خالص الود والمعونة الشيء الكثير، متمنياً لهما السعادة والهناء.

ثم ذكر أن إشارة الرئيس في خطبته إلى العلاقات القديمة مع أسلافه حكام الكويت السابقين قد زاده سروراً وأن الصداقة التي نمت منذ زمن طويل هي محل عنايتي، وأنا أرعاها بصورة دائمة. وسوف أقوم بتذليل كافة الصعاب التي ورد ذكرها في الخطاب بأسرع ما يمكن، وهي صعاب تمكن إزالتها من الطريق إذا كان الإخلاص متوافراً وهو والحمدلله نصب أعيننا، ومنار طريقنا.

هكذا تحدث الشيخ أحمد الجابر الصباح في ذلك الوقت وكان في حديثه ختام ذلك الاحتفال الذي جرى بموجب الوصف الذي سقناه نقلاً عن البرنامج الرسمي الذي جرى اتباعه في ذلك اليوم المهم من أيام الكويت.

☆☆☆☆

لم تكن هذه المهمة هي الوحيدة التي قام بها بيسكو في الكويت أو في الخليج بصفة عامة، ولكنه قام بعدة مهمات منها ما يتعلق بالكويت ومنها ما يتعلق بغيرها. وهذا ما سوف نطرحه هنا:

إذا كان بيسكو مقيمًا سياسيًّا للدولة البريطانية في الخليج، فإنه ليس من المستغرب أن يقوم بعدة مهام تكلفه بها دولته التي كانت حريصة على مصالحها في هذه المنطقة، ومن هذه المصالح إضافة إلى المسألة التجارية والشؤون الاقتصادية بعامة تلك المصالح المتعلقة في استمرار نفوذها وسيطرتها بما يكفل لها الحصول على باقي المصالح التي تعود عليها بالنفع العام.

من ذلك مساهمة بيسكو في متابعة مسائل الحدود بين الكويت والعراق. وكان العراق قد اتخذ خطوة أغضبت الشيخ أحمد الجابر الصباح في سنة ١٩٣٢م حين نزع لوحة من لوحات الحدود مع الكويت. وقد تدخلت بريطانيا يومذاك عن طريق تكليف ممثلها في الخليج (بيسكو) لكي يستغل هذا العمل في التوصل إلى إجراءات خاصة بتبادل المذكرات بين البلدين وهذا ما هو واضح فيما سبق أن ذكرناه في كتابنا: «من أين يأتي النسيان» ففيه اعتراف العراق التام بالحدود كما هو مفصل هناك.

كان لبريطانيا اهتمام ببعض الأحداث التي جرت في جزيرة العرب في الشهر الأول من سنة ١٩٣٠م، وقد رأت أن تقوم بدورها في التهدئة وإعادة الأمور إلى أوضاعها السابقة وقد جرى تكليف بيسكو القيام بخطوة في هذا المجال وفق ما ورد في أحد التقارير، فقد ورد فيه: «أصدرت وزارة الخارجية البريطانية تعليمات للعقيد هيو فنسنت بيسكو المقيم السياسي البريطاني في الخليج أن يصحب كلا من العقيد هارولد ديكسون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، والكوماندر بيرنت معاون قائد الطيران البريطاني في العراق لمقابلة

الملك عبدالعزيز آل سعود لبحث بعض القضايا وذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٣٠م. وقد تم اللقاء وجرت - يومذاك - مباحثات استغرقت أسبوعًا، ولكنها نجحت في النهاية».

كانت دار المعتمد البريطاني في الكويت تضع عينيها على كل ما يمكن أن يؤثر في مصالح بلادها، وفي الوقت نفسه تتنبه - دائمًا - إلى كل ما يجلب لها مصالح تعود بالنفع عليها. ومن ذلك أننا وجدنا (الدار) تهتم بمتابعة النشاط التبشيري الأمريكي في الكويت، وتتحسب لما قد يكون منه من تأثير على الدور البريطاني في المنطقة بشكل عام. وكان الإنجليز يظنون أن الأمريكان سوف يكون لهم دور مناهض للخطط البريطانية ولذا فإنه من الضروري الانتباه إلى تحركاتهم بصورة تكفل حماية المواقع التي وصل إليها البريطانيون في المنطقة آجمع.

وقد جاء في أحد التقارير مايلي:

«بقي خوف البريطانيين من النشاط التبشيري الأمريكي قائمًا، فعقدت بعض عناصر مخابراتهم صلات وثيقة معهم ليعرفوا - بالضبط - موقفهم من بريطانيا. ويتضح هذا جيدًا من قراءة الرسالة التالية: «إلى هـ - ف بيسكو المقيم السياسي البريطاني في الخليج سري ٥٠٥ رقم ١٨ من المعتمدية السياسية البريطانية في الكويت ١٨ فبراير لسنة ١٩٣٢م.

في اعتقادي أن (فان أيس) أفضل المبشرين هنا على الإطلاق وهو يتفوق على الجميع في سعة الأفق واتساع التفكير، وهو مؤيد للبريطانيين أيضًا، ولذلك فإنه لا يتمتع بشعبية كبيرة لدى الباقين من جماعته».

إذن فإن بيسكو كان يتلقى عددًا من الرسائل من مختلف المواقع في الخليج، وكان يقوم بأدوار مهمة منها متابعة المبشرين.

هذه نماذج من المسؤوليات التي كانت تلقى على كاهل هذا الرجل أثناء توليه عمله في رئاسة الخليج، وما لم نذكره هنا أكثر من ذلك. فعمله يمتد بطول الخليج وعلى ضفتيه وإذا كنا قد لاحظنا فيما ذكرناه بعض ما كلف به من أعمال في الكويت وفي المملكة العربية السعودية، فإنه قد قام بعدد كبير من الأعمال في (بوظبي) وفي (رأس الخيمة) فكان له دور مهم في اتخاذ خطوات مهمة في هذه الأماكن. وقد وجدنا له عملًا آخر في البحرين يحتاج بيانه إلى وقت طويل، وهو على كل حال يتعلق بالعلاقات السعودية البحرينية التي كان بيسكو يريد أن يدق فيها اسفينًا كما هي عادة الإنجليز الذين اخترعوا العبارة الشهيرة: «فرق تسد».

ولرئيس الخليج دور كبير في المباحثات التي أدت إلى إنشاء شركة نفط الكويت واستخراج الذهب الأسود من أراضي هذا الوطن. وقد جرت بهذا الخصوص عدة مراسلات تلغرافية أكثرها موجّه إلى هذا الرجل، ولا بأس من أن نورد هذا التقرير كاملًا:

«عمدت وزارة المستعمرات في ٦ ابريل إلى تهيئة مسودة من برقيتين إحداهما إلى المقيم السياسي في الخليج العربي الكولونيل «بيسكو» والأخرى للشركة الشرقية العامة لاطلاعهما على تطورات الموقف، والحقيقة أن ذلك لم يتم بسهولة بسبب الاعتراضات التي أبدتها بعض الدوائر البريطانية تجاه بعض عبارات البرقية التي يفترض إرسالها للشركة في الخليج العربي، حيث اعتقدت أن بعض عباراتها اهتمت بمصلحة الشيخ والشركة أكثر من اهتمامها بمصلحة بريطانيا، وأكد المعترضون على الفقرة الخاصة بإسقاط شرط الجنسية البريطانية، فاقترحت وزارة الهند تعديل جملة «إذا (if) كان الشيخ راغبًا من جانبه في منح امتياز بدون مثل هذا الشرط»، وأرادت أن تبدأ بكلمة «فيما إذا (whether)» كما اعترضت الأدميرالية على جملة «هي قضية متروكة كليًّا (entirely) لقرار سعادته» إذ إن كلمة (كليًّا)

تظهر اهتماما كليًّا بمصالح الشيخ دون أي اهتمام بمركز بريطانيا الاستراتيجي. وطبيعي أن تؤدي هذه التعديلات إلى تأخير البرقية التي كانت ترغب في إرسالها إلى الخليج في أقرب فرصة ممكنة، وعلى أية حال فإن البرقية الخاصة بالشركة الشرقية العامة وصلت إلى المقيم السياسي في بوشهر في ٩ مارس بعد تعديلها.

وأرفقت هذه البرقية ببرقية أخرى للمقيم السياسي بيسكو تضمنت أمرًا بإبلاغ الشيخ بشأن الطلب الذي تقدمت به الشركة الشرقية العامة «بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا تصر الآن على حصر الامتياز بمصلحة إنكليزية خالصة وإن لسعادتكم الحرية بالاستغناء عن هذا الشرط أو إبقائه حسب ما ترونه الأصلح لبلادكم ومع ذلك فقرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا يعني أنها تستحسن سرعة منح الامتياز المعروض إلى الشركة الشرقية العامة، إن حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا ترى من اللائق أن تنصح سعادتكم بأن تقدموا إلى الشركة الشرقية العامة معاملة السبق والأفضلية، إنما ترى أن الأوفق هو وجوب فحص كل طلب امتياز من أي جهة كانت لمعرفة ما هو نافع لبلاد سعادتكم. وعلى كل حال فإن مسودة الامتياز المرفوعة من قبل الشركة الشرقية العامة تحتاج إلى تصحيح كثير من جهة الشروط المرسومة لحماية مصالح حكومة صاحب الجلالة البريطانية من جهة نقاط عديدة تؤثر في مصالح سعادتكم. وكما يعلم سعادتكم فجيولوجيو الشركة الأنجلو- فارسية قد سحبوا من الكويت إلا أن هذا لا يعني أن الشركة قد تركت كل رغبة في المسألة وهي تقول إنها مستعدة لفتح المفاوضة مع سعادتكم بوقت ملائم (وهي تتأمل في الحاضر) على أية قاعدة سيجري ذلك».

وهذه إضافة لابد منها إلى ما سبق أن ذكرناه في بدايات مقالنا هذا فقد ورد في الأرشيف البريطاني عن مسألة تسليم الوسام للشيخ أحمد الجابر الصباح، مع بيان الأحداث المصاحبة للاحتفال بهذه المناسبة. فجاء من ذلك ما يلي:

«في اليوم الثالث من شهر نوفمبر لسنة ١٩م وصل إلى الكويت كل من العقيد هيو. ف. بيسكو (وتقرأ أحيانًا بيسكوي) المقيم السياسي في الخليج، ومساعده السيد أورانج، ونائب الملك السيد بلانتش، وذلك على ظهر السفينتين الملكيتين «باتريك ستيورات» و«تريد» و«فولك ستون» وقد استقبلوا بالاحتفالات المعتادة.

في اليوم الرابع من شهر نوفمبر قدم المقيم السياسي إلى سمو الشيخ وسامي C. S. J وKCIE اللذين أنعم بهما عليه الملك البريطاني في مناسبات سابقة.

وبفضل تعاون بحرية صاحب الجلالة الملك؛ تم تقديم الوسامين بأسلوب مناسب مهيب.

وفي الليلة نفسها حيا الشيخ الجماعة بأن أقام لهم حفلة رسمية، ثم قضوا اليوم التالي في الصيد بواسطة الصقور في صحراء البلاد، وذلك تحت إشراف الشيخ شخصيًّا. وفي المساء أقام الشيخ عبدالله السالم الصباح مأدبة عشاء عربي بهذه المناسبة.

وبعد انتهاء هذه المهمة غادر المقيم السياسي هيو بيسكو الكويت إلى البحرين في اليوم السادس من الشهر نفسه.

ونلاحظ هنا الإيجاز الشديد في عرض ما حدث، وإن كنا نرى فيه إضافات مهمة على تلك البيانات التي سبق لنا عرضها.

☆☆☆☆

ولقد مرت بالسير هيو بيسكو ظروف صحية سيئة أثناء تأدية عمل من الأعمال الرسمية التي كان يقوم بها أدت إلى وفاته. وكان قد اتجه إلى الشارقة ومعه هارولد ديكسون من أجل متابعة موضوع تسيير خطوط الطائرات من أجل تسهيل السفر الجوي. وهناك أصيب بذبحة صدرية لم يستطع الطبيب علاجها

فلفظ أنفاسه وهو بين يدي ديكسون الذي كتب عن ذلك: «توفي السير هيو وهو في الثانية والخمسين من عمره، وتعتبر وفاته كارثة صحية، ولقد وعد أن يكون واحداً من أعظم المقيمين السياسيين الذين عملوا في الخليج، إلا إذا استثنينا الساحر السير بيرسي كوكس».

وهذا ثناء عطر على السير بيسكو في أعقاب وفاته التي كانت فاجعة لأولئك الذين عملوا معه. وبيان لنهايته السريعة أثناء قيامه بمهمة من مهام عمله.

☆☆☆☆

وبعد: فإن ما قدمناه في هذا المقال إنما هو جزء من حركة التاريخ الكويتي. وإذا كنا قد أكثرنا من إيراد النصوص فإنها من الأشياء المكملة للغرض الذي من أجله اخترنا الكتابة في هذا الموضوع، الذي صار بها متنوعاً شاملاً لعدة أمور منها الحدود الكويتية العراقية، واستخراج النفط وبيان دور رئيس الخليج في المنطقة بأسرها.

نأمل أن نستمر في عرض مثل هذه البيانات بين لحظة وأخرى فإن في ذلك ما نحتاج إليه من توثيق ومن صيانة لتاريخ وطننا.

****

القديم من مدارس الكويت[١]

كان هم الكويت حكومة وشعبًا هو نشر التعليم بين أبناء الوطن، ومن المعروف أن التعليم بدأ عندنا عن طريق انتشار المدارس الأهلية التي يطلق عليها في الخارج اسم «الكتاتيب» وواحدها «كُتّاب»، وكانت بعض الأحياء في العاصمة تضم مدرسة أو أكثر، ولكنها كانت تعنى فقط بقراءة القرآن الكريم وشيء يسير من القراءة والحساب. ومع مضي الزمن نشأ عندنا ما نسميه التعليم شبه النظامي وهو نوع من التعليم يشبه مدارسنا الحالية إلى حد كبير ولكن محتوى المناهج وعدد المواد الدراسية أقل منها.

بدأ التعليم النظامي بنشأة المدرسة المباركية وقصة افتتاحها وبدء الدراسة بها معروفة، وقد كتبنا عنها في أكثر من موقع، ثم لحقتها المدرسة الأحمدية، ومدرسة «روضة الأطفال»، وهذه المدارس كانت وليدة عمل مشترك قام به عدد من رجال الكويت وهذا - أيضًا - من الموضوعات التي وردت في «الأزمنة والأمكنة».

ومع وجود المدرستين الأوليين فإن الأيام كانت تثبت ضرورة السير قدمًا في مضمار التعليم، وقد كان الإقبال عليهما دليلًا على الرغبة العارمة لدى أبناء الكويت في تعليم أبنائهم ولم يكن المطلوب - فقط - هو الاستمرار على الوضع الحالي لأن أمرين مهمين كانا يُلحّان على الجميع أولهما ضرورة الانتقال من التعليم شبه النظامي إلى التعليم النظامي الكامل والثاني هو التوسع في إنشاء

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢٨م.

المدارس لمواجهة الأعداد المتزايدة من التلاميذ. ومع هذين الأمرين فإن من المهم أن ترعى الحكومة نظام التعليم وتنفق عليه، وذلك لأن الظروف المادية لم تعد ملائمة لكي يستمر الباذلون لأموالهم على التعليم إلى ما لا نهاية من الزمان في ظل ما حدث للاقتصاد عمومًا من نكسات، وما جرّه ضعف الموارد التي كان يُهيؤها صيد اللؤلؤ للبلاد.

هكذا برزت فكرة بدء التعليم الحكومي، فكان أن تقرر إنشاء مجلس المعارف، وتكوين دائرة معارف الكويت.

كانت المدرسة المباركية قد نشأت في أواخر سنة ١٩١١م وبالتحديد في اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩١١م.

وأما المدرسة الأحمدية فنشأت في سنة ١٩٢١م، وفي سنة ١٩٣٦م تقرر قيام مجلس المعارف وتبعه قيام دائرة المعارف، وكان قد مضى وقت منذ قيام المدرسة الأحمدية اكتسب فيها العاملون في مجال التعليم تجارب مهمة، وبدا من خلال هذه التجارب ضرورة الانتقال التربوي إلى مرحلة جديدة. ولقد جاءت هذه المرحلة في وقت غير مناسب، لأن هذا العمل يحتاج إلى جهد كما يحتاج إلى مال، وكان تدبير ميزانية التعليم من أصعب الأمور لأن ذلك الوقت كان وقت أزمة مالية واقتصادية لا تخص الكويت وحدها بل هي تنطبق على عدد كبير من دول العالم. ومع ذلك فقد كان لابد لهذا الجهاز الوليد من أن ينهض بالمهمة التي أنيطت به، وأن يلبي حاجة البلاد التربوية من إنشاء مدارس جديدة ونقل التعليم شبه النظامي إلى تعليم نظامي له أساليبه، وله مناهجه وكتبه وله هيئة التدريس التي تقوم به. ولم يكن هم الهيئة الجديدة هو أداء مهمة روتينية عن طريق افتتاح المدارس وقبول الطلاب فيها وتزويدها بالمدرسين بل كانت مهتمة بتنمية عملها هذا عن طريق تطويره إلى الأفضل وفتح مجالات عدة للطلاب من الجنسين.

سبقت تشكيل مجلس المعارف تحركات شعبية قام بها عدد من رجال الكويت المهتمين بشؤون تقدم وطنهم، والراغبين في دعم التعليم، وتمكين مسيرته من اختراق كافة العقبات حتى يصل وهجها إلى كل بيت في البلاد. وقد فكروا في أول الأمر في مسألة تمويل التعليم لأنهم يعرفون أن الحكومة آنذاك لا تستطيع مجابهة مصروفاته الكبيرة وبخاصة وأن النفط لم يبدأ بالتدفق، ولم تتسلم الحكومة إلا القليل من وارداته.

ففي أواسط سنة ١٩٣٦م اجتمع هؤلاء الرجال وهم:

محمد أحمد الغانم، ومشعان الخضير، والسيد علي السيد سليمان، وسليمان العدساني، ومشاري الحسن البدر، ونصف اليوسف النصف، وعبدالله العسعوسي، وسلطان ابراهيم الكليب. وتبادلوا الآراء فيما بينهم وكان هدفهم البحث عن وسيلة للتمويل غير مكلفة للحكومة، ولكنها تغطي المصروفات التي يتطلبها السير الحثيث في مجال نشر التعليم في البلاد. وقد كان اجتماعهم في ديوان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي حيث تداولوا الحديث فيما بينهم ثم توصلوا إلى الاقتراح الذي وجدوا أنه هو الأمثل في تلك الظروف، كان هذا ا لاقتراح مجربًا فيما سبق حيث تقدم عدد منهم باقتراح تمويل دائرة بلدية الكويت التي نشأت في الظروف ذاتها، وكان ذلك بإضافة نصف بالمائة على الضريبة الجمركية وإضافة الحاصل إلى ميزانية البلدية مما رفع عنها كثيرًا من المشكلات التمويلية، وقد رأى المجتمعون لبحث تمويل التعليم أنه يمكن إضافة نصف بالمائة آخر إلى ما سبق تصب حصيلته في ميزانية الهيئة التعليمية المزمع إنشاؤها. وقد رأى الحاضرون أن في هذا الاقتراح تدبير لمورد ثابت من المال، وإسناد الصرف على التعليم إلى الحكومة بعد أن كان الأهالي هم الذين يبذلون في سبيله ما كان بإمكانهم أن يبذلوه طوال ربع قرن من الزمان.

وعندما استقر الرأي على هذا الاقتراح تقدم هؤلاء الرجال إلى رئيس بلدية الكويت في ذلك الوقت الشيخ عبدالله الجابر الصباح طالبين منه عرض اقتراحهم هذا على أمير البلاد لأخذ موافقته عليه. وقام الشيخ عبدالله الجابر بتقديم الاقتراح إلى الأمير الذي طلب أن يعرض على عدد من التجار المستوردين والأهالي المستهلكين تطبيقاً لمبدأ الشورى، وأن يؤخذ رأيهم في مدى تقبل الجميع له، واعتبر ذلك شرطاً لإقراره، وفي نهاية شهر يوليو لسنة ١٩٣٦م اجتمع ما يقرب من الثمانين رجلاً في مجلس بلدية الكويت، وعندما طرح عليهم الاقتراح تمت الموافقة عليه بحماسة بالغة، وكانت موافقة جماعية لا نظير لها، عكست مدى اهتمام الأهالي بتعليم أبنائهم ومدى رغبتهم في انتقال نظام التعليم إلى الأساليب الحديثة التي يرون غيرهم من الدول قد سبقتهم إليها. وعندما رفعت التوصية والموافقة عليها مرة أخرى إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح اعتمدها وأصدر قراره في اليوم السادس عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٣٦م بإنشاء مجلس للمعارف يرأسه أحد أفراد الأسرة الحاكمة، ويتكون من اثني عشر عضوًا، يتم تعيينهم لمدة سنتين.

بدأ العمل، وترأس هذا المجلس الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وكان أول ما تم البدء به هو إصدار قرار ينظم اختصاصاته، وسمي هذا النظام: قانون دائرة معارف الكويت، وقد صدر في اليوم العشرين من شهر يوليو لسنة ١٩٣٧م، وكان من مهام هذا المجلس مايلي:

١ – رسم خطط المعارف ومتابعة سيرها.

٢ – البت في إقرار مناهج الدراسة.

٣ – تقرير شؤون البعثات.

٤ – وضع اللوائح القانونية والأنظمة الخاصة بالدائرة.

وتبع ذلك تحديد اختصاصات الرئيس وتعيين مدير للمعارف حددت له اختصاصاته، كما حددت الشروط الواجب توافرها في الشخص الذي يتولى هذه المهمة.

وتم اختيار أعضاء مجلس المعارف من كل من:

الرئيس: **الشيخ عبدالله الجابر الصباح**

الأعضاء: **الشيخ يوسف بن عيسى القناعي**

السادة:

نصف اليوسف النصف

أحمد خالد المشاري

يوسف الصالح الحميضي

عبدالله الحمد الصقر

مشاري الحسن البدر

سلطان ابراهيم الكليب

محمد أحمد الغانم

سليمان خالد العدساني

يوسف عبدالوهاب العدساني

سيد علي سيد سليمان

مشعان الخضير الخالد

وقد اختار المجلس من بين أعضائه الشيخ يوسف بن عيسى القناعي لكي يكون مديراً فخرياً للمعارف، كما اختار السيد عبدالملك الصالح سكرتيراً للمجلس وأمينًا للصندوق.

بدا المجلس حريصاً على أداء مهمته مخلصاً لها، لا يقبل أن يتدخل أحد في عمله الذي كان محط أنظار المواطنين جميعًا فكلهم ينتظر أن تؤدي هذه الخطوة المهمة إلى تحقيق الآمال المستقبلية، وكلهم يتوقع لهذا المجلس النجاح في أداء مهمته.

كانت البداية أن تحولت الأموال السائلة والعقارات الموقوفة على المدرستين المباركية والأحمدية إلى صندوق مجلس المعارف ثم بدأ المجلس في النظر بالأمور المهمة أولاً فأولاً وكان أهم ما باشر به هو تدعيم الهيئة التدريسية واستقدام عدد من المدرسين من الخارج.

وبدأت الميزانية في الاتساع، مما ساعد على أداء عمليات التطوير، وعلى افتتاح مدارس جديدة واستحضار مزيد من المعلمين العرب لهذه الغاية.

وكان مجلس المعارف في الوقت نفسه يعدّ الأنظمة التي سوف يسير عليها جهاز التعليم مستقبلاً، ثم عني بإنشاء مبنى خاص لدائرة المعارف كان في ذلك الوقت من أجمل المباني الواقعة في طريق الصيهد الذي تمت تسميته الآن: شارع فهد السالم.

ثم قام المجلس بإرسال البعثات الطلابية من الكويتيين للدراسة في الخارج مما أعد للكويت رجالاً متعلمين قاموا بالأعمال التي تطلبها الوطن، وتحملوا أعباء مرحلة النهضة التي عاشتها بلادنا منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي.

وقام المجلس - كذلك - بمهمات كبيرة في مجال تطوير المناهج، وإعداد الخطط الدراسية، واهتم بتعليم الفتيات؛ ففي بداية عهده نشأت أول مدرسة بنات هنا.

واستطاع القائمون على المشروع الوطني للتعليم سواء أكانوا يمثلون مجلس المعارف أم هيئة العمل الفني والإداري في مجال العمل أن يسابقوا الزمن وأن يقدموا لوطنهم أغلى ما يتمناه.

☆☆☆☆

واستطاع رجال دائرة المعارف أن يقدموا كل جديد، مع تمكنهم من الحصول على الميزانية الملائمة، بعد أن تدفق النفط غزيراً على البلاد، وكان الاهتمام العام أن يكون الصرف على التعليم والصحة بلا حدود. وهذا هو الذي جعل البلاد تنعم بتعليم جيد ومتنوع فبالإضافة إلى التعليم العام نشأ التعليم الصناعي، وتعليم المعاقين وافتتحت مدارس رياض الأطفال إلى غير ذلك. وسار قطار التعليم إلى كافة القرى الكويتية وفق ما سوف يتبين لنا فيما يأتي.

وخلاصة القول أن طريق دائرة المعارف كان طويلاً واستمرت في نشاطها وتسارع أعمالها حتى غدت بعد حين وزارة تحمل اسم: وزارة التربية. ونحن إذا أردنا أن نقدم تفصيلاً لمنجزاتها منذ سنة ١٩٣٦م فإن ذلك يطول ولكن الدائرة النشطة كانت تقدم في آخر كل سنة دراسية إحصائيات وبيانات وشروحًا عن أعمالها حتى تكوّن لنا كنز من المعلومات على مدى طويل من سنوات العمل في مجال التربية.

ولأن التوسع في الكتابة عن كل ما جرى من تقدم منذ أن نشأ مجلس المعارف إلى اليوم أمر صعب للغاية لكثرة المعلومات التي ينبغي أن تدرج في حديث مثل هذا فإننا نكتفي بأمر يسير يعطي صورًا ناصعة تدل على النشاط الذي أبداه مجلس المعارف في سنواته الأولى، وقد تبين لنا أن المجلس قد سار في طريق افتتاح المدارس لسد الحاجة إلى نشر التعليم، وأرسل البعثات إلى خارج الكويت واهتم بالمكتبة العامة بعد أن ضمها إلى نطاقه وقد كانت أهلية في بداية الأمر.

بعد هذا...

نشرت مجلة البعثة في عددها الصادر في شهر يوليو لسنة ١٩٤٨م بيانًا بمدارس الكويت في سنوات دراسية ثلاث وقد وقع اختيارنا على هذه المدارس لأنها هي التي باشرت العمل منذ بدايات نشأة مجلس المعارف ودائرة معارف الكويت وهذه المدة التي تعبر عنها السنوات الدراسية المشار إليها مدة كافية للدلالة على تسارع العمل التربوي منذ البدايات الأولى.

نلاحظ في الكشوف التي وردت في «مجلة البعثة» أنها تضم في السنة الدراسية الأخيرة ست عشرة مدرسة وأن هذه المدارس متنوعة منها مدارس للبنين وأخرى للبنات، وفيها مدارس نوعية كالتعليم التجاري والديني وتعليم المعلمين. ونرى أن مراحل التعليم تتكون من الروضة والابتدائي والثانوي. وكانت الروضة لمدة ثلاث سنوات تعادل السنوات الثلاث الأولى من التعليم العام فهي مختلفة عن نظام رياض الأطفال الحالي.

ولم ينس مجلس المعارف القرى الكويتية فخصها باهتمامه وأنشأ فيها المدارس حتى لا يتأخر أبناؤها عن زملائهم طلاب العاصمة، ولذا فقد جاء في الكشف الوارد في المجلة أنه في السنة الدراسية ١٩٤٨-١٩٤٩م كانت في ست من قرى الكويت مدارس هي: الجهراء وحولي والدمنة والفنطاس وبوحليفة والفحيحيل، ولابد هنا أن نذكر أن هذه القرى صارت الآن مُدنًا واسعة مزدهرة والتصقت حولّي بالعاصمة، وتحول اسم (الدمنة) إلى السالمية وقد مضت سنوات بعد هذا التاريخ لكي نرى في هذه القرى (المدن فيما بعد) عددًا من المدارس ورياض الأطفال لكي تسد الحاجة وتلبي الطلب الملح على مقاعد الدراسة. وإضافة إلى ذلك فقد أنشأ المجلس مدرسة في جزيرة فيلكا.

غني عن البيان أن نذكر أن مدرستي المباركية والأحمدية كانتا قد بدأتا في عملهما قبل نشأة المجلس المذكور، وأن هذا المجلس قد ضمهما إليه فور إنشائه،

وقد تحدثنا عنهما فيما مضى كثيراً ولذا فلن نذكرهما في هذا المجال بشيء من التفصيل ولكننا سوف نتحدث عن باقي المنشآت التعليمية وسوف نسير على تسلسل الأسماء وفق الجدول الذي وجدناه في المجلة المشار إليها، وذلك كمايلي:

١ - المدرسة الشرقية للبنين والبنات:

نعرف من اسم هذه المدرسة أنها في المنطقة الشرقية من العاصمة. ويدلنا عليها أكثر مبناها القائم الآن الذي جرى استخدامه لأغراض أخرى.

بدأت الدراسة في المدرسة الشرقية للبنين في السنة الدراسية ٤٢-١٩٤٣م، في مبنى مؤقت، واستمرت في مبناها هذا إلى أن تم إنشاء مبنى ملائم لها في سنة ١٩٤٧م، وابتدأ العمل المدرسي فيه فور انتهاء البناء. ولما كان هذا المبنى ذا اتساع لا بأس به فقد انتقل إليها لقسم الثانوي من المدرسة المباركية (مؤقتًا) والقسم الابتدائي من المدرسة الشرقية القديمة التي تم تحويلها إلى مدرسة للبنات، وصارت فيها - أيضًا - روضة تضم أربعمائة تلميذ، وتقرر أن يخصص قسم من المدرسة الشرقية الجديدة لإنشاء مدرسة للمعلمين وكان من المقرر أن تتكون مدرسة المعلمين هذه من شعبة واحدة، تخرج ما يسمى: مدرس الفصل.

وكانت المدرسة الشرقية للبنات قائمة منذ السنة الدراسية ٤٥-١٩٤٦م، ولايزال المبنى الذي شغلته في الماضي قائمًا وقد صار يستعمل لغرض آخر غير التعليم.

٢ - المدرسة القبلية للبنين:

تم إنشاء هذه المدرسة منذ سنة ٤٥-١٩٤٦م، وتقع في الجهة الغربية من العاصمة، في منطقة الصيهد، وبالتحديد خلف مبنى دائرة معارف الكويت الكائن في شارع فهد السالم، وكانت تقبل الطلاب الذين وصلوا في دراستهم إلى المرحلة

الابتدائية وأذكر من مدرسيها الأستاذ أحمد العدواني والأستاذ صالح الشهاب. أما تلاميذها فكانوا من فريج الصيهد وفريج الشاوي وما حوله.

٣ - روضة البنين:

هذه مدرسة تخدم المرحلة الابتدائية من التعليم، ولكنها تسمى روضة، وهذه هي التسمية السائدة على مثل هذه المدارس قبل أن تنشئ دائرة المعارف الكويت نظام رياض الأطفال في أوائل الخمسينيات. وتعد هذه مرحلة سابقة للمراحل الدراسية الأخرى.

تقع هذه المدرسة في فريج سعود، مجاورة لمدرسة البنات القبلية. وقد تم إنشاؤها في السنة الدراسية ٤٥-١٩٤٦م وكان ناظرها في البداية الأستاذ عقاب الخطيب. وقد تم إغلاقها فيما بعد، وضم مبناها إلى مدرسة البنات المذكورة. وكان من مدرسيها الأستاذ سعود الصقر.

٤ - المدرسة الثانوية:

بدأ نظام التعليم في المرحلة الثانوية للبنين من السنة الدراسية ٤٥-١٩٤٦م. ولكنه كان ملحقًا مرة بالمدرسة المباركية ومرة أخرى بالمدرسة الشرقية الجديدة، ثم عاد إلى المباركية لتتحول إلى مدرسة ثانوية بحتة، واستمرت كذلك إلى أن افتتحت مدرسة الشويخ الثانوية فانتقل طلابها إلى هناك، وتحول مبنى المباركية إلى مدرسة متوسطة للبنين، ثم صارت مكتبة عامة.

٥ - المدرسة القبلية للبنات:

هذه المدرسة من مدارس البنات الأولى في الكويت، تقع في مدخل الطريق المؤدي إلى فريج سعود في حي القبلة وأمامها مسجد المديرس القديم في تأسيسه،

ومبناها يستعمل حاليًا لأنشطة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إن كانت له أنشطة.

وقد بدأت الدراسة في هذه المدرسة في السنة الدراسية ٣٨-١٩٣٩م، وكانت بدايتها في بيت مستأجر في منطقة القبلة إلى أن تم إنجاز المبنى الذي أشرنا إليه.

٦ - المدرسة الوسطى:

نستطيع أن نقول إن هذه المدرسة كانت أول مدرسة نظامية للبنات في الكويت، وقد تم افتتاحها في السنة الدراسية ٣٧-١٩٣٨م، وبدأ عملها في موقع قريب من المدرسة المباركية، ثم نقلت إلى مبنى خاص بها بالقرب من دوار الميدان في الشارع القائم اليوم باسم الشيخ عبدالله الأحمد الجابر.

وكانت في البداية مكونة من ثلاثة فصول من المرحلة الابتدائية، وكان الإقبال عليها شديدًا مما دفع دائرة معارف الكويت الى السير قدما في افتتاح مدارس أخرى للبنات، أسوة بما كانت تعده لمدارس البنين.

٧ - ثلاث مدارس:

تم في السنة الدراسية ٤٨-١٩٤٩م افتتاح ثلاث مدارس دفعة واحدة، وكانت على التوالي:

- مدرسة الزهراء؛ وهي مدرسة ابتدائية للبنات، وتقع في حي القبلة (فريج الزنطة) وقد أزيلت وبقي مكانها خالياً، وهو الآن بجوار قصر العدل.

- مدرسة المثنى؛ وهي مدرسة ابتدائية للبنين كان أول ناظر لها هو الأستاذ عقاب الخطيب. وكنت أحد تلاميذها الذين التحقوا بها في بداية إنشائها فقد جئت إليها منقولاً من المدرسة الأحمدية.

صار موقعها بعد أن تمت إزالتها مبنى كبيراً هو: مجمع المثنى الكائن في شارع فهد السالم وهذا المجمع يشملها هي وروضة أطفال كانت ملاصقة لها هي: روضة الأندلس.

- مدرسة المرقاب؛ وهذه - أيضاً - مدرسة ابتدائية للبنين تقع في حي المرقاب، وقد مر عليها عدد من النظار البارزين منهم الأستاذ عبدالعزيز الدوسري وكان عدد طلابها كثيراً، وبقيت في خدمة التعليم إلى أن انتقل سكان المنطقة إلى أماكن أخرى فتم الاستغناء عن مبناها.

٨ - معهد الكويت الديني:

لم يكن التعليم الديني بعيداً عن الكويت فقد كان فيها عدد من العلماء منذ أمد طويل ولعل أبرز ما يدلنا على ذلك كتاب الموطأ لمالك بن أنس الذي خطه الشيخ مسيعيد بن أحمد بن سالم في جزيرة فيلكا، إبّان سنة ١٦٨٢م.

وإلى ما قبل نشأة معهد الكويت الديني كان عدد من العلماء يتولون التدريس لرواد مجالسهم نذكر منهم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان. وقد وُجد فيما بعد أن الحاجة ماسة إلى إنشاء دار متخصصة بالتعليم الديني، وتكاثر الحديث حول هذا الأمر إلى أن أخذت به دائرة معارف الكويت.

وكان البدء في سنة ١٩٤٥م بعدد قليل من المدرسين وغرفة من غرف المبنى الذي صار مقراً لدائرة معارف الكويت.

وفي سنة ١٩٤٦م، اتخذ مجلس المعارف خطوة جديدة لصالح معهد الكويت الديني حين أجرى اتصالاً مع الأزهر الشريف بمصر، واستحضر منه عدداً من العلماء كان على رأسهم الشيخ علي حسن البولاقي الذي أشرف على القيام بالطور الجديد من أطوار المعهد الذي بدأ في السنة الدراسية ٤٧-١٩٤٨م. وتوج اهتمام

الكويت بمعهدها الديني حين أنشئ له مبنى خاصّ افتتحه الشيخ عبدالله الجابر الصباح في سنة ١٩٤٩م، واستمر العمل فيه منتقلًا إلى مكانين آخرين إلى أن اتخذ له موقع كبير فيه كل الامكانات المطلوبة لمعهد ديني، وصار له فروع في كل مكان في الكويت منها فروع خاصة للفتيات.

٩ - التعليم التجاري:

كانت الحاجة في الكويت ماسة إلى دارسي فنون التعليم التجاري إذ كان العمل في مجال التجارة آخذاً في الاتساع وكان التجار في حاجة إلى من يقوم بالأعمال المحاسبية وما شابهها، ولذلك فإننا نرى عدداً من المتمرسين بالأعمال المرتبطة بالتجارة يقومون بتدريس فنون هذا العمل في أماكن خاصة بهم فيما يشبه الكتاتيب وحاولت المدرسة المباركية أن تقوم بدور في هذا المجال ولكنها لم تضع الأمر موضع الاهتمام الكامل إلا في سنة ١٩٣٠م ففي هذه السنة اختارت عدداً من الطلبة ووجهتهم إلى هذا النوع من الدراسة، وكان هؤلاء ممن اجتاز المرحلة الابتدائية، وقد جرى التدريب على الحسابات التجارية ومنها مسك الدفاتر والآلة الطابعة وتطور الأمر بافتتاح صفين لهذا الغرض هما الأول والثاني. وتطور الأمر إلى أن صار في المدرسة المباركية قسم خاص بالدراسات التجارية وهو ما ورد ذكره في البيان المنشور في مجلة البعثة.

واستمر الوضع على هذه الحال إلى أن اتجهت دائرة المعارف إلى إعطاء دفعة قوية لهذا النوع من التعليم تحسباً للحاجات المستقبلية التي تتطلب أعداداً كبيرة من مخرجاته. وكان ذلك في السنة الدراسية ٥٢-١٩٥٣م.

١٠ - إعداد المعلمين:

لا شك في أن الاتجاه إلى التوسع في إنشاء المدارس واستقبال الطلاب والطالبات سوف يحتاج إلى مزيد من المعلمين والمعلمات. وقد اتجهت دائرة معارف

الكويت في وقت مبكر من تاريخها إلى تحقيق هذا الغرض، وقد بدأ ذلك بصفوف تكميلية نشأت في المدرسة المباركية ثم تزايدت أعداد هذه الفصول، وبدأ العمل على إعداد المعلمات ثم تطورت الأمور كما نعرفها بإنشاء معهد المعلمين وكلية التربية بجامعة الكويت وغير ذلك.

ولكن ما يهمنا هنا الإشارة إلى البداية الأولى التي ذكرتها مجلة البعثة، وهي التي كان إعداد المعلمين - يومها - مقتصراً على الصفوف التكميلية القائمة في المدرسة المباركية.

☆☆☆☆

هذا عرض فيه شيء من التوسع، ولكنه سريع لحالة التعليم القديمة التي تبدأ منذ نشأة مجلس المعارف ودائرة معارف الكويت في سنة ١٩٣٦م إلى السنة الدراسية ٤٨-١٩٤٩م. ولكن التعليم في الكويت يحتاج إلى مزيد من العمل لكي نستطيع أن نتكفل بكتابة تاريخية مفصلة، ولا ننكر وجود مؤلفات تهدف إلى هذه الغاية ولكن الأمر يقتضي الزيادة فقد كان ما حدث طوال السنوات التي ألمحنا إليها دالاً على النشاط الشعبي الحريص على التطوير، والارتقاء بالبلاد وهذا النشاط المخلص الوفي للوطن هو الذي منحنا هذا النوع الجيد من التعليم، وهو نوع نتمنى أن يحظى دائماً بالعناية والاهتمام من الجميع كما كان الحال في ماضي الزمان.

****

حكاية صورة.. من تاريخ الكويت[1]

من بين الأعداد الكبيرة من الصور التي أحتفظ بها كررت النظر إلى هذه الصورة التي يتحدث عنها المقال، هي قطعة من تاريخ الكويت لأنها تخص شخصية من شخصيات البلاد البارزة بل هي تمثل الشيخ المرحوم صباح السالم الصباح (١٩١٥م - ١٩٧٧م). مصورة حضوره حفل افتتاح جامعة الكويت في يوم الأحد الموافق للسابع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٦م.

حضر الشيخ صباح رحمه الله مع عدد كبير من الشيوخ والمسؤولين، وعدد من ضيوف الكويت يمثلون وزراء التربية والمسؤولين عن التعليم العالي في دول الخليج، وألقى كلمة افتتح بها الحفل، وعبر فيها عن سعادته بقيام جامعة الكويت، وعن العزم على وضع كافة الطاقات الكفيلة بنجاحها، وقيامها بخدمة العلم في وطننا. وفي الختام شكر كافة الذين عملوا من أجل قيامها ودعا الله أن يسدد خطى الجميع إلى ما فيه خير الوطن ورفعته.

في ذلك اليوم العزيز على قلوب أبناء الكويت كتب الشيخ كلمة معبرة في الدفتر الخاص بهذه المناسبة، وقد جاء في كلمته: «إلى جامعة الكويت في يوم افتتاحها أهدي أخلص التهاني، داعياً المولى القدير أن تحقق الجامعة أهدافها في سبيل إعداد شبابنا لحمل أعلام نهضتنا على أساس من العلم؛ أمضى أسلحة التقدم في العصر الحديث».

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٥م.

وقد أثارت الاهتمام والذكريات في نفسي - بعد مرور ستين طويلة على هذا الحدث المهم - صورة التقطت للشيخ صباح السالم رحمه الله وهو يكتب كلمته هذه، وقد بدا على محياه الاهتمام بالحدث والسعادة به. وهذه الصورة هي التي يراها المطلع على هذا المقال إلى جانب ما نكتب عن افتتاح جامعة الكويت.

ولقد أثارت في نفسي صورة أخرى مماثلة، لها ذكريات لها قيمتها، وكم كنت أتمنى أن تحتفظ الجهة المختصة بنسخة منها، وذلك لأهميتها التاريخية ودلالتها على محبة الشيخ لأبنائه الكويتيين، وبخاصة أولئك المق[illegible] منه[illegible] على طلب العلم.

أثناء زيارة سموه لمركز مهم من مراكز التربية، وهو المركز الذي يضم معاهد التربية الخاصة الذي تم إنشاؤه من أجل إفادة عدد من أبنائنا ذوي الاحتياجات الخاصة.

كان الشيخ صباح معجباً بهذا العمل الجليل الذي يؤدي خدمة إنسانية قل نظيرها. وكان يحرص على زيارة هذا المقر، بل ويحرص على أن يزوره ضيوفه من رؤساء الدول وقد شهد مبنى المعاهد الخاصة عدداً منهم، حضر بعضهم للزيارة والاطلاع، وحضر البعض الآخر لكي يتلقى التكريم الذي يقام له على مسرح المعاهد الخاصة، مما تعده وزارة التربية، ويشترك فيه عدد من طلاب وطالبات مدارس الكويت.

نذكر من الزوار المرحوم الملك خالد بن عبدالعزيز، والرؤساء أنور السادات وشارل حلو ومختار ولد داده.

والصورة التي نتحدث عنها هنا تمثل الشيخ صباح السالم عندما حضر مع ضيف من ضيوفه إلى المعاهد وجال مع الضيف في أرجائها ثم جلس في قاعة الاستراحة قبل أن ينصرف، فطلب من مدير معاهد التربية الخاصة الأستاذ

عبدالعزيز الشاهين أن يحضر له ورقة يكتب للمعاهد الخاصة فيها كلمة معبرة، فكان أن كتب تلك الكلمة التي تفخر بها وزارة التربية كما تفخر بها هذه المعاهد، وتمثل الصورة شيخنا الكريم رحمه الله وهو يكتب تلك الكلمة الراقية التي جاء فيها، ما مضمونه:

«لقد أسعدني أن أزور معاهد التربية الخاصة، وأن أطلع على ما فيها من أعمال مهمة كلها تأتي لصالح أبنائنا وبناتنا الطلبة والطالبات الذين تحتاج أوضاعهم الخاصة إلى عناية لا يستطيع أن يقدمها لهم إلا مثل هذه المعاهد التي نفخر بها، ويسعدنا وجودها في بلادنا الحبيبة: دولة الكويت.

لقد شاهدت أساليب التعليم في الفصول الدراسية المختلفة، كما زرت الورش العملية على اختلاف تخصصاتها، ولاحظت منذ زيارتي السابقة وحتى هذه الزيارة مزيدًا من التطور الذي يدل على ما يبذل في هذه المعاهد من جهود، وإني إذ أبارك للطلبة والطالبات ما وصلوا إليه، لأشكر كافة العاملين في المعاهد الخاصة من إداريين ومدرسين، وأذكر بالتقدير جهود المدير عبدالعزيز الشاهين لما يقدمه دائمًا من أعمال ترفع من مستوى المعاهد، وتبقي ذكرها الحسن دائمًا».

لابد وأن أذكر أنني نقلت هذه الكلمة من ذاكرتي كما وعيتها يوم كتبها المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح، وقد كان من حظي الوافر أن كنت حاضرًا تلك اللحظة التي قام فيها بكتابة كلمته هذه. وكنت أتمنى أن أنقل صورة لها وأضع نصها الحقيقي، لأنني أذكر جيداً مدى اهتمام الأستاذ عبدالعزيز الشاهين بها فقد مزج بين الصورة وما كتبه الشيخ ووضعهما في إطار كان معروضًا إلى وقت متأخر في المكان الذي تمت فيه كتابة هذه الكلمة. وللأسف الشديد فإن الإدارة الحالية للمعاهد الخاصة ليست من حيث الشعور بالمسؤولية في مستوى السابقين، فقد أهملت إهمالًا شديدًا كل ما يتعلق بتراث المعاهد الذي كان الأستاذ الشاهين

يحرص عليه باعتباره دليلاً على الجهد الذي بذل في هذا المشروع الإنساني النبيل، ودليلًا على اهتمام دولة الكويت بشخص أميرها بهذا العمل. أقول هذا لأنني بحثت عن الكلمة وما يتعلق بها فلم أجد من ذلك شيئاً لقد أضاعوا آثار المعاهد الخاصة لأنهم لا يعرفون قيمتها.

كان الشيخ صباح السالم الصباح محبوبًا من الجميع، وكان يحب الناس، ويرتاح إلى عمل الخير لهم، ويبحث في كل السبل التي تجعلهم ينعمون بالسعادة والخير. وقد بادله شعبه محبة بمحبة، وأدل شيء على ذلك الاستقبال الكبير الذي قامت به الجماهير عند عودة أميرها من رحلة علاج طويلة. فقد سارت في ذلك اليوم مسيرات شعبية كبيرة اهتز لها الوطن ثم احتضنتها قصر المسيلة.

وكان الشيخ إلى جانب ذلك يعرف العدد الأكبر من المواطنين ويسألهم عن أحوالهم، ويطلب منهم عدم التأخر عن لقائه في كل مناسبة تمر.

وكانت الروح الطيبة التي يتصف بها هذا الأمير الكريم الراحل هي التي أوحت إليه في يوم الزيارة الذي أشرنا إليه بكتابة ما كتب في تلك الورقة التي كانت بمثابة رسالة لأبنائه من طلاب وطالبات المعاهد الخاصة ولكافة العاملين في المجال التربوي في الكويت. وقد سعد بها الجميع وعلموا مقدار المشاعر الفياضة التي يحس بها أميرهم نحوهم.

نشأ الشيخ صباح السالم نشأة كريمة في بيت الحكم، ووجد في هذا البيت خير توجيه إلى أسباب السيادة ومعرفة شؤون الحياة؛ فوالده هو الشيخ سالم المبارك الصباح الذي حكم البلاد منذ سنة ١٩١٧م حتى سنة ١٩٢١م وجده الشيخ مبارك الصباح الذي أسس الكويت الحديثة وتولى الحكم فيها منذ سنة ١٨٩٦م حتى سنة ١٩١٥م.

ولد الشيخ صباح في اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩١٥م، ودرس القرآن الكريم والحديث الشريف، ودرس اللغة العربية والأدب كما هي عادة أمثاله في وقته ذاك. وقد تمكن خلال دراسته من معرفة الكثير من هذه الدروس إضافة الى قراءاته الكثيرة في الكتب والصحف.

سُمِّي حاكمًا لدولة الكويت في اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٥م، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي سبقه إلى سُدّة الحكم.

بدأ في مزاولة بعض الأعمال الرسمية في وقت مبكر من حياته، فقد عهد إليه الشيخ أحمد الجابر الصباح في سنة ١٩٣٨م بإنشاء دائرة الشرطة العامة، وكلفه برئاستها، وكانت هذه الدائرة هي نواة وزارة الداخلية التي تأسست بعد الاستقلال. ولقد امتد بقاء الشيخ صباح السالم في رئاسة دائرة الشرطة العامة لمدة إحدى وعشرين سنة أدّى خلالها عمله في حفظ الأمن واستتباب النظام، ووضع الأسس التي سارت عليها الوزارة عندما نشأت.

بعد تلك الفترة، وفي سنة ١٩٥٩م عين رئيسًا لدائرة الصحة العامة، وكان هذا المنصب يعادل منصب الوزير حاليًّا.

ثم صار أول رئيس لدائرة الخارجية (وزارة الخارجية فيما بعد) وذلك في اليوم الثالث من شهر أكتوبر لسنة ١٩٦١م، وعندما تم تشكيل أول وزارة في الكويت في اليوم السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م، وذلك بعد الاستقلال وإلغاء الاتفاق التعاقدي الذي تم بين الكويت وبريطانيا، وانتخاب المجلس التأسيسي أصبح الشيخ صباح السالم وزيراً للخارجية في هذا التشكيل الوزاري. وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م صار نائباً لرئيس الوزراء بالإضافة إلى عمله وزيراً للخارجية.

وابتداء من اليوم السابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٦٣م كلفه الشيخ عبدالله السالم الصباح بتشكيل أول وزارة تتم له رئاستها وتجدد ذلك في اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٤م، وقد بقي في هذه الوزارة الأخيرة إلى أن تولى حكم البلاد إثر وفاة أخيه الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي كان قد أسند إليه مهمة ولاية العهد في اليوم التاسع والعشرين من شهر أكتوبر لسنة ١٩٦٢م.

وغنيٌّ عن البيان أن نذكر أنه كان خلال هذه الفترة مساعداً قوياً للأمير، داعمًا لكل مشروعات البلاد التي كانت تسعى - في ذلك الوقت - إلى النهوض والتقدم، ومحاولة مجاراة الدول فيما وصلت إليه من ر[illegible]

في اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٥م تمت المناداة به أميرًا لدولة الكويت. وكان مما يلاحظ أن هذا اليوم الذي نودي به فيه أميراً يصادف يوم مولده الذي أشرنا إليه فيما تقدم.

سعدت الكويت كثيراً في عهد الشيخ صباح السالم الصباح، وشهدت كثيراً من المشروعات في مختلف المجالات كان من أهمها افتتاح جامعة الكويت، إضافة إلى مشروعات عديدة أخرى. ولقد انتقل إلى رحمة الله تعالى في اليوم الحادي عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٧٧م فمضى مأسوفاً عليه عن عمر مقداره ثلاث وستون سنة.

هذا هو أقل ما يجب علينا أن نذكره عن السيرة الذاتية للمرحوم الشيخ صباح السالم الصباح، وهناك كثير مما ينبغي أن يُذكر لولا ضيق المجال.

وهنا نود أن نتحدث قليلًا عن معاهد التربية الخاصة التي التقطت الصورة التي أشرنا إليها في قاعة من قاعاتها يوم زيارة الأمير الراحل لها.

والواقع أن هذا الصرح التربوي الكبير جدير بأن نذكره، وأن نستعرض تاريخ إنشائه مع بيان بعض تفاصيل العمل به. وسوف نقوم بذلك بقدر الإمكان لأن الحديث عن كافة التفصيلات صعب للغاية.

اهتمت دولة الكويت برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة منذ زمن طويل، وقامت دائرة المعارف بها بدور كبير في هذا الشأن ابتداء من السنة الدراسية ٥٥ - ١٩٥٦م، حين أنشأت معهد النور للبنين، وكان عدد الملتحقين به - آنذاك - ستة وثلاثين طالبًا ارتفع عددهم خلال تلك السنة الدراسية إلى خمسين طالبًا.

وقد قام هذا المعهد بدور كبير في تعليم فاقدي البصر وكان يطبق المناهج المقررة في مدارس المبصرين ويضيف إلى ذلك أنه يدرب طلابه على الكتابة الخاصة بالمكفوفين مما يسهل عليهم متابعة دروسهم. وكان المسؤول عن هذا المعهد في فترة إنشائه هو الأستاذ عبدالعزيز الشاهين الذي ارتبط اسمه بهذا النوع من التعليم حتى تقاعده.

ولقد وجدت دائرة معارف الكويت أن هذا المعهد غير كاف، لأنه يتولى تدريس فئة واحدة من فئات ذوي الاحتياجات الخاصة، ومن أجل إعطاء فرص الدراسة لجميع المقبلين عليها من هذه الفئة، ولمراعاة كافة أنواع الإعاقة التي يعاني منها بعض الأبناء فقد قرر مجلس المعارف في جلسته المنعقدة في اليوم العاشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٠م إنشاء مجمع يضم كافة المعاهد القائمة والمقرر قيامها. على أن يكون هذا المجمع شاملًا لأجنحة تضم الورش المتعددة التي يستفيد منها الطلاب الذين سوف يتم إعدادهم إعداداً مهنياً. وقد نفذت وزارة التربية فيما بعد هذا المجمع الضخم الذي صار رمزاً من رموز العمل التربوي في الكويت. وصار محط أنظار كافة زوار الكويت من تربويين وسياسيين.

وفي أثناء فترة إنشاء المجمع الذي لم تتهيأ الفرص لتشغيله إلا بعد عدة سنوات لكبر حجمه، ولما يضم من أجهزة ومختبرات وسكن داخلي ومسرح. فإن دائرة معارف الكويت قد استمرت في إنشاء المعاهد المختلفة، وخصصت لها أماكن في مواضع متعددة إلى أن تم نقلها جميعاً إلى المبنى الجديد الكبير.

وسيراً على هذا المنوال فقد انشأت الدائرة المعنية معهد النور للبنات في السنة الدراسية ٥٧ – ١٩٥٨م، وجعلت له جناحًا منفصلًا في معهد النور للبنين وجلبت له عدة مدرسات متخصصات، وسارت الدراسة فيه على الطريقة التي سار عليها معهد النور للبنين مع إضافة التدبير المنزلي والأشغال اليدوية المختلفة.

وفي بداية السنة الدراسية ٥٩ – ١٩٦٠م ألحقت دائرة المعارف بجناح مرفق بمعهد النور معهداً جديداً من معاهد التربية الخاصة هو معهد الأمل للبنين والبنات وهو خاص بتعليم الصم والبكم، وقد بدأت الدراسة فيه بثمانية عشر طالباً وأربع طالبات، ثم ارتفع العدد في السنة ذاتها إلى خمسين طالبًا وست عشرة طالبة، وكانوا يتلقون العلم والمعلومات كافة عن طريق حركة الشفاه، ولهؤلاء منهج خاص.

ويخضع الملتحقون بهذا المعهد لفحوصات طبية، وبخاصة ما يتعلق بقياس السمع، ويزود من يمكن أن يستفيد من الوسائل المساعدة بسماعة لتقوية السمع عنده.

وقد تم تزويد المعهد بعدد من الأجهزة المساعدة، وأتيحت للمنتسبين والمنتسبات إليه مجالات الأنشطة المدرسية، التي تساير حالاتهم الخاصة.

وفي السنة الدراسية ٦٠ – ١٩٦١م افتتحت دائرة المعارف معهد التربية للبنين والبنات، يتم اختيار الدارسين والدراسات فيه وفق اختبارات للذكاء تقوم الجهات المختصة بإجرائها للمتقدمين حتى يوضع كل منهم في المستوى اللائق

به، وتعين له الفرقة التي ينتظم بالدراسة فيها. ومن الجدير بالذكر أن هذه الفحوصات تبحث في سمات المتقدم السلوكية، ومدى استجابته للمواقف اليومية، مع معرفة علاقاته بالمدرسة والبيئة والزملاء مع بحث عن نشأته منذ كان طفلًا ومراجعة تاريخه المرضي.

بدأ هذا المعهد باثنين وثلاثين طالبًا، وثلاثين طالبة وقد ارتفع عددهم في السنة نفسها إلى خمسة وستين طالبًا وخمس وستين طالبة.

هذا ويراعي المعهد الفروق الفردية بين طلابه وطالباته ويمنحهم بحسب ذلك العناية الخاصة بكلٍّ منهم، بحيث تتم استفادتهم التامة من التحاقهم بمعهد التربية هذا.

وفي أثناء تأدية هذه المعاهد التي ذكرناها لعملها كانت خطة مجلس معارف الكويت الهادفة إلى بناء المبنى الخاص بالمعاهد تسير كما يرام ولكن البدء في البناء لم يتم إلا في سنة ١٩٦٦م بعد أن تحولت دائرة معارف الكويت إلى وزارة تحت مُسمّى: وزارة التربية. وقد مضت الفترة الفاصلة بين قرار الإنشاء، وبدء العمل به في إعداد المخططات والدراسات اللازمة لهذا الصرح التربوي الكبير الذي كان إنشاؤه يقتضي هذه المدة الطويلة لما فيه من متطلبات فنية وتربوية متعددة ومهمة.

وحشدت الوزارة للمعاهد كافة الإمكانات الكفيلة بنجاح عملها وأعدت جهازاً تابعاً لها مختصًّا بالخدمات الاجتماعية والنفسية الطبية، ووضعت لها نظامًا إداريًّا وفنيًّا دقيقًا لضمان العمل المأمول.

وكانت وزارة التربية تقوم – باستمرار – بتحديث مناهج معاهد التربية الخاصة، وإدخال المواد الجديدة التي يستفيد منها الدارسون ويتكامل بها تكوينهم. وتعددت خلال هذا الوقت ورش هذه المعاهد التي يتدرب عليها طلاب التأهيل

المهني، وتطورت المطبعة فصارت تقوم بطباعة الكتب للمعاهد وللوزارة عندما تدعو الحاجة.

هذا وقد صار عدد المعاهد بأنواعها للبنين وللبنات حتى سنة ١٩٨٦م أربعة عشر معهدًا. ولقد صارت مصدر إشعاع نور في الكويت وفي المنطقة كلها، وصارت محط أنظار التربويين يأتونها من داخل وخارج الكويت للاطلاع على أنظمتها، وأساليب عملها. بل وصارت من المزارات التي توضع على جداول زيارات كبار الزوار من رؤساء دول وغيرهم، فلفتت بذلك انتباه الجم...

واشتهرت المعاهد الخاصة بعمل وطني مهم، فعلى مسرحها الكبير كانت تقام – سنويًّا – احتفالات وزارة التربية بالعيد الوطني حيث يشارك عدد كبير من طلاب المدارس. وحيث اكتسب هذا النشاط سمعة كبيرة، وصدحت الفرق المدرسية بأناشيد جميلة تمجِّد الوطن، وتثير المحبة له ولكل أبنائه، وعلى الرغم من توقف هذا النشاط منذ فترة فإننا نجد تلك الفعاليات الفنية تتردد على الأسماع عبر أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، ولا يزال المستمعون يتخيلون تلك الأنشطة المبهرة التي كان يقدمها الفنان شادي الخليج والشاعر الدكتور عبدالله العتيبي والفنان غنام الديكان والفنانة سناء الخراز ولقد فتحت هذه الأعمال شهية الكثيرين لتقليدها فشاهدنا نماذج كثيرة ولكنها لم ترقَ إلى ذلك المستوى العالي الذي قدمه مسرح المعاهد الخاصة.

لا نستثني من ذلك إلا عرضًا واحداً قدمه أخيراً الفنان الدكتور سليمان الديكان فأبدع فيه، ولم يكن ذلك مستغربًا منه، فقد باشر أعمالاً فنية مع والده غنام الديكان وبقية المجموعة، ولذا فقد جاء عمله وليد خبرة كبيرة في هذا المجال.

هكذا رأينا حجم العمل في معاهد التربية الخاصة، ولا شك في أن الجهود التي بذلت في التأسيس والتطوير كانت جهوداً مباركة بدأها رجال مخلصون

وتلقفها رجال مخلصون مثلهم لكي تصل إلى ما نراه اليوم في هذا المركز المشعّ بنور العلم المحتضن لكل طفل كويتي من ذوي الاحتياجات الخاصة.

وإذا كُنا نشير هنا بصفة عامة إلى الرواد الذين قام بآرائهم وبأعمالهم هذا العمل الكبير فإننا لابد وأن نذكر رجلاً من الرجال هو الأستاذ عبدالعزيز شاهين يوسف الشاهين الربيِّع، فقد كان من أوائل العاملين في مجال تعليم وتدريب ذوي الاحتياجات الخاصة منذ نشأة معهد النور في سنة ١٩٥٥م ولقد استمر أستاذي عبدالعزيز الشاهين في عمله هذا فترة طويلة وتابع كافة المراحل التي مر بها هذا المشروع الجليل الذي نفخر به جميعاً، ولقد أدّى واجبه خير أداء، وكان من الإخلاص والوفاء للعمل على درجة كبيرة بحيث لم يتخلف يوماً عن أداء واجبه، ولم يسمح يوما لأيّ موظف بالحضور قبله إلى متابعة الدوام اليومي.

لقد شهدت عمل هذا الرجل في ثلاث مراحل، الأولى: عندما كان مدرسًا في المدرسة الأحمدية في أوائل أربعينيات القرن الماضي، وقد سعدت به مدرسًا لي استفدت كثيرًا مما كان يقدمه في الفصل من دروس، وكان حريصًا على أبنائه الطلاب من جميع النواحي. والمرحلة الثانية: عندما كان مشرفًا ومدرسًا في معهد الكويت الديني، وكان يومها شعلة من النشاط لا يتأخر عن عمل أي شيء في سبيل إظهار المعهد المذكور بالصورة الحسنة، ولقد كان يعنى بالنظام وبالأنشطة المدرسية وبالزراعة والنظافة ويحرص على إقامة نشاط مسرحي سنوي يؤمه الشيخ عبدالله الجابر الصباح بصفته رئيساً لدائرة المعارف وعدد كبير من كبار القوم في ذلك الوقت.

أما المرحلة الثالثة: فقد كانت مرحلة مهمة لقد صار التلميذ زميلًا لأستاذه، عملنا معًا في وزارة التربية، وصار اتصالي به شديدًا ومعرفتي بطرقه في العمل شاملة، ولقد قام في الفترة التي زاملته فيها باستلام المبنى الجديد لمعاهد التربية

الخاصة وهو الذي لايزال قائمًا في حولي وقد اتسع بنيانه حتى صار في ما يشبه المستعمرة التي تجدها ملأى بالناس طول الليل والنهار وذلك لأنّ فيها الدراسة والأنشطة المتعددة والسكن الداخلي. ولقد كان انتقاله بأبنائه وبناته من المعاهد المتناثرة إلى هذا المبنى الكبير الذي يحتاج إلى إدارة من نوع خاص انتقالاً مهمًا بالنسبة لوزارة التربية وبالنسبة للأستاذ أيضًا، لقد قدم إلى أجواء جديدة ولكنه سرعان ما تأقلم معها وصار يؤدي واجبه وكأنه يعرف هذا المكان منذ زمن طويل.

ولد الأستاذ عبدالعزيز الشاهين في سنة ١٩٢٣م، ودرس على أيدي عدد من علماء الكويت، ثم درس في المدرسة المباركية وأنهى السنة الأولى الثانوية، والتحق بالعمل في سلك التدريس وتابع حياته العملية على النحو الذي أشرنا إليه خلال حديثنا في هذا المقال، ووصل إلى درجة الوكيل المساعد في وزارة التربية في سنة ١٩٧٦م، ولكنه بقي في عمله المتعلق بمعاهد التربية الخاصة. إلى أن تقاعد في اليوم الثاني من شهر سبتمبر لسنة ١٩٨٣م.

وبقيت علاقتنا به مستمرة، فهو مرتبط روحيًّا بهذا المجال الكريم من مجالات العمل وهو: التعليم، ولذا فقد كان مُصرًّا على الالتقاء الدائم بمن شاركهم هذه الحياة. وبقي على هذه الحال من الاتصال الدائم إلى أن توفي في اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٨٨م، وترك في نفوسنا حزنًا شديداً لفراقه، رحمه الله.

وفوق ذلك فإنه قد اتفق لي أن أصحبه في بعض الرحلات الخارجية في مهمات رسمية لها علاقة بالعمل فكان نعم الرفيق في السفر، وكان يحرص على المواعيد، وعلى استيعاب كل ما يطلع عليه في الأماكن التي نزورها، ثم يقوم بعد ذلك بمقارنة ما رآه مع ما هو عنده في المعاهد الخاصة، فقد كان يتطلع إلى مصلحة عمله أينما كانت، ومن أي جهة أخذها.

بدأنا مقالنا هذا بالحديث عن صورة تاريخية، ولقد كانت صورة جديرة بأن نتحدث عنها، ونثني على صاحبها الشيخ صباح السالم الصباح. وهي صورة تحمل مدى ما كان يقوم به الشيخ من جهة في سبيل دعم الدراسة والنشاط في معاهد التربية الخاصة ثقة منه بأن الفئة المستفيدة منها تستحق العناية. ونحن اليوم نشهد ثمرة هذا الاهتمام في كثير مما تقدمه الدولة من إمكانات لأبنائنا ممن قُدِّر لهم أن يتعرضوا إلى التصاق صفة ذوي الاحتياجات الخاصة بهم. وهم يستحقون أن نقدم لهم كل ما نستطيع أن نقدمه من جهود لأنهم بعض من لحمة هذا الشعب من أبناء الكويت الغالية.

****

ملحاق خير

مضى الأمر كما هو في المقال الذي يصاحبه هذا الملحاق، إلى أن علم الأستاذ الفاضل محمد جعفر الكندري، الوكيل المساعد للتعليم العام بوزارة التربية بمدى اهتمامي بالحصول على صورة الشيخ صباح السالم الصباح التي تحدثت عنها كثيراً، فقام – مشكوراً – بمتابعة البحث عنها إلى أن استطاع العثور عليها في معاهد التربية الخاصة، وهم الذين كانوا ينكرون وجودها لمن طلبت منهم أن يتصلوا بهم للسؤال عنها. وأنا إذ أشكر الأخ الكريم محمد جعفر الكندري على ما قام به، لأرجو أن يتنبه المسؤولون في تلك الهيئة التربوية الكبيرة إلى أهمية الحفاظ على تراثها، وألا يفرطوا بالآثار القديمة التي تركها الذين كانوا من قبلهم منظمة مرتبة محفوظة، ومن المهم أن ينظروا إلى ما تركه أستاذنا عبدالعزيز الشاهين من أعمال بارزة تؤكدها الوثائق والصور الكثيرة التي لا نجد لها أثراً الآن، وكأن الأمر لا يعني هؤلاء العاملين مؤخراً في إدارة معاهد التربية الخاصة.

ألقيت نظرة على ما جاءني من الأستاذ الفاضل محمد الكندري فوجدت الصورة التي أقصدها تماماً كما هي حين حضرت لحظة تصويرها، ولكني وجدت الكتابة مختلفة، وبخط مختلف وكم كنت أتمنى أن أجد الكلمة التي كتبها الشيخ صباح السالم الصباح كما هي وبخطه ولكن ذلك صار في نطاق المستحيل فقد ضيعوا كل شيء.

أرفق الصورة المشار إليها مع هذا الملحاق، وأحيل إلى ما تذكرته من أقوال الشيخ صباح رحمه الله. كما أورد شكري للأخ الكريم الأستاذ محمد جعفر الكندري وكيل وزارة التربية المساعد لشؤون التعليم العام فلولاه لم أحصل على الصورة وإن كان ينقصها الكلام الأصلي.

****

الكديش...[1]

عندما نستعرض – راجعين – سنوات الحياة بداية من منتصف خمسينيات القرن الماضي فإننا نجد تغيرًا كبيرًا في أسلوب حياتنا، وعلى الأخص في قطاع مهم منها وهو قطاع نقل البضائع الذي كان يعتمد على أكتاف الرجال وظهور الحيوانات. وكان السوق مليئاً بأولئك الذين جعلوا مهنتهم الوحيدة هي النقل والتوصيل بين المحلات أو بين المحلات وبيوت الناس الذين اعتادوا شراء بعض المواد التي يحتاجون إليها بكمية كبيرة.

تمتد عدة أسواق من ساحة الصفاة حتى تختلط مع سوق الغربللي. نذكر منها سوق السلاح، ويليه الى الشرق منه سوق الشعير، وسوق الشعير هذا متخصص ببيع المواد الغذائية بالجملة فهو لا يبيع للناس الشعير فحسب بل يبيع المواد الأخرى وأهمها الرز والسكر وما إلى ذلك، وَبَيْعُ أصحاب المحلات فيه مقتصر على الكيس الكبير الذي كنا نسميه: الخيشة.

وتنتقل البضائع من محل الجملة إلى محل القطاعي أو إلى المنازل بطرق منها حملها على ظهور الحمالين الذين اتخذوا لهم مهنة من ذلك التوصيل. أو حملها على عربة تدفع باليد، وهي عربيات طويلة ذات عجلتين أماميتين يدفعها عامل يوصلها الى المكان المطلوب ثم يقوم بنقلها إلى داخل المحل أو المنزل، وأما أهم تلك الطرق فهو النقل بوساطة الحيوانات كالحمير ونوع من أنواع الحصان، ذلك النوع

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٢/١٢/٢٠١٢م.

هو ما نطلق عليه اسم: الكديش، وهذا اللفظ يدل على نوع من أنواع الأحصنة التي تستعمل في النقل خاصة. وكان سوق الشعير مقراً لتجمع هذه الوسيلة من وسائل النقل، ولها بالقرب منه مواقف ينتظر فيها أصحابها من يناديهم لأداء عمل من الأعمال فيسارعون إليه، وهذا هو دأبهم منذ الصباح حين يفتتح السوق إلى المساء ساعة الإغلاق، ولا يتوقفون إلا ساعة الظهيرة حين يذهب أصحاب المحلات إلى منازلهم من أجل الغداء، وراحة القيلولة.

إذن فإن الكديش هو هذا الحصان المعد لحمل الاحمال من مواد غذائية وغيرها. وهو لا يستعمل لهذا الغرض إلا بعد أن يكون سِنّه قد كبر ولم تعد به القدرة على مجاراة غيره من أنواع الخيل التي يجري عليها السباق ويستفاد منها في مجالات الدفاع عن النفس أو الوطن. كما كان ذلك جارياً في الماضي.

الكديش: هو الحصان الذي بلغ به الكبر حدًّا كبيرًا، وأصبح غير قادر على مجاراة غيره من الخيول.

واشتقت الناس من لفظ (الكديش) كلمات تدل على معانٍ متعددة. منها أن هذا الرجل قد كدّش أيْ كبرت سنه. ومنها أن نقول: إن فلانا كدّش صاحبه بأعمال كثيرة أي أنه حمله الأثقال كما يحمل الكديش وهذان المعنيان مشتقان من كلمة (الكديش) التي هي الأصل لهما. ومن أجل الاختلاف الواقع بين الكديش والحصان الأصيل فإن الاثنين لا يختلطان، فلكل منهما عمله ولقد وجدنا الاسم واردًا في بعض البلدان العربية، وهو يطلق على الخيل المستعملة في الفلاحة والجر وهي خيول كبيرة السن. كما وجدنا بعض بلاد الشام تطلق كلمة الكديش على ما هو أوسع مما ذكرناه عندنا فأهالي هذه البلاد تقول كلمة: الكديش مطلقة إياها على الحمار وابنه (الجحش) وهذا أمر بخلاف ما جرى في بلادنا.

ومما يدل على أن استعمال كلمة (كديش) وارد في اللهجة العربية السعودية ما جاء في قول الشاعر:

ما عَذرب الرجّال شره وخيره
إلا ليا منُه نزل للسخافات
حلم الحقير يطول راس الحقيره
واهل الجزايل حلمها بالجزيلات
مثل الكديش ليا عشق للحظيره
الحر عشقه للجبال الطويلات
ومن لا حسبْ خطْوات رجله بْسيرَه
تكثر عذاريبه مع كل شَمّات

(عذرب الرجال: أبان مساوئه، الجزايل): الأمور العظيمة، شمات: كثير الشماتة، والفرح بالسوء حين يلحق بصاحبه، عذاريبه: مواضع الانتقاد فيه).

ونحن – إذن – نطلق كلمة (كديش) ونقصد بها الحصان العالي السن، ولكننا نطلق كلمة كديش من باب التحبب على الشخص البدين الكبير السن، ونقول – أيضًا –: فلان كدّش فلانًا بما لا يطيق؛ أي حمّله فوق استطاعته.

للحصان بوجه عام فوائد جمة، فهو نافع عند فترة فتوته وبداية شبابه، وهو نافع عندما يكبر، ويصير من الصعب عليه أن يجاري الفتيان من بني جنسه. ففي الحالة الأخيرة نراه يمر بمرحلتين الأولى ما قبل الشباب وفي وقته هذا يستفاد منه بجر العربات، فكانت العربات تحمل أغراض الناس، وتحمل الأطفال في الأعياد من أجل النزهات وإشاعة الفرحة في يوم العيد. وتسمى العربة من هذا النوع: عربانة أم حصان. أما إذا كان الحصان الكبير مما يُستفاد منه في نقل الأحمال فهو: الكديش لا غير، وقد وصفنا ذلك وصفا كاملًا فيما مضى من حديث.

ولم يذكر ابن منظور في كتابه «لسان العرب» الكديش بهذا المعنى، ولكنه ذكر اللفظ فقط وقال: «الكديش: السَّوْقُ والاستحثاث» ثم يقول: «وكدش لعياله يكدش كدشًا، كسب وجمع لهم. وهو يكدش لعياله: أي يكدح، ورجل كدّاش: أي كسّاب» وأضاف: «وكدشُه يكْدشُه كدشًا: دفعه دفعًا شديدًا عنيفًا، ويقصد به السَّوْق الشديد». ولم يذكر لفظ «الكديش» أبدًا، بالمعنى الذي نعرفه.

وابن منظور وإن لم يصرح هذا بأن الكديش هو الحصان إذا كبر سنه وخُصِّصَ بحمل البضائع إلا أنه ذكر من الصفات ما يعبِّر عن ذلك، فقد ذكر السَّوْق والدفع وهذا يقع على الكديش لأنه مع كبر سنه يكون بطيء السير ولذا فإن سائقه يدفعه بكل وسيلة إلى حيث يريد، وذكر أن من يكسب لعياله قوتهم يسمى كداشًا لأنه لا يحصل على ذلك إلا بمشقة وذكر أن الكداش هو الكساب، وإذا كان الكسب لا يأتي إلا بمشقة فإنه كالعمل المطلوب من الكديش أن يقوم به من حيث مشقته وصعوبة أدائه.

إذن فإن المعنى المباشر لكلمة كديش غير واضح في كتاب لسان العرب، ولكن رائحة الفعل واضحة نستطيع أن نتتسّمها من بين العبارات التي وردت في الكتاب كما بينا ذلك آنفا.

وورد ذكر الكديش في شعر بعض المتأخرين فهذا عمر الأنسي المتوفى في سنة ١٨٧٦م واسمه الكامل عمر بن محمود ديب بن عرابي الأنسي وهو شاعر وأديب له دراية في الفقه وفي شعره رقة وحسن صنعة، وكان قد ولد وتوفي في مدينة بيروت، وكان قاضيًا في مدينة صور المعروفة إلى اليوم في لبنان، وقد قام ابنه عبدالرحمن بجمع شعره بعد وفاته وطبعه تحت عنوان «المورد العذب».

له في هذا الديوان قصيدة يتحدث فيها عن القبور وسكانها الموتى، وأورد فيها كلمة (كديش) بمعنى الرجل المتحمل للصعاب، الصابر على المحن كما يصبر الكديش (الحيوان المعروف) يقول الأنسي:

إذا ضيقٌ ألمَّ بصدر حُرٍّ
عليه بالزيارة للقبورِ
عليه أن يزور هناك لحدًا
عليه ترفُّ أجنحة النسور
ثوى فيه كديش عزيز قومٍ
رفيع المجد كالعلم الشهير
كديش كان ذا صبر إذا ما
رماه الجوع بالأمر العسير
وكان على مشقّة كل أينٍ
صبورا عند مُشْتَدِّ الهجير

هذا وقد جاءت القصيدة في ثلاثين بيتًا لم تخرج عن نطاق الرثاء.

ولكنه لم يذكر اسم الميت الذي كتب عنه قصيدته هذه. بَلْ وصفه بصفات كريمة كثيرة. ولكن القارئ سوف تزداد مفاجأته حين يرى تسلسل الأبيات وما دار فيها من معلومات عن الميت، فإذا هو بالفعل الكديش الذي نعرفه.

ومن ذلك قوله:

فوا أسفي ويا كدري وحُزني
على عُنُق حكى عُنُقَ البعيرِ
ويا أسفي على ذنَبٍ طويلٍ
رخيمِ اللمس انعم من حرير
ويا أسفي على جسدٍ نحيفٍ
ويا أسفي على طَرْفٍ حسير
ويا لهف القراد عليه حُزنًا
ويا لهفَ الذِّباب المستطير

وأوضح الشاعر أمر الكديش أكثر فقال في بيتين من القصيدة:

فكم قد كان ذا كدٍّ وَجَدٍّ
ونفعٍ للكبيرِ وللصغير
وكم سوطٍ له صوتٌ عليهِ
وندب في الأصائلِ والبُكور

وهكذا أخذنا عمر الأنسي بين الواقع والخيال، فتحدث عن الميت وكأنه إنسان كغيره من بني آدم، ثم عرج للحديث عنه بصفته كديشاً محتملاً للأحمال صابراً على كل مشقة ووصفه الأخير، واضح الدلالة على أن المقصود إنما هو هذه الدابة التي نتحدث عنها منذ بداية هذا المقال. ولاشك في أن طريقة الشاعر في التحدث عن موضوعه هذا إنما تدل على مقدرة شعرية جيدة، وعلى تمكُّنٍ من صياغة الموضوع الذي يكتب عنه.

وتحدث المحبّي في كتابه: «خلاصة الأثر في أعيان القرى الحادي عشر» عن أحداث ثلاثينيات القرن الحادي عشر ما بين سنتي ١٠٣٢هـ و١٠٣٣هـ. ومما ذكره في سيرة حسين باشا بن جانبولاذ أن هذا الأخير كان طالب حكم، وله غارات ومصادمات مع كثير من رجال عصره، وكانت الحروب تدور بينهم في دمشق حتى حلب، وقد تضرر الناس كثيرًا من تصرفات هذا الباشا الذي كان قاسيًّا جدًّا في سبيل أن يمكن لنفسه بالملك والمال، ومن ذلك أنه قام بقطع الماء عن حلب، ومنع الميرة والطعام عن داخل البلد، وضيق على الأهالي في أشياء كثيرة ذكرها مؤلف الكتاب فقال: «ونصب حسين باشا متاريس على أسوار المدينة وَصَفَّ عساكره على الأسوار مع المكاحل وقامت بينهم حرب البسوس وأخذ حسين باشا في حفر اللغوم والاحتيال على أخذ البلد ونصوح باشا في حفر السراديب لدفع اللغوم وعم الحلبيين البلاء من المبيت على الأسوار وحفر السراديب ومصادرة الفقراء

والأغنياء كل يوم وليلة لطعام السكبانية وعلوفاتهم وأغلقت الدكاكين وتعطلت الصناعات وحرقت الأخشاب للطعام والقهوة بسبب قطع حسين باشا الميرة حتى الخشب والحطب ونزل البلاء من جانب السماء على حلب فبيع مكوك الحنة بمائة قرش وجرة الشريج بثمانية عشر قرشًا ورطل لحم الخيل الكديش بنصف قرش والتينة الواحدة بقطعة وأوقية بذر البطيخ بأربع قطع وأعظم من في البلدة يُعدُّ أكل البصل والخل من أحسن الأطعمة».

هذا إلى كثير من الأعمال الشديدة الوطأة على السكان، وهي كلها تدل على قسوة الباشا وشدة بأسه، أما ما نرى الإشارة إليه فهو دلالة الحديث عن أسعار البضائع في ذلك الوقت المظلم الذي كانت تحياه مدينة حلب حتى زمن هذا الرجل، ودلالته – أيضًا – على أن معنى الكديش هو المعنى المعروف هنا في الكويت «أي كبار السن من الخيل»، وأن هذا النوع كان يؤكل لحمه في ظل تلك الظروف البائسة.

وورد ذكر آخر للكديش في حادث جرى في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة لسنة إحدى وخمسين وسبعمائة إثر أمور كثيرة كانت تحدث في تلك الأوقات السيئة الذكر التي جرت فيها مشكلات كثيرة ومنازعات لا حصر لها، كان الأمير سيف الدين بيبغا أميراً من أمراء المماليك على مصر وكان ينعت بأعمال الخير التي ارتاح لها الناس جميعًا، ولكن أموره اضطربت مع غيره من الأمراء حتى تعرض للقتل وهو في طريقه إلى الحج، وقد أمسك به مجموعة من طالبيه فقال لأحدهم: أنا ميّت لا محالة، فبالله دعني أحج، فقيده هذا وأخذه إلى الحج. يقول صاحب كتاب الوافي بالوفيات «وحج وطاف، وهو مُقَيّد، وسعى على كديش، ولم يُسْمَع بمثل ذلك في أي وقت».

وجاء في الشعر ذكر «الكديش» وهو ذكر وان كان لا يُفَصّل عنه شيئًا إلا أنه يصف به بعض الناس أو يتحدث عن بعض حالاته. ومن ذلك هذه الأبيات التي

كتبها شاعر كويتي معلقًا بها على أبيات كتبها الشاعر عمر بن أبي ربيعة الشهير بالغزل في شعره وهي:

بَينما يَنْعَتْنَني أبصرنني
دون قيد الميل يعدُو بِي الأغَرْ
قالت الكبرى أتعرفْنَ الفتى
قالت الوسطى نعم هذا عُمَرْ
قالت الصغرى وقد تَيَّمْتُها
قد عرفناهُ، وهل يخفى القمرْ؟

وهي ثلاثة أبيات لطيفة تدل على طبيعة هذا الشاعر المتفتحة للحياة والحب، يصف نفسه وقد مر بثلاث من الفتيات كن يتحدث عنه فيما خطر بباله، ولما كان قريبًا منهنّ فقد استمع إلى باقي حديثهن حين تساءلن عنه ثم عرفنه وكان الختام: وهل يخفى القمر؟ وهذا يدل على فخره بنفسه وتيهه بتوجه الحسان إليه. إضافة إلى أن هذه العبارة قد جرت مجرى الأمثال إلى يومنا هذا.

وجاء الشاعر الكويتي لكي يمزح مع صاحب له مدعيًا أنه قد مَرّ بمثل هذه التجربة فقال على وزن أبيات ابن أبي ربيعة دون أن يتقيد بقافيتها:

وثلاث كالمها ألحاظها
تُلهب الأشواق من سهم مَرِيشْ
اقبل المرءُ عليهن وقد
أقبل العافور منه والوشيشْ
قالت الكبرى أتعرفن الفتى
قالت الوسطى نعم تيشٍ بْريشْ
قالت الصغرى وقد أفزعها
قد عرفناهُ وهل يخفى الكديش

طالما قد جاءنا مُدَّعياً
وهو لا يملك مفتاح العريشْ

ولما كان القصد من نظم هذه الأبيات هو مداعبة الصديق، فإننا نرى الشاعر يخلط فيها الألفاظ الفصيحة بالألفاظ العامية. فمن العامية نجد كلمة: العافور: وهو الغبار المرتفع في الجو من موقع واحد. وكلمة: الوشيش: وهو الصوت الذي يحدث عن بعض تقلبات الطبيعة. ونجد كلمة: تيش بريش، وهي عبارة لها دلالة على عدم أهمية الرجل فهو يخلو من الفهم الذي يمتدح به الرجال. أما قول الصغرى عنه إنه لا يملك مفتاح العريش فهذا مثل كويتي معروف للدلالة على عدم تمكنه من أعماله. واستغل الشاعر هنا المثل الذي ذكره عمر بن أبي ربيعة في آخر بيت له وهو قوله: «وهل يخفى القمر» فجعله هنا: «وهل يخفى الكديش» والكديش لا يمكن أن يكون خافياً عليهن لضخامته وضجيجه كما لاحظنا من الأبيات.

بعد أن مضينا في كل ذلك من حديثنا عن الكديش نجد أنه لابد لنا من ذكر قصيدة شعبية جميلة نظمها شاعر الكويت الشعبي فهد بورسلي. وهو من شعراء الكويت المعروفين في هذا المجال، له شعر رقيق، وله أغانٍ بديعة، وله ديوان شعر مطبوع.

نُشرت القصيدة المشار إليها بعد فترة من نظمها، إذ كان النشر في مجلة «البعثة» ضمن العدد الصادر في شهر ابريل لسنة ١٩٥٠م، ولكن موضوعها يدل على أنها قد قيلت أثناء الحرب العالمية الثانية التي تمت في الفترة ما بين سنتي ١٩٣٩م و١٩٤٥، لأن الشاعر يشكو في قصيدته ظروفاً مرت بالكويت في تلك الفترة العصيبة وعانى منها كثيراً مثلما كان يعاني غيره من أبناء وطنه الذين حلّت بهم نكبة الحرب دون أن يكون لهم فيها ناقة أو جمل. وقد كانت مشكلتهم الوحيدة هي انقطاع أعمالهم المعتمدة على التجارة عبر الإبحار بالسفن الشراعية، وبالتالي

ما نتج عن ذلك من نقص في الأطعمة والأقمشة الى أن قامت حكومة الكويت بتدبير الأمور عن طريق إنشاء دائرة التموين الخاصة بالمواد الغذائية والأخرى الخاصة بالأقمشة والى أن أمكن القيام بهذه المهمة فقد اضطر بعض الأهالي في أوقات معينة الى طبخ الشعير وأكله لعدم توافر الأرز الذي اعتاد الناس أكله. وقد مرت بي شخصيًّا هذه التجربة، فأكلت الطعام الذي اشتكى منه شاعرنا فهد بورسلي، ولكنها كانت مرة واحدة.

قدمت مجلة «البعثة» لهذه الأبيات بعد أن وضعتها تحت عنوان: «من الأدب الشعبي» فقالت:

«نظم الشاعر هذه الأبيات أثناء الحرب عندما قلّ الوارد من الأرز الى الكويت، ويسمى هناك (العيش) وقد تخيّل الناظم المحاورة التالية بينه وبين بطنه، إذ يحاول إقناعه بالصمود والاقتناع بالقمح بدلاً من الأرز، وأخيراً يتدخل الظهر في الحديث طالباً الدفء فيحار الشاعر ويُسلّم الأمر لله».

ونحن إذا ألقينا نظرة على ما هو منشور في المجلة وجدنا ما يزيد على هذه المقدمة. فهو يشكو – أيضاً – من اضطراب بطنه نتيجة تغيّر طعامه المعتاد، وهو يتألم بسبب الإكثار من أكل الجريش الذي لم يكن يأكل منه إلا في مناسبات معينة فصار يأكله يومياً لعدم وجود غيره، وحين اشتكى الأذى، وطلب من بطنه أن يهدأ، وأن يصرف عنه العذاب قال له بطنه:

قـال دور لـي كـراتشـي واسـتـريـح

مـا أخَـيِّـس مـا أغــروج مـا أصيـح

والكراتشي نوع من الأرز كان يأتي الى الكويت من مدينة كراتشي التي صارت عاصمة الباكستان بعد استقلالها.

ولقد وجد الشاعر أن ما طلب منه بطنه صعب جداً في ذلك الوقت، وبخاصة وقد أكلوا في العام الذي سبق عامة هذا الذي يثير فيه شكواه الشعير، وتشبّهوا بالكديش. فقال:

قـلـت: لا يم مـا حـصـل بـارد وحـار

مـا دريـت الـعـام شـاركـنـا الـكـديـش

وسوف نقدم هنا كامل الأبيات لأنها معبِّرة عن ذلك الموقف الذي عانى منه الشاعر كثيراً. يقول:

كـل ليلـة يـا فـهـد بـطـنـي يـطـيـش

بَـهْ كـراخـين لـهـا حـس وْوشـيـش

رحـت لـلـدخـتـر ولا حـاش الـصـواب

اذْهَـنَـه وامـرخ ولا يـسـمـع جـواب

احـسِـبَـه جـرح مـعـذبـنـي عـذاب

وأثـر المـسـكـين مـن كـثـر الجـريـش

مـا تـعـلـم لـلـقـيـمـى كـلّ يـوم

بـالـسَّـنـة مـرة، ولا المـرقُـوق دوم

لـكـن المـضـطـرّ لـي شـاف الـلُـزم

مـا يِـعـاف الـقُـوت لـو يـاكـل حشيش

قُـلـت يَـا بـطـنـي تـعـذَر لا تِـثُـور

لا تـعـذِّبـنـي تَـرى مِـنـت امْـعَـذُور

أنـا غـافـل مـا دَريـت ابـهـا الأمـور

لـو دَريـت بِـقـصّـتـك خـشـيـت عـيـش

قـال دور لـي كـراتـشـي واسـتـريـح

مـا أخـيِّـس مـا أغـروج مـا أصيـح

قلت: وش هالعلم؟ صِج انك وكِيح
من يدور القَصّ في غبّهْ حشيش؟

قال: أجّل باذيك وابشر بالمدار
بالتخيز باشتغل ليل ونهار

قلت: لايم ما حصل بارد وحار
ما دريت العام شاركنا الكديش

ليش ما تقنع ونارجل قَنُوع
حيث ذا غلب الدَهر والغلب طوع

قال: أبي لو كان مرّة في السُبوع
لَقمة اردع بها الجوف الغشيش

الظَهر قال انت صادق يا بطن
ما حصل كشمير يحصل لو قُطن

يوم صار اثنينهم ضَاع النّظر
كيف أنا بارضي البطن وإلا الظهر!

كل ليلة يا فهد بطني يطيش
به كراخين لها حس ووُشيش!

والآن هذه بعض معاني كلمات القصيدة:

- **كراخين:** جمع كرخانه وهي المعمل والآلة. وشيش: صوت قوي.
- **الدختر:** الطبيب. اللقيمي: من أسماء الجريش.
- **المرقوق:** نوع من المأكولات يعتمد على طبخ رقائق العجين مع المرق.
- **عيش:** أرز. أغروج: أصدر صوتًا داخل البطن.

- **وكيح:** مؤذي. التخيِّز: كثرة الضرب من الداخل.
- **لايم ما حصل:** ضع بعضه على بعض. يطلب منه أن يأكل الموجود.
- **الجوف الغشيش:** الذي أصابه الغش، ويقصد به: المرض.

وفي الأبيات الثلاثة ينطلق الظهر بالشكوى بسبب عدم حصوله على الكساء المناسب، ولذا فقد قال للبطن أنت صادق، وأنا أريد كساء من القطن إن لم أحصل على كساء من قماش الكشمير الفاخر. وقد فوجئ الشاعر بهذا الموقف من ظهره، وبخاصة وقد وجد الظهر والبطن يجتمعان على الشكوى فقال: كيف أستطيع كسب رضا هذين الاثنين.

ونريد هنا أن نستطرد قليلا في الحديث عن سوق الشعير. وهو السوق الذي ذكرنا أنه من أهم الأسواق في استعمال (الكديش) لحمل البضائع، وأهمها الشعير الذي سمى السوق باسمه لكثرة ما يبع منه فيه. وهو سوق ذكرنا أنه يبيع بالجملة، وأقل الجملة الكيس الكبير، وليس معنى التسمية أنه لا يباع فيه شيء آخر من المواد الأخرى التي تستعمل لغذاء الإنسان وقد أشرنا إلى هذا فيما سبق. ويتكون هذا السوق من صفين من المحلات، وكان من أقدم الأسواق ولكنه جُدِّدَ أخيرًا ولكن المحلات حافظت على مكانها وقد لاحظت عنواناً واحداً من أصحابها القدماء يعلو باسمه الجديد: شركة أولاد عبدالله سليمان المريخي. وكان عبدالله رحمه الله من أبرز تجار سوق الشعير وكان محله يعرض عدة أنواع من البضائع وهذا الرجل له سمعة طيبة في تعاملاته، وفي علاقاته مع غيره من التجار وعملاء السوق. أما باقي المحلات فقد تغيرت الأسماء، وإن كنا نظن أنها لازالت مسجلة بأسماء أصحابها القدامى، وأن طبيعة ما يباع فيها قد تغير كثيرًا عن العهد الماضي. ثم وجدت محلات أخرى لها الصفة نفسها وقد وضعت صورها مع هذا المقال.

وإضافة إلى المرحوم عبدالله المريخي يمكن أن نذكر بعض أصحاب المحلات الذين يخطر ذكرهم على البال في هذا الوقت وهم:

- محمد الفارس.
- سعود عبدالعزيز الصالح.
- عبدالرحمن الوهيب.
- ناصر السعيد.
- عبدالله الفوزان.
- عبدالعزيز الثويني.
- عبدالعزيز الهارون.
- سيد أحمد سيد عبدالله الرفاعي.
- محمد العصيمي.
- حمد السويلم.
- سليمان الفوزان.
- عبدالرحمن الفوزان.
- حمد الناصر العشيرة.
- إبراهيم بو حيمد.
- عبدالرحمن العصفور.
- محمد العيبان.
- محمد الدخان (في واجه السوق الجنوبية).

وغيرهم.

هذا وفي منتصف سوق الشعير موقع مبني بشكل خاص من طابق واحد وغرف متسعة الداخل، وهذا المبنى هو مقر حرس الأسواق، وهو من المؤسسات الحكومية القديمة التي أنيطت بها حماية البلاد في الداخل من أية محاولات قد

يقوم بها بعض المخربين أو اللصوص. ويسهر حراس الليل إلى الصباح وهم ينادون بعضهم: صاحي.. صاحي.. حتى لا يسيطر عليهم النوم في أية لحظة، وأما حراس النهار فهم في غير حاجة إلى هذا النداء. ولم تنته مهمة هؤلاء الحراس إلا في السنوات الأخيرة عندما أخذت دائرة الشرطة والأمن العام على عاتقها القيام بهذه المهمة، ثم نشأت وزارة الداخلية لكي تتابع ذلك العمل المهم. ثم هدم المبنى المذكور.

هذا وينبغي أن نشير إلى أن هذه المنطقة التي يقع فيها سوق الشعير، ومقر حرس الأسواق تتميز بوجود عدد كبير من المقاهي التي يرتادها بعض رواد الأسواق المتاخمة، وهي مقاهٍ معروفة وقديمة أما الأسواق المتاخمة فهي كثيرة جدًّا منها سوق الخبز وسوق الصفارين وسوق السلاح وغيرها.

وفي الجانب الشرقي لسوق الشعير سوق آخر يطلق عليه البعض الاسم نفسه، وهو الآن مقسوم إلى نصفين طولاً أحدهما هو الجانب القديم والثاني أزيل لكي يندمج مع مجمع الأسواق المقام في موضع قيصرية سوق الزل القديمة فزالت بذلك معالم هذا الجانب من السوق، وبقيت معالم الجانب الآخر. والأسماء التي ذكرناها تشمل أصحابَ المحلات الموجودة في الطريقين اللذين اختلطت على الناس تسميتهما فصار هؤلاء يطلقون اسم سوق الشعير عليهما معًا دون تفرقة.

اتسع الحديث حتى شمل إلى جانب الكديش كل ما كان يتعلق به من عمل ومن أكل، ومن أماكن كان يؤخذ إليها لأداء عمله. وأظن أن فيما سلف الكفاية.

****

الوحدة والاتحاد في الوطن العربي[1]

هذا حلم من أحلام أبناء الأمة العربية. وأمنية تطوف بخاطر كل عربي يرى التفكك، ويرى استغلال هذا التفكك من قبل المعادين للعرب أيًا كانوا. ولقد مر عهد طويل والكل يرى أنه لا حل لقضايا الأمة إلا بالوحدة، وهذا رأي سليم، ولكن الوحدة لا تأتي بسهولة، فهي تحتاج أولًا إلى وحدة القلوب ثم وحدة الأهداف، وأهم من كل ذلك أن تكون النوايا صادقة لا يقصد منها الحصول على مكاسب من جزء من البلاد على حساب جزء آخر.

ولقد هللت الأمة العربية بأجمعها في اليوم الأول من شهر فبراير لسنة ١٩٥٨م عندما قامت الوحدة بين مصر وسورية تحت ظل جمهورية واحدة هي: الجمهورية العربية المتحدة، وعمت الأفراح كل مكان من دنيا العرب. وفي الكويت كانت فرحة أبناء البلاد غامرة فقد تحقق جزء من الأمل الذي تخفق له القلوب منذ بدأت الحياة العربية في التراجع، لقد أعلنت الفرحة في كل مكان، وأعلنت حكومة الكويت فرحتها بالوحدة بين هذين البلدين العربيين الشقيقين، وأصدرت دائرة المطبوعات والنشر (الإعلام حاليًّا) بيانًا بهذه المناسبة وقعه رئيسها - آنذاك - صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح. وقد صدر هذا البيان في الصفحة الأولى من صفحات الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» بالعدد رقم ١٦١ الصادر في يوم الأحد التاسع من شهر فبراير للسنة ذاتها. وقد جاء في البيان ما يلي:

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٩م.

«في مساء يوم السبت الثاني عشر من رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق اليوم الأول من شباط سنة ١٩٥٨م، أعلن الرئيسان جمال عبدالناصر وشكري القوتلي وحدة القطرين الشقيقين مصر وسورية وقيام دولة تسمى (الجمهورية العربية المتحدة). وقد هز هذا النبأ السار قلوب كافة العرب من الخليج العربي حتى مراكش؛ إذ إن العرب بهذه الخطوة الميمونة قد أخذوا يعودون إلى وحدتهم بعد أن مرت بهم فترة طويلة مظلمة سادت فيها روح التفرقة والتباعد وفرضت عليهم حدود مصطنعة فرقت بينهم وجعلتهم أجانب غرباء في بلاد آبائهم وأجدادهم.

وإنه لمن دواعي سرورنا وغبطتنا أن تتحقق هذه الخطوة المباركة في هذا الظرف العصيب على يدي بطلين كريمين من أبطال أمتنا العربية الخالدة، فتعيد الثقة إلى النفوس، وتنعش الآمال في الصدور، وتشحذ الهمم والعزائم لبناء مجتمع عربي أفضل.

ولا يسعنا جميعا في هذه المناسبة الميمونة إلا أن نزف أجمل التهاني وأطيبها إلى كل مواطن من أبناء الأمة العربية سائلين المولى عز وجل أن يكلل هذه الخطوة الموفقة بالنجاح التام، وأن يبقى البطلان العربيان ذخرًا للعرب، حتى يصلا بالأماني القومية إلى الأهداف المرجوة، والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير».

هكذا عبرت حكومة الكويت عن سعادتها بهذه المناسبة القومية المهمة، وعن مشاركتها بالفرحة لدولة الوحدة التي كان من المأمول أن تكون بذرة لما هو أكبر. كما عبرت عن تقديرها للرجلين اللذين أسهما في قيام الجمهورية العربية المتحدة وأثنت على جهدهما المبارك الذي حقق الوحدة بين بلديهما مما اعتبر رمزًا لوحدة العرب المأمولة التي يتمناها أبناء الأمة.

ولعل من الملاحظ في عبارات هذا البيان ما يدل على الغبطة التي شعرت بها الكويت بسبب هذا الحدث المهم، فقد عَبّر عن مشاعر الناس ليس في بلادنا فقط

بل في كافة أرجاء الوطن العربي، وكما قال فإن نبأ الوحدة قد هز كافة العرب من الخليج العربي حتى مراكش، فإن هذا اللقاء المهم بين سورية ومصر قد جدد الآمال في الوحدة الكبرى المنشود قيامها بين أمة العرب جميعًا، وإن النتائج التي سوف تتحقق بعد ذلك سوف يكون لها أثرها المستقبلي الزاهر. ولم تكن حكومة الكويت وحدها هي المعبرة عن ذلك فقد كانت تعلن ما أعلنت بلسان الشعب الذي هبَّ مرحبًا بالوحدة، وتبارى شعراؤه في التعبير عن سرورهم بحدوثها. وأكثر من ذلك فإن قيام الجمهورية العربية المتحدة قد أثار مشاعر الناس- كما ذكر البيان الكويتي الحكومي-، وكانت الآثار عامة شاملة لبلاد العرب كلها ولا سيما الكويت التي انتفض شعراؤها يعبرون عن سعادتهم بهذا الحدث التاريخي المهم، وهذا هو كبير الشعراء صقر الشبيب الذي انبرى معبراً عن فرحته تعبيرًا صادقًا بقصيدة عصماء. جاء في آخرها إن هذا الحدث جاء في وقت هو فيه كبير السن قد توقف عن القريض، ولكنه لم يستطع أن يسكت أمام فرحته وفرحة الأمة بما حدث في ذلك اليوم من سنة ١٩٥٨م. يقول:

كِبَرِي عَنْ أنْ اغنِّي مُوهِنُ
بأساهُ قُوَّتي والوصبِ
لكنَّ الوحدة سرَّتني كما
سُرَّ بالغيث فؤادُ المجدِبِ
وشفت منِّي القوى فاتَّجَهَتْ
كلُّها خَلْفَ القوافي الغُيَّبِ

وشارك الشاعر الكويتي محمد أحمد المشاري أبناء أمته فرحتهم بالوحدة التي تمت بين مصر وسورية فقال قصيدة هي من أجمل القصائد، تحدث فيها عن التجاوب الذي تم بين البلدين فأنتج هذه الوحدة التي أسعدت الجميع:

قد جاوبَ النيلُ في أفراحهِ بردى
وانسابَ ماؤهما نشوانَ ينسكبُ

يا مرحبًا بدموع الحبِّ تذرفها
مصرُ، وأهلاً وقلبُ الشام يضطربُ
تعانقا فابتهج يا فجرَ وحدتِنا
وحلِّقا، فاشهدي يا أيها الشُّهُبُ

لقد حقق هذان البلدان العربيان أملًا عذبًا كان يرواد الجميع، وكان الكل يسعى إليه، ويرتقب تحقُّقَهُ. فنحن شعب دماء العرب تجمعه يرنو إلى الوحدة الكبرى ويرتقبُ وهذا نغم صادق وتعبير جميل.

كان العراق في النصف الأول من سنة ١٩٥٨م يعيش زمن الحكم الملكي وكان رئيس وزرائه نوري السعيد. وقد كان هذا الرجل يُحسُّ بغيرة شديدة مما يحدث في مصر، ويخشى أن ينتقل ما يحدث فيها إلى بلده. وقد قام بالمستحيل في سبيل إيقاف مسيرة الوحدة، وعندما وجد أن تحقيق هدفه صعب جدًّا خشي منها، فاتجه اتجاها آخر بأن ربط بين العراق والأردن في اتحاد تحت اسم: «دولة الاتحاد العربي» وكان ذلك في الشهر الذي تمت فيه الوحدة بين مصر وسورية، وهذا يدل على الاستعجال في اتخاذ القرار ظنًّا منه أن هذا يفتُّ في عضد رجال دولة الوحدة. ومع ذلك فإن الكويت لم تتأخر عن تهنئة الدولتين بالاتحاد الذي تم بينهما فأصدرت دائرة المطبوعات والنشر بيانًا بتوقيع رئيسها سمو أميرنا الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وكان – آنذاك- رئيساً لتلك الدائرة، صدر البيان في عدد جريدة الكويت اليوم رقم ١٦٣ الصادر في يوم الأحد الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٥٨م.

لم تنس دائرة المطبوعات والنشر أن تنوه في بيانها هذا بالجمهورية العربية المتحدة وبالمملكة المتوكلية اليمنية التي بادرت بالانضمام إلى دولة الوحدة. ثم أشارت إلى دولة الاتحاد العربي. وهذا هو فحوى البيان:

«في بداية الشهر الحالي أعلن الرئيسان شكري القوتلي وجمال عبدالناصر، تكوين الجمهورية العربية المتحدة من إقليمي سورية ومصر.

بذلك بدأ التاريخ يكتب صفحة جديدة خالدة من صفحات المجد والفخار للأمة العربية.

ولم تتوان حكومة المملكة المتوكلية اليمنية عن اللحاق بالركب السائر في طريق العزة والكرامة فأعلنت عزمها على الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة، في اتحاد فيدرالي، وقد سارعت الأمة العربية جمعاء بمباركة هذه الخطوة الجديدة في سبيل الوحدة.

في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب ١٣٧٧هـ الموافق الرابع عشر من شهر شباط عام ١٩٥٨م، أُعْلِنَتْ في كل من بغداد وعمان دولة الاتحاد العربي من مملكتي العراق والأردن. وأنها لخطوة مباركة تتطلع إليها الأمة العربية بأمل كبير، وهي واثقة تمام الثقة بأن دولة الاتحاد العربي سوف تكون درعًا لها ضد أعدائها.

إننا في هذه المناسبة نقدم أطيب التهاني للعاهلين العربيين جلالة الملك فيصل ملك العراق، وجلالة الملك حسين ملك الأردن، وندعو الله أن يوفقهما ويسدد خُطاهما إلى ما فيه خير الأمة العربية وأن يبارك شعبهما العربي.

إن هذه الأيام المجيدة التي تعيشها الأمة العربية المناضلة، تبشر بأن فَجْرَ الوحدة الشاملة، سيشرق قريبًا على كل الآفاق العربية، والله ولي التوفيق».

وعندما قامت دولة الاتحاد العربي، وجد نوري السعيد أن هذه الدولة بلا مال، وأنها في حاجة إلى مزيد من التمويل حتى تستطيع السير في طريقها، فاتجه إلى الكويت يطلب منها الانضمام إلى الدولتين، ولكن الكويت رفضت ذلك لأنها

تعرف الأسباب التي أدت إلى دعوتها إلى المشاركة في هذا الاتحاد. وَجُنّ جنون نوري السعيد لهذا الرفض فاتجه إلى بريطانيا طالبًا منها إقناع الكويت بفكرته. فقد عرض نوري على وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد عند زيارته لبغداد في اليوم التاسع من شهر مارس عندما كان متجهًا إلى زيارة الفيلبين فكرة استقلال الكويت بصفتها خطوة لانضمامها إلى الاتحاد، وقيل إن وزير الخارجية العراقي محمد فاضل الجمالي قد اقترح بأن يعلن حاكم الكويت ملكًا وتكون الكويت مملكة لكي تنضم إلى الاتحاد، واكتفى وزير الخارجية بعرض الأمر على حكومته.

وظن نوري السعيد أن البريطانيين سوف لا يؤيدون أفكاره هذه لأنهم - كما يرى - يخشون على مصالحهم المالية المتمثلة في استثمارات الكويت عندهم، فقام بكتابة رسالة إلى الوزير البريطاني سلوين لويد لكي يقدم له التطمينات بشأن ذلك الذي خطر في باله قائلاً إن الأموال الكويتية المستثمرة في بريطانيا سوف لا تمس. ولم يحصل نوري السعيد من محاولاته هذه على شيء. فجن جنونه أكثر من السابق واتهم الحكومة البريطانية بإعاقتها دخول الكويت إلى الاتحاد، وهاجم السفير البريطاني جونستون في عمان خلال محادثاته مع حسين ملك الأردن، وطلب من هذا السفير أن تقوم الحكومة البريطانية بإقناع الكويت بالانضمام إلى الاتحاد حتى تستفيد حكومة الاتحاد من عائداتها النفطية. إذن هذا هو سر الجنون السعيدي الذي دفعه إلى الهذيان في كل وقت وما كان يريد أن يعرف أنه يطالب بما لا يمكن أن توافق عليه الكويت حتى ولو طلبته بريطانيا.

واستمر نوري السعيد في الهذيان فهدّد بإعادة النظر في الحدود التي سبق أن أقر بها وكتب رسالة موقعة بخط يده لتأكيدها، وكان هذا التهديد في غير محله لأنه لم يجد أذنًا صاغية من الكويت أو من بريطانيا.

ظل نوري السعيد مستميتًا في طلبه انضمام الكويت إلى الاتحاد من أجل الاستيلاء على أموالها كما وضح في أحد تصريحاته المعلنة. وظلت الكويت متمسكة برأيها.

ومما يدل على استماتة نوري السعيد أنه عبر دون أن يشعر أن هذا الاتحاد في طريقه إلى الانهيار إذا لم تنضم الكويت إليه ثم تغدق عليه أموالها، فقال كلمة تدل على أن الطمع أعماه وجعله لا يدري ما يقول، فقد أكد للسفير البريطاني رايت في اليوم الثالث والعشرين من شهر يونيو أنه يرغب في ضم الكويت إلى الاتحاد، وبيّن أن عدم انضمام الكويت سيؤدي إلى ضياع الاتحاد والكويت معاً، واليوم ونحن نقرأ عبارات هذا السياسي الذي قالوا عنه إنه رجل محنّك، قادر على إدارة الشؤون السياسية ويعرف كيف يصل إلى ما يريد، ونتساءل: هل هذا الهذيان مقبول من رجل يقال عنه إنه محنك.

ولقد تحقق التهديد الذي أطلقه نوري السعيد، ولكن تحقيقه جاء على رأس قائله فما إن مرت شهور قليلة حتى تقوّض بنيان اتحادهم وهوى بأسرع مما نظن، ولم يعد التاريخ يذكر لحكومة هذا الاتحاد عملًا واحداً يمكن أن يدل على النجاح في سعي البلدين إلى تحقيقه.

أما الكويت فإنها سارت في طريق التقدم ونالت استقلالها في سنة ١٩٦١م، ولا تزال سائرة كما رسمت لنفسها: دولة مستقلة ذات سيادة لا سيطرة لأحد عليها.

لقد قالها نوري السعيد كلمة تنم عن الحقد وعن الكراهية. تدل على الرغبة في السيطرة على الكويت وأموالها. ولكن الله لم يحقق له إلا نصف تهديده فانهارت دولته وبقيت الكويت وستبقى إن شاء الله إلى الأبد.

لقد كان هذا الرجل يردد الاتهامات والتهديدات، ويعرض بالكويت في كل مرة يثار فيها موضوع الاتحاد، ولقد ورث عنه من أتى من بعده هذه الطبيعة السيئة التي لا تبقي لهم صديقاً. حتى صرنا نعرفهم بها دون الناس جميعاً، وصارت كما قال منذ الزمن القديم أبو أخزم الطائي «شنشنة» أعرفها من أخزم. أي إنها طبيعة في نفوس أحفاده ورثوها من أبيهم أخزم.

ألا تراه حين غلبه اليأس يذهب إلى بريطانيا لكي يلتقي وزير خارجيتها وبعض المسؤولين فيها لكي يبحث معهم فقط مسألة انضمام الكويت للاتحاد. وقد ورد عن تلك المباحثات أن «حوار نوري السعيد كان حادّاً، حيث قال وزير الخارجية عنه بأن نوري السعيد قد تحدث معه بحدّة غير مألوفة، وإنه ضرب الطاولة، وطالب بأن يؤخذ باقتراحه حيث كان متهيجاً بسبب التباطؤ في منح الكويت استقلالها حتى يتحقق له ما يريد».

ومن الملاحظ مما سقنا في هذا المقال أن نوري السعيد قد وضع كل ما حدث له من إخفاق في انضمام الكويت إلى دولة الاتحاد العربي على كاهل البريطانيين، وهذا ما قرأناه في أكثر من مرجع، وما أشرنا إليه في بعض ما تقدم لنا من حديث، ولقد أثبت أنه يلجأ إلى هذه الترهات لأنه عجز عن الحقائق وكان ينبغي عليه أن يعي ما يلي:

١ - لا يستطيع البريطانيون أن يجبروا الكويت على الانضمام لدولة نوري السعيد فهم يتقيدون دائماً بالاتفاق التعاقدي الذي يربطهم بالكويت وليس في هذا الاتفاق ما يتيح لهم فرصة القيام بمثل هذا العمل لو كانوا يؤمنون به، ويرون فيه مصلحة لهم، أو للكويت.

وأدل شيء على حرص البريطانيين على تطبيق الاتفاقية بحذافيرها ما مر بنا عند تأسيس بنك الكويت الوطني فقد وجدوا أنه سوف يكون ذا تأثير سيئ على بنكهم البريطاني الذي كان يعمل وحيدًا هنا. فتقدموا إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عندما علموا بموافقته على إنشاء البنك الجديد قائلين إن هذا مخالف للاتفاقية المعقودة بين البلدين، ولكن الرجل لم يفت عليه الجواب المقنع حين قال لهم إن الاتفاقية لا تسمح لنا بأن نحضر بنكًا من خارج الكويت، وهذا بنك كويتي أقامه أهل البلاد ولا يمكن أن نمنعهم من ذلك. وقد عرفوا أن الاتفاقية لا تفيدهم هنا فتركوا المراجعة في موضوع البنك. إذن فهم يعرفون حدودهم جيداً.

٢ - يعلم البريطانيون بطرقهم الخاصة أن الاتحاد الذي يتحدث عنه نوري السعيد إنما هو كالبيت الآيل للسقوط. فهو لم يعد العدة كاملة لإنشائه، بل عرف أنه محتاج إلى المال بعد أن تم الإعلان عن الاتحاد، وهنا ألحّتْ عليه فكرة الاستناد على الكويت والاستفادة من أموالها. والبريطانيون يعرفون أن الدول لا تنشأ على هذه الوسائل.

٣ - يعلم البريطانيون جيداً أن العراق مقبل على انقلاب عسكري، وهم لا يعترضون عليه فكيف يخوضون في مسائل تتعلق بحكومة مآلها السقوط الذريع وحكم مآله الضياع.

٤ - كان اعتماد نوري السعيد على علاقته بالبريطانيين، وأمله في وقوفهم معه كما وقف معهم. ولكنه لم يستطع أن يعرف أن هؤلاء البريطانيين لا يمكن أن يقفوا ضد حركة التاريخ، ولو كانوا يريدون نفعه لقاموا بتنبيهه إلى الخطر الزاحف عليه، أو على الأقل لأمروا قطاعاتهم المرابطة في العراق بعرقلة ثورة ١٤ تموز (يوليو) لسنة ١٩٥٨م.

٥ - من الواضح أن انشغال نوري السعيد بهذه القضية التي هدف منها إلى استدراج الكويت إلى فخ الاتحاد؛ هو الذي أتاح الفرصة لأولئك الذين تحركوا في عقر داره فأزالوه وأزالوا ملكه وحكومته. ولو كان خالي البال عن المشكلة التي اختلقها بنفسه لربما كان قد أنقذ ما يمكن إنقاذه.

هذا وقد شهد على مواقف نوري السعيد رجل من رجال عهده، وهو أحد السياسيين الذين برزوا في العهد الملكي، وصار لهم ذكر ذائع. هذا هو: محمد فاضل الجمالي، فقد ألف كتابًا تحت عنوان: «ذكريات وعبر» تحدث فيه عن تجاربه في الحكم وعن بعض ما مر به أثناء عمله السياسي، وعرج على الموضوع الذي تحدثنا عنه وهو موضوع الاتحاد العربي، وموقف نوري السعيد من الكويت التي أرادها قسرًا أن تنضم إلى ذلك الاتحاد الذي لم يطل به العمر كثيرًا.

ولد الجمالي في إحدى ضواحي بغداد سنة ١٩٠٣م، ودرس في إحدى المدارس بها، وتعلم إلى جانبها اللغة الفرنسية وقرأ كتبها، ثم درس في دورة لتخريج المعلمين انتقل بعدها إلى الدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت ونال منها شهادة البكالوريوس في التربية سنة ١٩٢٧م، وبعد سنتين من ذلك التاريخ توجه إلى الولايات المتحدة حيث حصل على شهادة أستاذ فنون في التربية.

واستمر في دراسته إلى أن حصل على شهادة الدكتوراه هناك. ثم عاد إلى العمل في وطنه وتدرج في عدة وظائف تربوية، ثم عين في سفارة العراق في واشنطن سنة ١٩٤٣م. وبعدها بسنة واحدة عين مديرًا للخارجية وفي سنة ١٩٤٦م عين وزيرًا للخارجية. وانفتح له بذلك طريق العمل السياسي في وطنه، ويصعب في هذا المجال الضيق أن نسرد جميع خطوات حياته فهي مليئة بالعمل في داخل العراق وفي خارجه.

تحدث محمد فاضل الجمالي كثيرًا عن نوري السعيد وعن علاقته به، وعملهما المشترك في مجال السياسة، وقد نقل في كتابه الذي أشرنا إليه حديثًا طويلًا ذكر فيه حرص نوري السعيد على تحقيق الوحدة بين الأردن والعراق، وعلق على ذلك بقوله إن السعيد لم يكن متحمساً للوحدة في ذلك الحين، وكان ضد أية وحدة بين الدول العربية مهما كانت. ومع ذلك اندفع في مشروع الوحدة العراقي الأردني الذي لا نشك في أن سبب اندفاعه إليه هو قيام الوحدة بين مصر وسورية.

ثم أخذ يتحدث عن موضوع انضمام الكويت إلى الاتحاد بعد قيامه، وعن المحاولات التي بذلت في سبيل ذلك دون جدوى. ولم تكن جهودًا سهلة لأن ما في النفوس كان مسيطرًا على الحكومة العراقية بأكملها ولذلك فقد كان الجمالي يعبر عن ذلك في فقرة عنوانها: «مسألة الوحدة مع الكويت».

وقد جعل نوري من هذه المسألة قضية هي قضيته الخاصة لأنه يرى بأم عينه بنيان الاتحاد الذي صنعه وهو يكاد يتهاوى على رأسه، مما يجعلنا لا نشك في أنه

وعد الأردن لكي يتم هذا الاتحاد بالحصول على الأموال الكويتية، وكان إنسانًا لا حدَّ لمطامعه.

ننقل هنا ما ذكره محمد فاضل الجمالي في كتابه «ذكريات وعبر» عن هذا الموضع من حديثه:

«وعندما اتحدت سورية مع مصر كان عليه أن يمضي قدمًا في تحقيق وحدة العراق والأردن، وهي وحدة لم يكن يشعر بحماسة كبيرة لها.

فالعراق لم يكن قادرًا على تحمل أعباء الأردن المالية، وهذا واحد من الأسباب التي دفعت نوري إلى العمل كثيرًا من أجل انضمام الكويت إلى الوحدة لكي تسهم في تلبية حاجات الأردن المالية.

وعندما مر سلوين لويد، وزير خارجية المملكة المتحدة في بغداد في ربيع عام ١٩٥٨، اجتمعنا به في قصر الرحاب وحضر الاجتماع جلالة الملك فيصل الثاني، وولي العهد، ورئيس الوزراء نوري، ونائب رئيس الوزراء توفيق السويدي وأنا بصفتي وزيراً للخارجية.

وأثيرت مسألة الوحدة مع الكويت بتفاصيلها. وكان اقتراحي أن الخطوة الأولى يجب أن تكون استقلال الكويت، ورفع رتبة الشيخ إلى ملك.

وقال سلوين لويد إن هذه المسألة تحتاج إلى قرار على مستوى مجلس الوزراء.

وزرت سلوين لويد في مقره بكارلتون غاردنز خلال الأيام الأولى من تموز ١٩٥٨ عندما كنت في طريقي من الولايات المتحدة إلى العراق وأعلمني بأن نوري تباحث معه حول عدة مسائل من بينها قضيّتا لبنان والكويت. كان شديد الالحاح ومتحمسًا في ما يتعلق بإنهاء الاحتلال البريطاني في الكويت».

ويلاحظ أنه يتحدث عن شيء غير موجود في الكويت وهو الاحتلال البريطاني. وعن رفع رتبة الشيخ إلى ملك، وهذا ليس من شأن الجمالي أو غيره.

نتحدث الآن عن الشطر الثاني من الاتحاد، فقد تكلمنا عن موقف العراق ممثلًا بنوري السعيد، ونحن الآن نتحدث عن الأردن. وقد بدا أن هذا البلد لم يبذل الجهد الذي بذله شريكه في الاتحاد، وكل محاولاته كانت محاولات قصد منها إشعار الشريك بأنه يعمل لصالح اتحادهما، وكانا قد اتفقا على أن صالحهما فقط هو انضمام الكويت، وهم على يقين أن الكويت إذا بقيت على إحجامها عن الدخول في شرك هذا الاتحاد بما لديها من أموال فإنهم لن يجدوا من ينفق عليهم.

ومصداقًا لما ذكرناه هنا فإن العبارة التي وردت في وثيقة أردنية أن هذا البلد حاول عن طريق سفيره في بريطانيا عبدالمنعم الرفاعي، خلال لقائه بوزير الخارجية البريطاني سلوين لويد أن يُقنع المسؤولين البريطانيين بالموافقة على آراء نوري السعيد إزاء الكويت، وتبين من خلال اللقاء أن الحكومة البريطانية كانت لا تزال مصرة علي إبقاء الكويت بعيدة عن الاتحاد.

وهذا القول قابل للنقاش لأننا قد عرفنا أن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تلزم الكويت بشيء لا تريده. حتى ولو كان هذا الشيء واقعاً ضمن رغبات تلك الحكومة.

ولقد بدا بوضوح الموقف الأردني عندما نشأت اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، فقد أصدرت هذه اللجنة في سنة ٢٠٠٤م كتاباً تحت عنوان: «الاتحاد العربي عام ١٩٥٨م» ألفه الدكتور إبراهيم فاعور الشرعة. وقد جاء فيما يزيد على خمسمائة صفحة.

رجع المؤلف إلى عدة مصادر لكي يقدم الأسباب التي دعت دولتي الاتحاد إلى الإصرار على انضمام الكويت، وكانت خمسة أسباب كلها لصالح الدولة الجديدة

أولها الحاجة إلى مال الكويت والثاني الرغبة في إدخال طرف غير هاشمي إلى الاتحاد حتى يصبح أكثر تقبلاً لدى الدول العربية الأخرى، والثالث أن انضمام الكويت إلى الاتحاد سوف يمنعها من الاعتداء على العراق، وهذا ما لا يستدعي الإشارة إليه، وهو لا يخطر إلا ببال رجل مريض. وقد أثبتت الأيام أن الاعتداء والاحتلال جاء من العراق ضد الكويت، وليس من بلد آخر، وقد وقف الأردن مع عراق صدام حسين وكأن الاتحاد قائم بينهما. وثالث الأسباب هو إعطاء الكويت حاجتها من مياه العراق، وهذا موضوع كتبنا عنه كثيراً وأثبتنا بالوقائع التاريخية أنه وهم عراقي يقدمونه للكويت عندما يريدون منها شيئاً، ثم لا يصدقون فيما تحدثوا عنه وعلى العموم فإن تناقص المياه في العراق اليوم أمر غير سري فالكل يعرف أن المناطق العراقية القريبة من جنوبي العراق قد استمدت كثيراً من مياه الكويت وهذا أمر معروف للجميع.

وخامس الأسباب لا ناقة للكويت فيه ولا جمل بل هو يصب في مصلحة العراق فقط يقول المؤلف: «كان العراق سيتخلص من صعوبة تسويق نفطه من منطقة البصرة، وخاصة بعد نقص التسهيلات اللازمة لرسوّ الناقلات ذات الغاطس العميق»، لقد عبر المؤلف عن هذا الموضوع في آخر الفقرة قائلًا إن العراق سوف يضمن عند انضمام الكويت للاتحاد إمكانية مد خط للنفط عبر الكويت. وأضاف وهذا أيضًا من الغرائب: أن العراق كان يخشى أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بقطع النفط العراقي المار عبر سورية.

وهكذا نرى أن الأمراض النفسية منتشرة بين القائمين على الاتحاد ومنها مرض الحساسية ضد الجمهورية العربية المتحدة.

ثم تأتي كمية من الأكاذيب لا مجال هنا لحصرها والرد عليها ولكن المرء عندما يقرؤها وإن لم يكن معاصراً لتلك الأحداث سوف يعرف قيمتها الحقيقية.

وأورد المؤلف ما كان يظنه في صالح الاتحاد حينما ذكر أن الشيخ عبدالله السالم قد أجرى محادثات مع السفير العراقي في بيروت ونائب رئيس الوزراء بها توفيق السويدي إذ ذكر أن الشيخ لم يعترض على فكرة ارتباط الكويت مع الاتحاد شريطة إجراء محادثات تتعلق بتسوية الحدود مع العراق. ويكفي في هذا المجال أن نورد عبارة المؤلف التي ساقها بعد ذلك وهي: «ولكن لم تسفر هذه المباحثات عن نتائج عملية».

نحن نعرف أن الشيخ عبدالله السالم الصباح قد قال لهم كيف تريدوننا أن نتحدث مع بلد لا يعترف بحدودنا إن مسألة الحدود هي أهم شيء عندنا، ونحن في أيامنا هذه نشعر على الرغم من قرارات الأمم المتحدة الملزمة أن هناك في العراق من يقف ضدنا في هذه القضية الحيوية بالنسبة لنا.

لقد صمت الأردن كثيراً إلى أن جاءت سنة ٢٠٠٤م فصدر هذا الكتاب المليء بما ينبغي الرد عليه، ولكن وقوفنا عن الاستمرار في تقديم الردود لابد منه لأن الأيام كشفت الزيف. وأن القارئ الفاحص يعرف إن كان ما ورد في الكتاب حقيقة أم خيالاً. وكم كان خيراً لهم لو أوجزوا في الحديث عن هذا الموضوع لأن الإسهاب كشف المستور.

لا نريد من وراء حديثنا هذا شيئاً سوى لفت الأنظار إلى فترة من الفترات التي مرت بالكويت، وكانت فترة قاسية تحملت فيها بلادنا الإلحاح الشديد ومجابهة الأطماع، ولكنها لم تخضع إلى أولئك الذين يظنون أن طلباتهم أوامر، وأن الكويت لا تستطيع أن ترد لهم طلباً من أي نوع كان.

ولكن ما مضى بجميع ما رأيناه فيه يدل على أن وطننا فيه رجال يعتدّون بأنفسهم وبكرامة بلادهم، ولا يقبلون الهوان أبدًا.

****

الغلاء والناس في الكويت[1]

موجات الغلاء من أصعب ما يواجه المجتمعات الإنسانية، ومن الملاحظ أن الكوارث الطبيعية، والحروب ذات أثر كبير في ارتفاع أسعار المواد المختلفة من غذائية وغيرها، وذلك يعود إلى عدة أسباب منها انقطاع المواصلات أو ضعفها مما يؤثر في الإمدادات العامة للسلع. وكذلك الفيضانات في المناطق الزراعية وهي تؤثر في الإنتاج بشكل كبير جدًّا فتقل الكميات، ويخشى الناس من نفادها، وبالتالي فإن التجار يقومون بتخزين كميات من البضائع مما يرفع أسعارها.

وتحدث - أحيانًا - أمور تؤدي إلى ارتفاع الأسعار ومنها ما حدث هنا بعد زيادة أسعار النفط، وكانت زيادة كبيرة عما كان عليه الأمر في نهاية القرن الماضي، ولما كانت السلع تتأثر بمادة النفط من عدة نواح فإن مردود ارتفاع سعره يعود على كل شيء، وأوضح دليل على ذلك ارتفاع أجور الشحن وأسعار بعض المواد الخام والأسمدة التي تُستغل للزراعة وغير ذلك.

وحدث لنا في الكويت مثل ذلك الارتفاع والنقص عندما قامت الحرب العالمية الثانية، وكانت معاناة الكل شديدة إلى أن اتخذ هنا إجراء مفيد في علاج المشكلة سوف يأتي الحديث عنه.

إذن فالغلاء أزمة تأتي على الجميع في الكويت وفي غيرها، ومتى توافرت الأسباب المؤدية إلى النقص في المواد أدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٢٦م.

لقد مرت على بلادنا - كما قلنا - أزمة غلاء حادة في أوائل أربعينيات القرن الماضي. وكانت الحرب العالمية الثانية سببًا رئيسيًّا من أسباب هذا الغلاء فخلال هذه الفترة توقفت السفن الشراعية الكويتية عن الإبحار إلى المناطق البعيدة خوفًا من أن تتعرض للإصابات. وكان اعتماد الناس في الحصول على حاجاتهم من الأغذية وغيرها مرتبطًا بهذا النشاط البحري فهم في راحة تامة مادام قائمًا فإذا توقف اختلت موازين الاستهلاك المحلي كاملة.

إذن فقد كانت الحرب العالمية الثانية من أهم أسباب التضييق على الكويتيين في عيشهم، لقد بدأت السلع في الاختفاء من الأسواق، وصارت الأسعار ترتفع يومًا بعد آخر، حتى باتت معيشة الناس صعبة جدًّا، ولقد تدارك الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت في ذلك الوقت هذا الوضع، وأقدم على خطوة تقضي على هذا البلاء قبل أن يزداد ويتحول إلى ما هو أشد؛ فطلب من الحكومة البريطانية أن تقوم بتزويد البلاد بجميع حاجاتها من الأغذية والأقمشة، لأن السفن الحربية كانت تهدد السفن التي اعتادت أن تنقل إلى الكويت حاجاتها، ولأن الجانب البريطاني كان مسيطرًا على المناطق التي ترد منها تلك الحاجات؛ لم تتردد بريطانيا في الموافقة على أن تمد الكويت بما تريد من المواد مشترطة أن يتم ذلك وفق نظام يُقَنِّنُ بالبطاقات حاجات الأفراد، بحيث لا تتسرب هذه البضائع إلى السوق السوداء.

وقد التزمت الكويت بهذا الشرط الذي فيه - أيضًا - مصلحة لها، وضمان لاستمرار الإمدادات من الأغذية والأقمشة إلى أن ينجلي أمر الحرب العالمية هذه.

وفي أواخر سنة ١٩٤٢م تأسست أول دائرة تموين في تاريخ الكويت تحت اسم «دائرة التموين» مهمتها الإشراف على توزيع المواد وفق نظام البطاقات. وكان أول مدير لهذه الشركة هو السيد ناصر السعد المقهوي، وأصدرت بطاقات وزعت

على كل ربِّ أسرة تحتوي على بيان عدد أفراد الأسرة والكمية المخصصة لها من كل مادة، وكان عدد ما وزع من تلك البطاقات ثلاثين ألف بطاقة سدت حاجة ستة وثمانين ألف نسمة.

وقامت الإدارة بافتتاح فروع لها في جميع الأحياء وقدمت خدماتها للجميع دون استثناء، ومضت في عملها على خير وجه، حتى انتهت الحرب العالمية الثانية، وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي، فانتهت الحاجة إلى أعمال الدائرة مما دعا إلى إنهاء عملها.

كانت المراكز التي أعدّتها دائرة التموين لتوزيع المواد المقررة للمواطنين منتشرة في كل مكان، ولكن الناس كانوا يتزاحمون عليها رغبة في الحصول على مقرراتهم قبل غيرهم خوفًا من نفاد الكمية، ولكن الكميات كثيرة وكل الأعداد البشرية المستحقة محسوب حسابها والمواد المستحضرة مسبقًا كافية وتزيد وقد وصف شاعر الكويت الشعبي فهد بورسلي هذا الموقف في قصيدة هزلية بدأها بقوله:

الله يساعدها المالية
ما تفرغ صبح وعصرية
يا ماليتنا عِذرينه
وفرتي ولا دجينه
من الوقت اللي محدينه
والجوع يقط الغاريه

والقصيدة في أبيات كثيرة على هذه الشاكلة وهو يوجه حديثه إلى دائرة المالية وهو يقصد دائرة التموين طالبًا لها من الله العون على أداء عملها، وجهودها التي لا تهدأ صباحا ومساءً. وراغباً منها أن تتحمل الناس وتقبل معذرتهم، لأنها إن لم توفر المواد المطلوبة ضاعوا (دجّينه) ثم يقول: إن ذلك بسبب الوقت الذي يضطرنا إلى هذا الزحام (محدينه) والجوع الذي تزول بسببه الغارية وهي المروءة.

حضرت مشهداً مشابهاً لهذا الذي وصفه فهد بورسلي، كنت صغيراً عندما مررت بدكان يؤجره صاحبه سليمان المجيدل على دائرة التموين وكان القائمان به يومذاك هما عمي سليمان غنيم الغنيم، والسيد عبدالرحمن أحمد الملا وهو من أبناء الفريج الطيبين ولقد شهدت - يومذاك - زحاما شديداً ووجدت عدداً من الرجال يمدون أيديهم مشيرين إلى من في الدكان راجين التعجيل بتسليمهم المطلوب.

سألت بعض الصبيان الذين كانوا واقفين هنا عن سبب هذا الازدحام، وما مراد هؤلاء الناس من حضورهم إلى هنا فقالوا لي: هذا هو مركز التموين للفريج واليوم هو يوم توزيع السكر، وهذه المادة مقطوعة من الأسواق لذا تجمعوا لشرائها من التموين لأهميتها لهم.

لا تزال هذه الصورة راسخة في ذهني وقد تجددت عندما قرأت قصيدة هذا الشاعر مرة أخرى.

وهكذا عادت الحياة الاقتصادية إلى الكويت بعد فترة من الركود، ولكن الأسعار مع ذلك لم تعد إلى حالتها التي كانت عليها قبل الحرب فقد ازدادت قليلًا وان كانت المواد متوافرة وأسعارها مقبولة إلى حدٍّ ما.

ولقد شهدنا حالات من ارتفاع الأسعار أقرب ما تكون إلى الخيال في السنوات القليلة الماضية وعلى سبيل المثال فقد كان (الهيل) الأمريكي من انتاج غواتيمالا يباع بدينار وربع الدينار للكيلو الواحد وفجأة رأيناه ارتفع دون مقدمات حتى وصل إلى اثني عشر دينارًا للكيلو الواحد وقيل لنا أن السبب في ذلك حدوث فيضانات شديدة في بلد المنشأ أدت إلى فساد المحصول وبالتالي قلّ المعروض وعلى الرغم من أن الأمور بعد حوالي خمس سنوات عادت إلى مجراها هناك وأن السعر بدأ ينخفض إلا أنه لم يصل إلى أقل من خمسة دنانير للكيلو الواحد ولا نظن أنه

سوف يهبط عن هذا السعر فيما بعد، فإن التجارب التي مرت بنا تؤكد أن السعر إذا ارتفع عاليًا فإنه ينخفض مع زوال أسباب الارتفاع ولكنه لا يصل إلى مستواه السابق المعتاد.

ومثال آخر (الزعتر البري الجاف) وهو يأتي إلينا من إيران ويستعمل طاردًا للغازات ومفيداً لنزلات البرد وتَلَبُّك المعدة، وهو شراب معروف هنا منذ القدم وصار يستعمل أحياناً بديلاً للشاي في بعض الجهات أو الديوانيات أو حتى المساكن. كان سعر الكيلو من هذا الزعتر لا يزيد عن ثلاثمائة فلس قبل خمس سنوات وفجأة وجدناه ارتفع إلى سبعة دنانير ثم إلى اثني عشر دينارًا للكيلو الواحد. وقيل إن إيران قد منعت تصديره ولا ندري السبب في هذا المنع، ولكنه كان الفرصة الوحيدة لرفع السعر الذي لايزال إلى اليوم محافظاً على سبعة الدنانير للكيلو الواحد، ولا نظن أنه سوف يعود إلى سعره السابق أو حتى إلى ضعف ذلك السعر.

ومن الأمور التي لابد من ذكرها هنا ما يتعلق بالغلاء الذي بدأ يلازم سوق الأسماك. حتى صارت بعض الأسماك التي لم يكن يلتفت إليها أحد مرتفعة السعر جدًّا لا يكاد ضعيف الحال يقدر على شرائها.

عاصرت زمناً كنت أشاهد فيه باعة السمك وهم يقومون بتوزيع أسماكهم مهما كان نوعها بالمجان، وذلك عند غياب الشمس، بسبب يأسهم من مجيء المشترين في الظلام ولعدم تملُّكهم لبرادات تحفظ بضاعتهم عن التلف كما هي الحال في أيامنا هذه، ولذا فهم يتخلصون مما لديهم بتلك الطريقة.

وأذكر أن بيع السمك كان بالوقية، ووقية السمك مختلفة عن موازين السلع الأخرى فهي عشرة أرطال للسمك في مقابل خمسة أرطال لبقية المبيعات. وكان الرطل يساوي (٤٥٤ غراما)، إذن فإن وزن وقية السمك التي كانت تباع فيما مضى يكاد يكون أربعة كيلوات ونصف الكيلو.

وفي السنوات الأولى من سبعينيات القرن الماضي كانت الموازين قد تحولت إلى الكيلو. وأصبح كيلو السمك لا يختلف عن غيره، وقد حددت وزارة التجارة - آنذاك - سعر كيلو الزبيدي بثلاثمائة وعشرين فلساً.

ولقد مررت قبل مدة وجيزة على سوق السّمك الكائن في منطقة الشرق، ورأيت باعة السمك يبيعون كيلو الزبيدي في فترة الليل بعشرين ديناراً. فانظر إلى الفروقات الكبيرة التي حدثت لأسعار السمك عندنا.

أليس فيما تقدم ما يجب علينا ذكره للدلالة على تغيُّر الأحوال، وتبدل الأسعار من وقت إلى آخر؟.

وارتفاع الأسعار مكروه عندنا وعند غيرنا، بل هو مكروه منذ القدم، ورد فيه شعر لايزال محفوظاً في بطون الكتب، هذا هو الشاعر جحظة البرمكي يهجو شخصًا فيصفه بعدة أوصاف في بضعة أبيات كلها تدل على أن هذا الشخص المهجو ثقيل الظل لا يطيق المرء صحبته فهو كما يقول جحظة:

يا لفظةَ النَّعي بموت الخليلْ
يا وقفة التوديع بين الحمولْ
يا شربةَ اليارنجِ يا اجرةَ الْـ
ـمنزلِ يا وجه العذول الثقيلْ

(اليارنج: خلطة عشبية مُسهلة)

فهذا الرجل بلغ من الثقل حتى شابه لفظة نعي الميت القريب إلى نفس المخاطب، وهو ثقيل على القلب كأنه لحظات الوداع. بل هو أشبه بما نقول عنه هنا (الخروع) ثقلًا على النفس، وهو كأجرة البيت التي يصعب دفعها ويكره الإنسان ذكرها، وكالوجه الكالح الذي يلاقيك به العذول.

ثم يضيف إلى ذلك قوله:

يــا شــوكــة فــي قــدم رَخْــصــة
لـيـس إلــى إخـراجـهـا مــن سـبـيـل

(رخصة: ليِّنة)

يــا عــثــرة الـمـجـذوم فـي رجـلـه
ويــا صـعـود الـسِّـعـر عـنـد المعيل

ها هو في الأخير يذكر من صفات المهجو أنه ثقيل ثقل ارتفاع الأسعار التي يشعر بمغبّتها رب الأسرة الكبيرة الذي لا يفي مدخوله بتكاليف الارتفاع الثقيل.

هذا مثال وهناك الكثير من هذا النوع من الشعر الذي يذكر فيه تأفف الشعراء من غلاء الأسعار.

ونود أن نشير هنا إلى ارتباط كلمة (غالي) بمعنى جديدٍ لا علاقة له بالسلع ولا بالبيع والشراء. ذلك أن المرء يقول: فلان غالٍ عندي. ويقول لصاحبه: أنا أغليك.

وهذا الاستعمال لم يكن معروفاً في اللهجة الكويتية منذ أمد طويل، ولم أجد من القديم إلا ما ورد في شعر الشاعر عبدالله بن محمد بن غصاب (المتوفى في أوائل خمسينيات القرن الماضي) فقد قال ضمن أبيات غنتها الفنانة عايشة المرطة:

ش الــراي يــا أهــل الــهــوى ش الــرايْ
الــشــوق عَــزم عــلــى غـربــالــي
إن مــا مــشــى صــاحــبــي يــارضــايْ
تــصــيــبــنــي خِــفَّــةٍ واهــبــالِ
يــا كــاشــفــين عــلــى مــعــنــايْ
ردوا عــلــيّ الــحــبــيــب الــغــالــي

ولم ينتشر استعمال كلمة (غالي) للدلالة على المحبوب في الأغاني الكويتية إلا بعد وفاة ابن غصاب بمدة طويلة عندما سمعنا الفنان عبدالحميد السيد وهو يغني:

أيــا غــالــي يــا بــو الــمــوقــة
نــســيــت الــحــب واحــقــوقــة

وإحدى المطربات وهي تغني:

يــا مــن يــسـلِّـم لــي عـلـى الـغـالـي
ويُــجــيــب لــي مــنَّــة مــراسـيـلـه

ثم صارت هذه الكلمة دارجة في اللهجة؛ لا يتردد أحدهم في أن يقول لصاحبه: هلا وغلا. أو أنت الغلا كلّه وأصبحنا نسمعها في كل وقت وفي كل مكان.

ونعود الآن للحديث عن غلاء أسعار البضائع في الأسواق. وكما قلنا فإن الغلاء لا يعرف بلداً بعينه فلكل موضع في الدنيا مشكلاته ومنها الغلاء.

وقد مر الغلاء على مصر في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي، وأحس السكان بالأذى الشديد مما دفع شاعر النيل حافظ إبراهيم إلى صياغة قصيدة مؤثرة نشرها بهذه المناسبة البائسة.

ولد حافظ إبراهيم في سنة ١٨٧١م، وتوفي في سنة ١٩٣٢م، وكان مولده في صعيد مصر، ولكنه عاش أغلب حياته في القاهرة وتوفي بها. لقي الكثير من المشاق بسبب وفاة والده وهو صغير لم يتجاوز السنة الرابعة من عمره، واضطربت دراسته، ولكنه التحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة وعمل في السودان بعد تخرجه ضابطاً فيها. ولم يدم عمله في الجيش إذ أحيل إلى الاستيداع، ثم جرى تعيينه بدار الكتب المصرية. وهو شاعر قوي الشعر يشارك في كافة المناسبات الاجتماعية والوطنية. وله ديوان مطبوع.

وكانت لحافظ إبراهيم قيمة أدبية وشعرية بين أدباء مصر في عهده، وكان محبوباً من الجميع لدماثة خلقه وكرمه، وكان على صلة قوية بأمير الشعراء أحمد شوقي، ولذا فقد بكاه الأمير عندما أعلنت وفاته فقال فيه:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي
يا منصف الموتى من الأحياءِ
لكن سبقتَ وكلّ طول سلامةٍ
قدَرٌ، وكل منيّةٍ بقضاء

والقصيدة طويلة ومعبرة عن محبة أمير الشعراء لشاعر النيل وتقديره له ولعبقريته.

يوجه حافظ إبراهيم قصيدته التي أشرنا إليها وهي تحت عنوان «غلاء الأسعار» إلى المصلحين، وهو يريد بذلك المسؤولين عن الأعمال الحكومية التي تضمن العيش الهنيء للناس وهو يقول لهم: لقد ضاق بنا العيش، وأنتم لم تحسنوا القيام بواجبكم تجاهه. وعزت السلعة الذليلة وارتفعت الأسعار حتى صار سعر مسح الحذاء خطبًا جسيمًا وصار القوت كالياقوت، ونوى الفقراء الصيام لعدم توافر الأكل في أيديهم. وصار الواحد منهم يقطع يومه جائعًا إذا شمّ قتار «رائحة» الشواء فهي عنده كريح زهر الخزامى، وإذا رأى رغيفًا من بعيد ظنه بدرًا ساطعًا ونسي بأن اللحم مباح للأكل لتوقفه عن أكله زمنًا طويلًا حتى ظنه من المحرمات:

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ
ـشُ ولم تُحسنوا عليه القياما
عزت السلعة الذليلة حتى
بات مسحُ الحذاء خطبا جساما
وغدا القوتِ في يد الناس كاليَا
قوت حتى نوى الفقير الصِّياما

يقطع اليوم طاويا ولديه
دون ريح القُتار ريح الخُزامى
ويَخالُ الرغيفَ في البعدِ بدرًا
ويظنُّ اللحومَ صيدًا حراما

كأن شاعر النيل قدم لقصيدته هذه بمقدمة ساخرة «كاريكاتيرية» لكي يلفت نظر المسؤولين، ويبلغهم بشدة الخطب الذي وقع على أكثر أبناء الأمة بسبب الغلاء الذي لم يدع للفقير فرصة العيش الكريم، حتى أصبح الحصول على القوت صعبًا، وصارت حياة الإنسان مريرة.

ولكنه في القصيدة ذاتها يتوجه إلى النيل متسائلًا: كيف نمشي على هذه الحال، وأنت قد روّيت الأنام بخيرك المتدفق يأتي الغريب فيرتوي، ويعيش أبناؤك عطاشًا. لقد أغرى لين طباعنا أولئك الأغراب فجاؤوا للسيطرة على مواردنا فلم يَجُرّ علينا طيب المناخ إلا الزحام الشديد من الواردين من كل مكان:

أيها المصلحون رفقًا بقومٍ
قَيَّدَ العجزُ شيخَهم والغُلاما
واغِيثوا من الغلاء نفوسًا
قد تمنت مع الغلاء الحِمَاما

هذه القصيدة أقرب ما تكون إلى الصرخة المدوية المعبرة عن الأسى الشديد للوضع المادي السّيء الذي كان سائداً في ذلك الوقت. وكعادة حافظ ابراهيم في التعبير عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية نراه يقدم ما يلفت الأنظار ويحث العاملين على العمل من أجل تلافي المشكلة ووضع حل عاجل لها.

وكما قلنا في السابق فقد مر الغلاء بالكويت كما مر بغيرها من البلدان، وجابهت الحكومة هذه المشكلة، ووضعت لها الحلول المناسبة حتى ارتفع بلاء

الغلاء. ولقد وجد شاعر الكويت صقر الشبيب أنه لابد وأن يسهم بشيء في مكافحة الغلاء، ولم يكن بيده سلاح للمكافحة غير شعره فقال قصيدة طويلة معبرة، ضمنها أحاسيسه تجاه الغلاء، وتجاه الناس الذين كانوا يعانون من وطأته. وسوف يكون لنا حديث عنها فيما بعد.

وصقر الشبيب من شعراء الكويت المشهورين المجيدين. له إنتاج شعري غزير متنوع الأغراض يكاد يكون تاريخًا للكويت وللناس من أهلها أو زوارها. وله ديوان مطبوع اعتنى بجمعه الأستاذ أحمد البشر الرومي وصدر في سنة ١٩٦٨م عن مكتبة الأمل. ثم أعادت مؤسسة البابطين للإبداع الشعري طبعه، وقد جاءت في هذه الطبعة التي صدرت في سنة ٢٠٠٨م زيادات مهمة لم تكن وردت في الطبعة الأولى.

ولد الشاعر في سنة ١٨٩٨م، وأمضى فترة من حياته في التحصيل الدراسي، ونبغ في الشعر، وقد كتب عنه الأستاذ أحمد البشر الرومي عدة صفحات تناول فيها سيرته الذاتية، وطبيعة حياته، وبخاصة وأنه كان كفيفًا منذ صغره، وقد أثرت عليه هذه الإعاقة كثيرًا وذكر ذلك في شعره مرارًا. وتناول في قصائده كثيرًا من المسائل الاجتماعية متحدثًا عن الظروف التي مرت بالوطن وبالمواطنين فترة نشاط الشعر، ومن ذلك حديثه عن الغلاء.

وقد توفي هذا الشاعر البارع في سنة ١٩٦٣م.

عنوان القصيدة التي قالها صقر الشبيب في سنة ١٩٤٣م هو: «الغلاء وعلاجه» فهو يتحدث عن الغلاء حديث المعايش للمشكلة الشاعر بأحاسيس الناس وما يعانون من آثار سببها لهم الغلاء. ثم يقوم بتقديم النصح وتوجيه من بيده الأمر، وحث الأغنياء على النظر إلى الحلول التي يقترحها للقضاء على هذه المشكلة التي آذت الناس وأذاقتهم مرارة الجوع وشدة الحياة.

وهو يرى أن هذا الغلاء الذي أفقر الناس وأجاعهم قد جاء للأغنياء بالفوائد الكبرى فقد زاد غناهم، ولذا فهؤلاء لا يهتمون بما حل بالناس، ولا يدرون عن معاناتهم ويرى أن هذه المناسبة كانت حظًّا جيدًا للأغنياء لكي يقوموا بمواساة المحتاجين ورفع البلاء عنهم، ولكن طباعهم دعتهم إلى صرف النظر عن ذلك فأطاعوها.

يقول:

غلاءٌ أهلكَ الفقراءَ جوعًا
وعُريًا، أهلكَ اللهُ الغلاءَ

وزاد الأغنياءَ غنًى ويُبسًا
كما زدت الحصى المنقوعَ ماءَ

فلست ترى غنيًا عن فقير
يُخفِّفُ مُحسنًا هذا البلاءَ

وكان الحظ للمثرين في أن
يواسوا اليوم من حُرموا الثراءَ

ولكن الطباع دعت فاصغوا
إليها مستجيبينَ الدُّعاءَ

ثم بعد هذه الأبيات يورد ما يزيد عن عشرين من الأبيات ينحى فيها باللائمة على الأغنياء، ويرى أنهم يقصِّرونَ في حق الفقراء، يغضون أبصارهم عنهم وعن أحوالهم البائسة، وبعد هذا الاستطراد في الحديث الموجه إلى الأغنياء الذين وضع عليهم الشاعر كل الملامة دون أن ينظر إلى أن هناك من الأغنياء ما يؤدي ما عليه من واجب دون أن يتردد. بعد كل هذا يأتي الشاعر ليبدأ في الحديث عن العلاج وهو يقول إنهم إن يصعب عليهم تقديم الصدقات النوافل، فإنهم يستطيعون الاكتفاء بالزكاة: زكاة المال وهي كافية لقضاء حاجة كل محتاج، ولو أدوها لكفت،

وهي لم تفرض إلا لكي تنفي البؤس عن البائسين. ويتحدث عن حالة الفقراء عندما يحرمون من العطاء الصادر عن زكاة الأموال، فيكون حالهم إلى الاستياء، ونشجي بأنينهم وجزعهم، ولكل ذلك فإن الشاعر يريد الفرار من هذا المكان الذي لا يجد فيه الفقير ما يسد حاجته:

فمن لي بالفرار اليوم من لي
فإنَّ الأرض أسخطت السماءَ

ولكنه يعود لينصح المحتاجين بالصبر على ما ابتلاهم به الله وانتظار ما يأتي من الغيب بعد طول مُعَاناة وتحمُّل.

إنهم ينبغي ألا يستبطئوا قدوم اليوم الذي يأتي فيه انعكاس الحال من شدة إلى لين، ومن حاجة إلى اكتفاء:

فعدلُ الله يبقى بعد هذا
ويكفيهم توقُّعُه عزاءَ

موضوع البؤس ومعاناة الفقراء من أهم الموضوعات التي عني بها صقر الشبيب، وسادت أغلب شعره، وكان إحساسه بمعاناة المحتاجين شديدًا لدرجة أنه لا يتأخر في الكتابة عن كل ما يمسُّهم ويُضيِّق عليهم. وهذه القصيدة دليلنا على ذلك فقد عبر فيها عن هذا الأمر بأوضح تعبير واستطرد استطرادات كثيرة لكي يؤكد على أهمية موضوع مكافحة الغلاء وتسهيل أمر المعيشة للمحتاجين، وهو يرى أن هذه المكافحة وإن كانت تأتي عن طريق دراسة الأسعار ومحاولة خفضها إلا أنها تأتي أيضًا عن طريق إمداد المحتاجين بالمال الذي يستطيعون بسببه قضاء حوائجهم المادية والمعيشية عن مأكل ومشرب وملبس.

وليس في ما تقدم إلا عرض سريع لموضوع الغلاء، ولكنه موضوع كبير جدير بالدراسة.

****

صور
شخصيات وأماكن ذكرت
في مقالات الأزمنة والأمكنة

ملاحظـة

تمر في مواضع كثيرة من الكتاب إشارات إلى بعض الصور، ولكنها غير واردة هنا في الكتاب، وقد كانت تلك الإشارات إلى ما ورد في جريدة الوطن عند نشر المقالات.

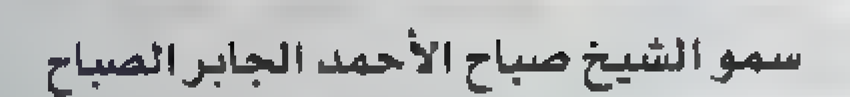
ولكننا حاولنا استدراك بعض الأمر فوضعنا هنا عددًا من الصور ذات الدلالة على بعض ما أشرنا إليه، وعلى الرغم من أن عددها كبير، لا تغطِّي كل ما نحتاج إلى رصده منها. وليعتبر القارئ الكريم هذه الملاحظة بمثابة اعتذار له عن التقصير في هذه الناحية.

****



الشيخ عبدالله الجابر الصباح





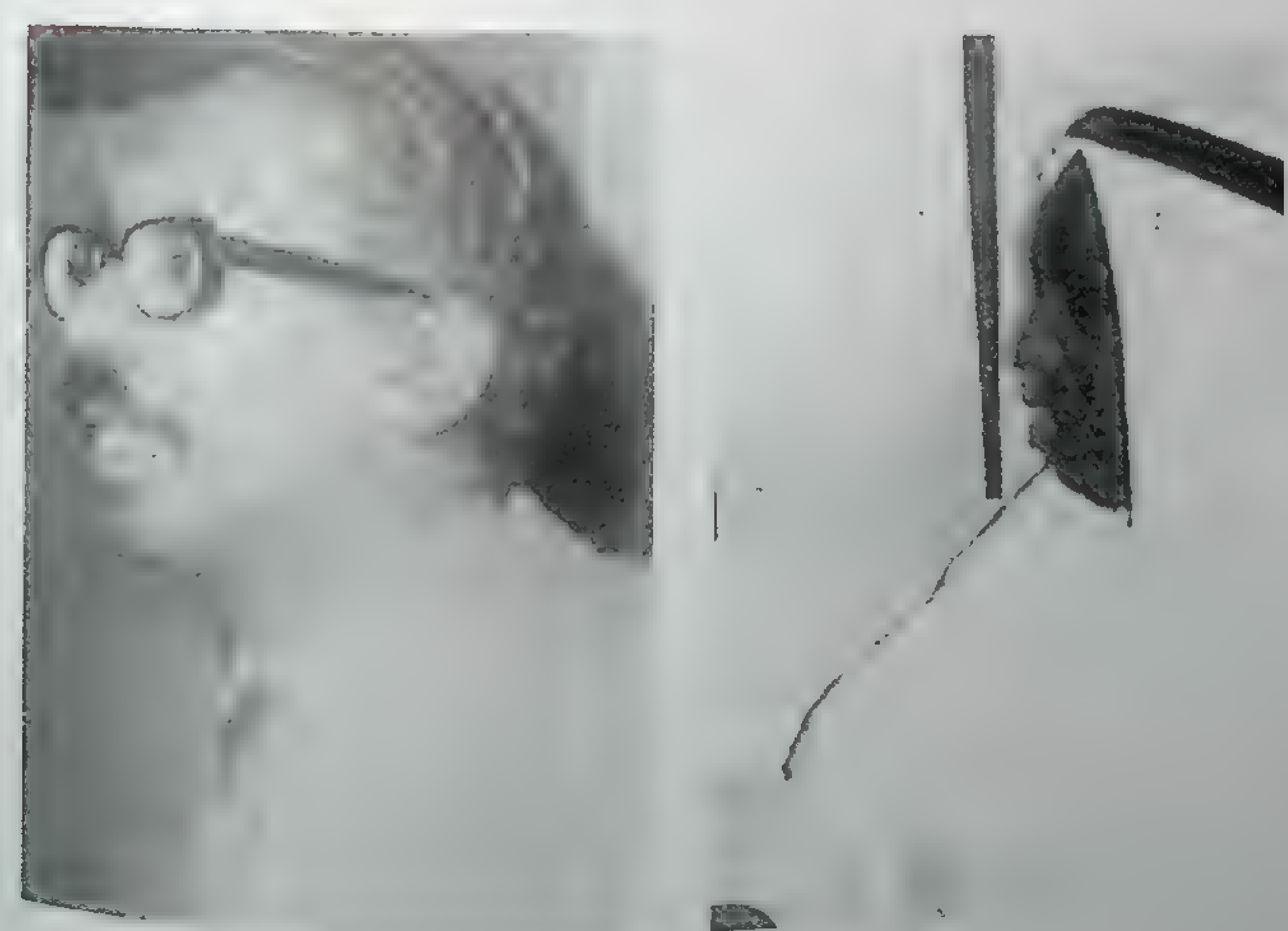
سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح



الشيخ عبدالله الجابر والأستاذ عبدالعزيز الشاهين في معرض مدرسي



أ.أحمد الجاسر وأ. محمد الصانع وبينهما ضيف من البحرين



أ.ماجد سلطان

د.أحمد الخطيب



الدكتور يعقوب يوسف الغنيم والأستاذ محمد الصانع الأستاذ أحمد مهنا



الشيخ عبدالله الجابر والسيد / خالد صالح الغنيم والأستاذ جاسم المرزوق



الشيخ جابر الأحمد الصباح يصافح الرئيس جمال عبدالناصر ومعهما الشيخ عبدالله السالم



الشيخ عبدالله السالم الصباح يستقبل في الهند كشافة من الكويت



الشيخ عبدالله الجابر والسيد / خالد صالح الغنيم والأستاذ صالح عبدالملك



سمو الشيخ سالم العلي الصباح والسيد / خالد صالح الغنيم



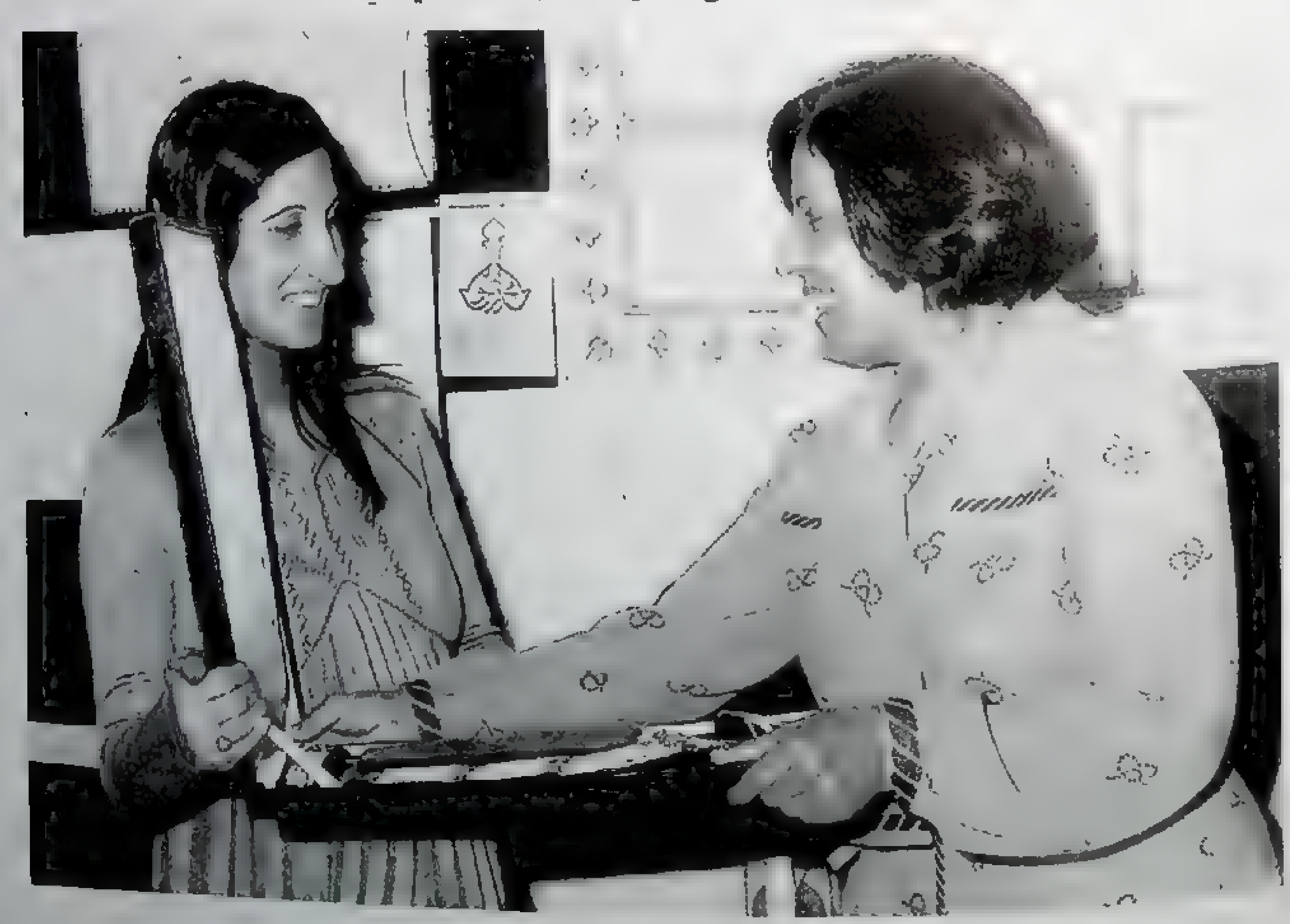
الشيخ عبدالله السالم يفتتح أحد أدوار انعقاد مجلس الأمة



شيخ البحرين سلمان بن حمد آل خليفة مع الشيخ أحمد الجابر في زيارة معهد الكويت الديني



الشيخ صباح السالم الصباح يؤدي القسم الدستوري في مجلس الأمة



المعلمة حورية الزنكي تقدم للناظرة لطيفة البراك هدية بمناسبة تقاعدها



الكويتيون يبتهجون بقيام وحدة مصر وسورية



الشيخ محمود محمد شاكر ود يعقوب يوسف الغنيم



فرقة كشفية في سنة ١٩٥٣م



شيخنا الأستاذ السيد أحمد صقر يتحدث إلى السيد عبدالرحمن المجحم



الطيار مرزوق العجيل



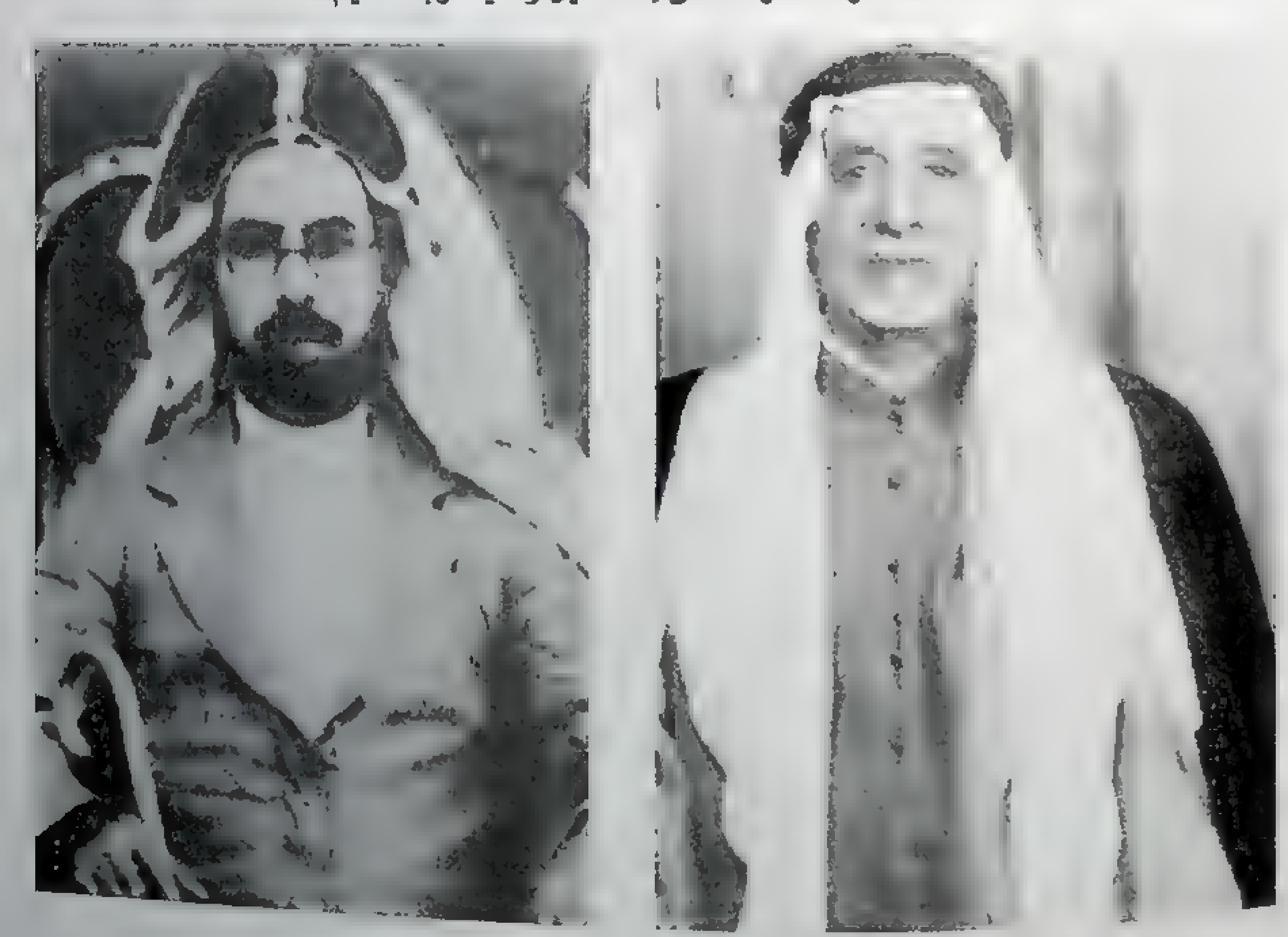
الشاعر داود الجراح



أنور السادات مع وفد برلماني كويتي برئاسة السيد / عبدالعزيز الصقر



الشاعر محمود حسن إسماعيل ود. يعقوب الغنيم



السيد/ عبدالله محمد البحر

السيد/ احمد خالد المشاري



السيد/ خالد صالح الغنيم



د. مرزوق الغنيم



الشيخ محمد محمد صالح



أ. محمد عبدالرحمن البحر



وفد برلماني كويتي في مؤتمر منهم: السيد / خالد صالح الغنيم والسيد / سعود العبدالرزاق



عبدالرزاق البصير

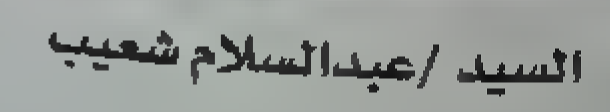


د. يعقوب يوسف الغنيم، د. عبدالرزاق العدواني، د. عبدالله الرفاعي



العميد طيار بدر العتيقي





السيد /عبدالسلام شعيب

أ. عبدالمحسن البحر



السيد/ بدر الخالد



سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وإلى جواره السيد/ عبداللطيف الثويني فالسيد أحمد العيسى السعد



عبدالكريم الجحيدلي ود.يعقوب الغنيم



الشيخ علي السالم الصباح



أ. حمد عبدالله الصقر



الشيخ جابر المبارك الصباح



أ. أحمد البشر الرومي



أ. عبدالله زكريا الأنصاري



الشاعر عبدالمحسن الرشيد



محمد ملا حسين



د. يوسف البحر



عبدالباقي النوري



أ. عبدالعزيز الصرعاوي



الفنان بدر القطامي



أ. محمد الصانع



د. رشيد الحمد



د. يعقوب يوسف الغنيم وعبدالله الجاسم العبيد



الشيخ مشعل الأحمد الصباح



أ. سعيد البنا



أ. عبدالصمد تركي



الشيخ صباح السالم الصباح



السيد/ أحمد محمد صالح الحميضي



أ. راشد السيف



الشاعر إبراهيم سليمان الجراح



الشاعر حجي جاسم الحجي



أ. عيسى أحمد الحمد المجرن



أ. حمد عيسى الرجيب



أ. عبدالعزيز جعفر



السيد / سليمان عبدالعزيز العمر



تسليم الدستور من لجنة يرأسها السيد عبداللطيف الثنيان رئيس المجلس التأسيسي
إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح



الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين



د. عبدالرزاق العبدالرزاق



النوخذة محمد العصفور



أ. محمد المعوشرجي



الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح



زوجة ديكسون



السيد/ عبداللطيف عبدالرحمن البحر

السيد/ سليمان العبدالجليل



السيد/ أحمد الدعيج



أ. فهد الدويري



الفنان عبدالله فضالة في إحدى الحفلات



الشيخ سعود الصقر



الشيخ عبدالله النوري



السيد أحمد غنام الرشيد



الفنان محمد المنيع



احمد يعقوب المحميد



السيد/ عيسى العبدالجليل



السيد/ سليمان إبراهيم المسلم



الشيخ ناصر المبارك



د. نائل النقيب وزوجته أ. سعاد الرفاعي



فتح أنابيب تصدير النفط ١٩٤٦م بيد الشيخ أحمد الجابر الصباح



أ. حمد الرومي



أ. عبدالعزيز الشاهين



أ. عبدالوهاب الزواوي



أ. صالح شهاب



الفنان معجب الدوسري



أ. مهلهل المضف



الشيخ مبارك العبدالله الجابر الصباح



السيد/ شملان بن علي



أ. عبدالله الجارالله



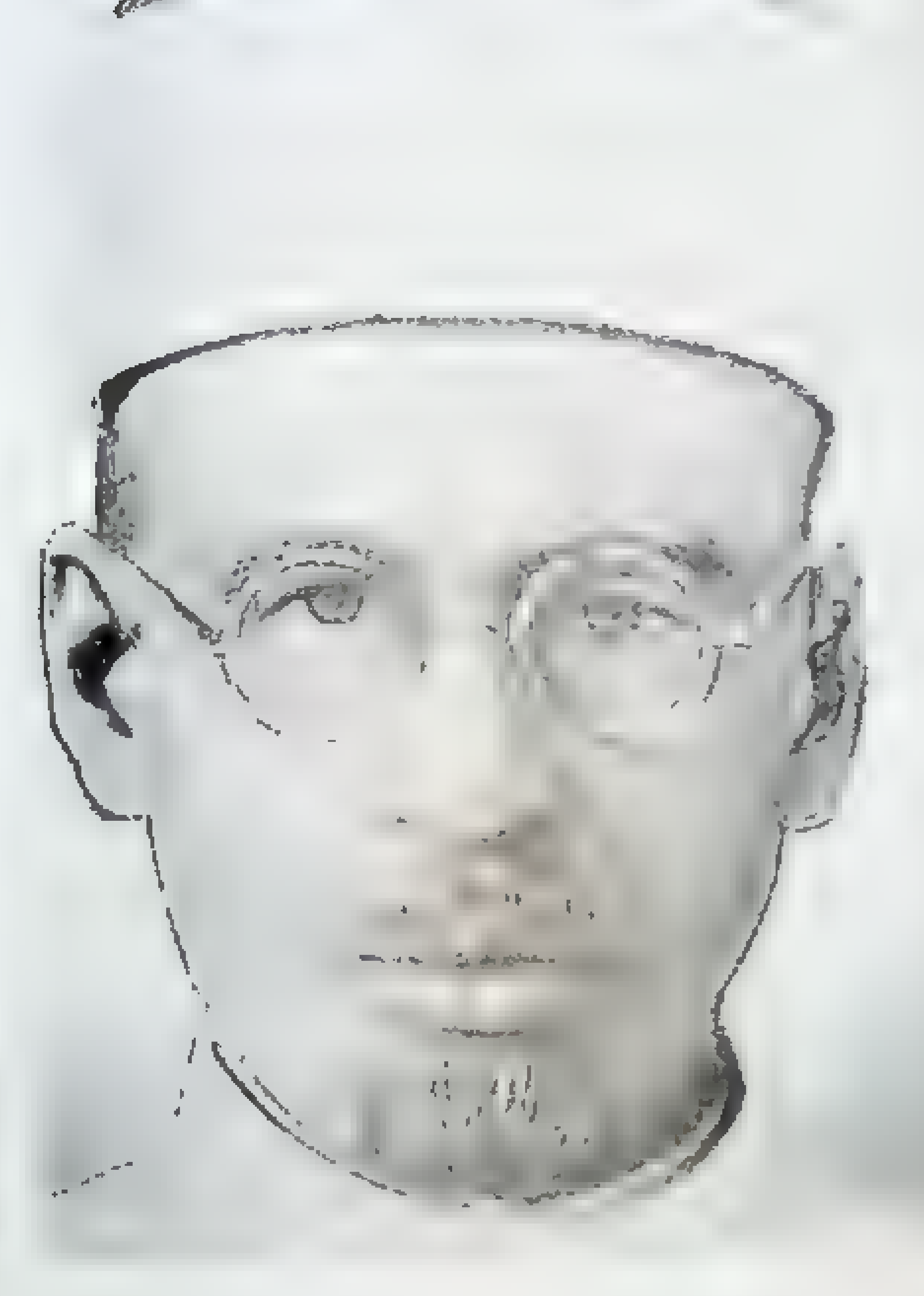
د. إبراهيم الشاهين



السيد عبدالعزيز محمود



السيد راشد عبدالكريم إدريس



الشيخ عبدالعزيز الرشيد



د. يوسف دوخي



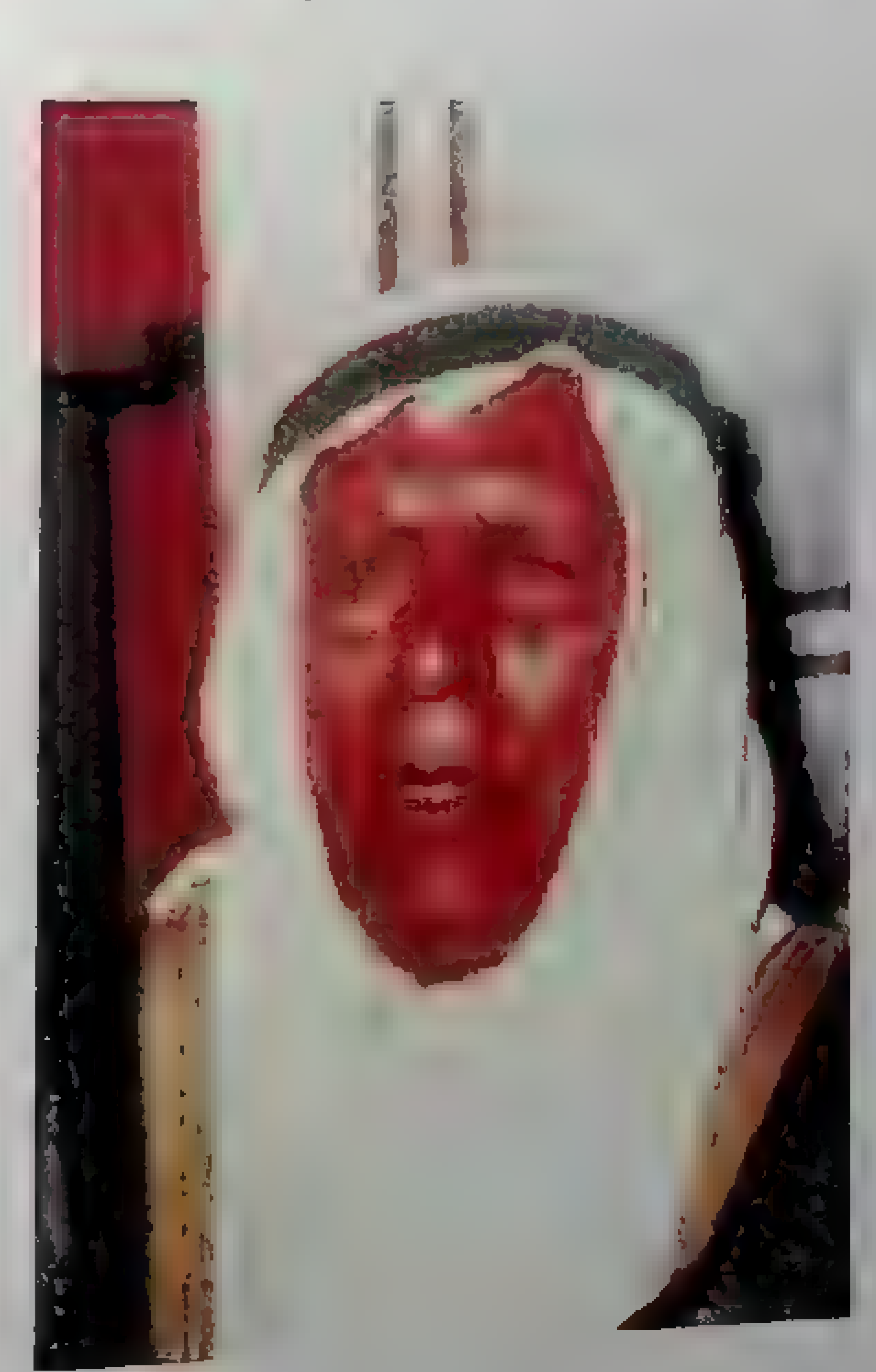
السيد خلف النقيب



أ. إبراهيم عبدالملك


أ. عبدالملك الصالح


أ. عيسى اللوغاني


السيد/ خالد راشد بورسلي


أ. جمعة ياسين


أ. خالد الحريان


الشاعر فهد بورسلي


د. صالح العجيري


الشيخ حمد المبارك الصباح



الشاعر راشد السيف أول اليمين



الأستاذ الفنان أيوب حسين



أ. أحمد عبداللطيف



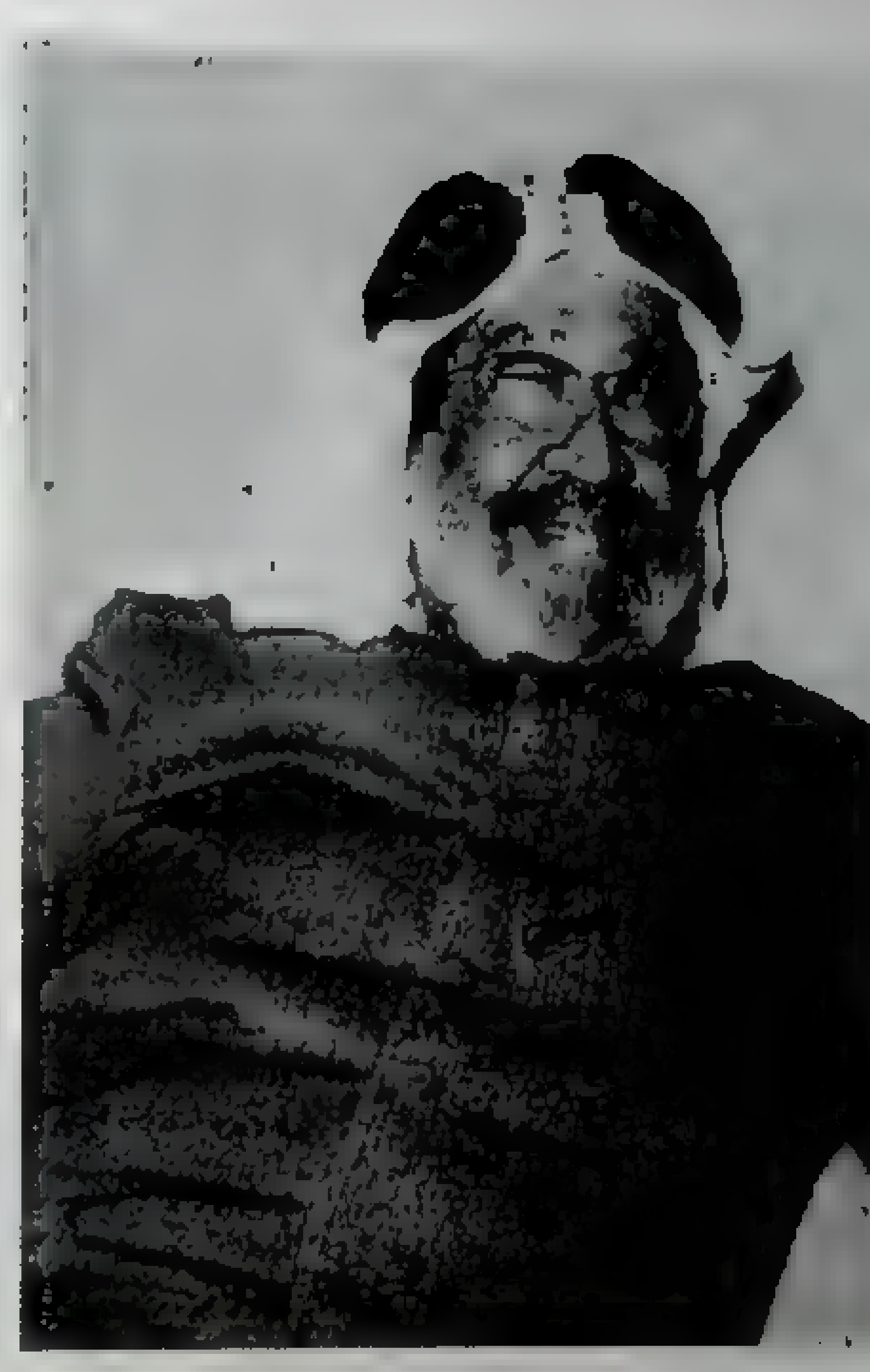
د. نائل النقيب



ماما أنيسة



السيد/ أحمد النقيب



الشيخ يوسف بن عيسى القناعي



محمد سليمان العتيبي



الفنانة عودة المهنا



الشيخ صالح سليمان الجراح



د. عادل عبدالمغني



أ. صالح العثمان



السيد أحمد سعود الخالد



الشيخ جابر العبدالله الجابر الصباح



صقر الشبيب



أ. مشعان الخضير



الفنان عبداللطيف الكويتي



أ. أحمد مشاري العدواني



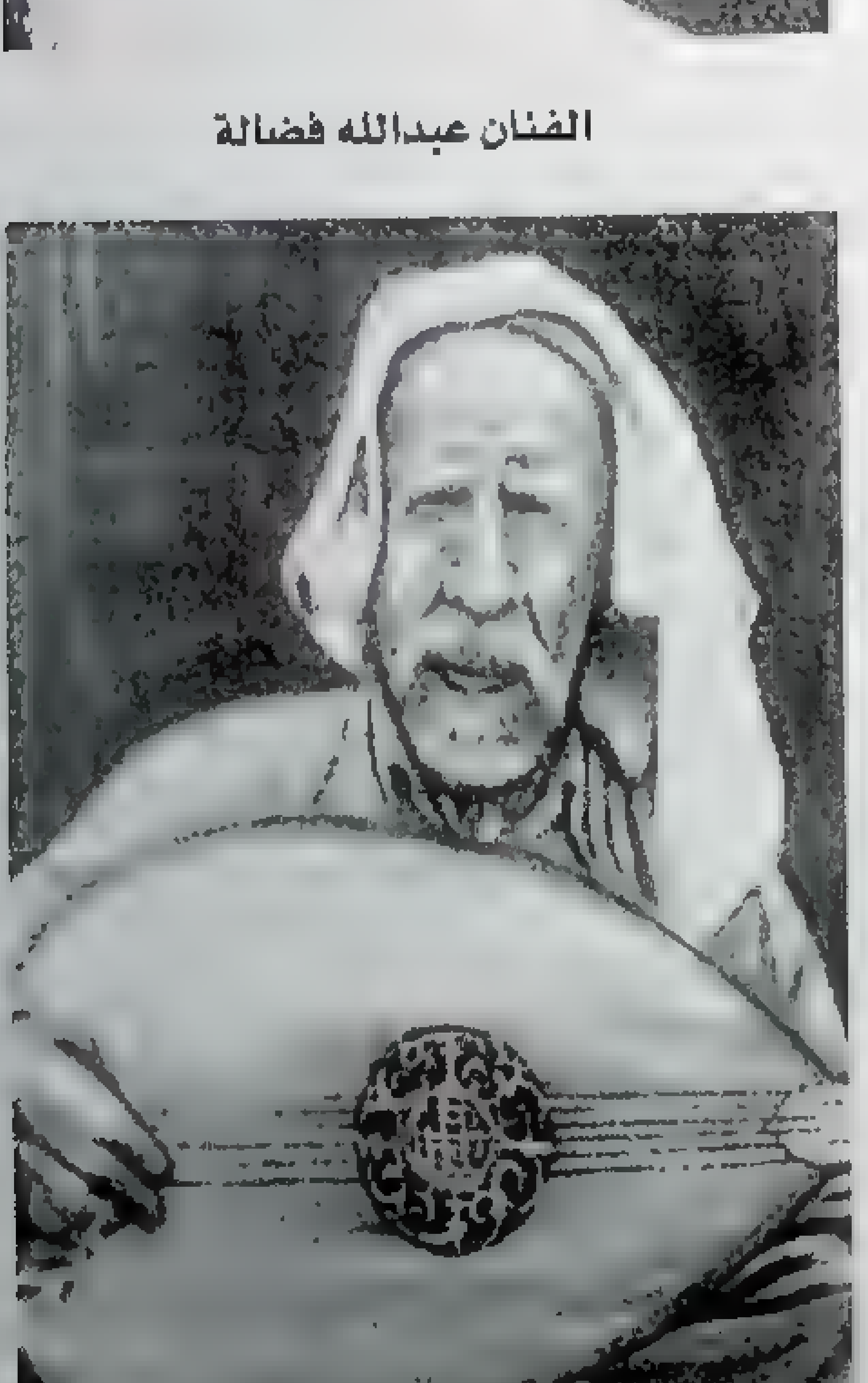
الأديب عبدالله الصانع



الفنان عبدالله فضالة



المؤرخ سيف مرزوق الشملان



الفنان يوسف البكر


الشاعر مرشد البذال


أ. إبراهيم الشطي


أ. محمد الفوزان


الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين


السيد/ عبداللطيف النصف


أ. خالد الفرج


السيد جاسم القطامي


د. عبدالله يوسف الغنيم



د. سليمان العسكري



الشيخ عبدالله السالم الصباح



الشيخ أحمد الخميس



السيد/ بدر الساير



السيد/ مراد بهبهاني



أ. عبدالله أحمد حسين



أ. خالد مسعود فهد الفهيد



أ. جاسم بن عيسى النصرالله



السيد/ رجب الرفاعي




الفنان عوض دوخي



السيد/ عبداللطيف فيصل الثويني



الشاعر فهد العسكر



السيد/ عبدالعزيز الصقر



السيد/ سعود العبدالرزاق



الشيخ أحمد عطية الأثري



الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح



السيد/ حمد الحميدة



الشاعر خالد المنشرح العجمي



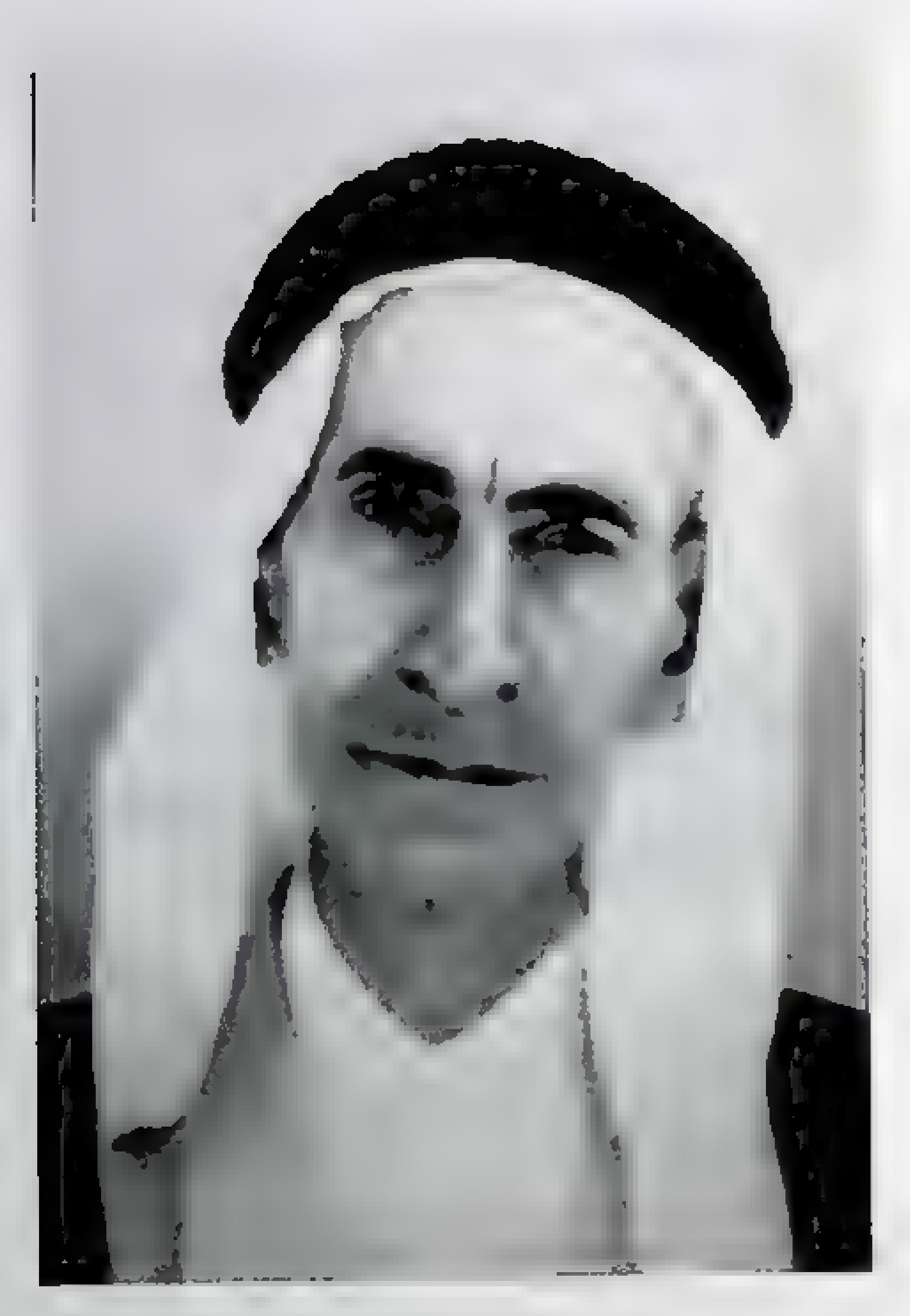
الشاعر عبدالله السنان



السيد/ عبدالعزيز العتيبي



السيد/ خالد الزيد الخالد



السيد/ سليمان العدساني



الشاعر زيد الحرب



السيد/ عيسى الشيخ يوسف



الشاعر إبراهيم سليمان الجراح



أ. صالح عبدالملك الصالح



الشيخ مبارك الصباح



الشيخ أحمد الجابر الصباح



السيد سلطان الكليب



الفنان سعود الراشد



أ. فاضل خلف



أ. احمد السقاف



الشيخ عبدالله الجابر الصباح



أ. جاسم المطوع



الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح ومعه السيد/ جاسم الخرافي



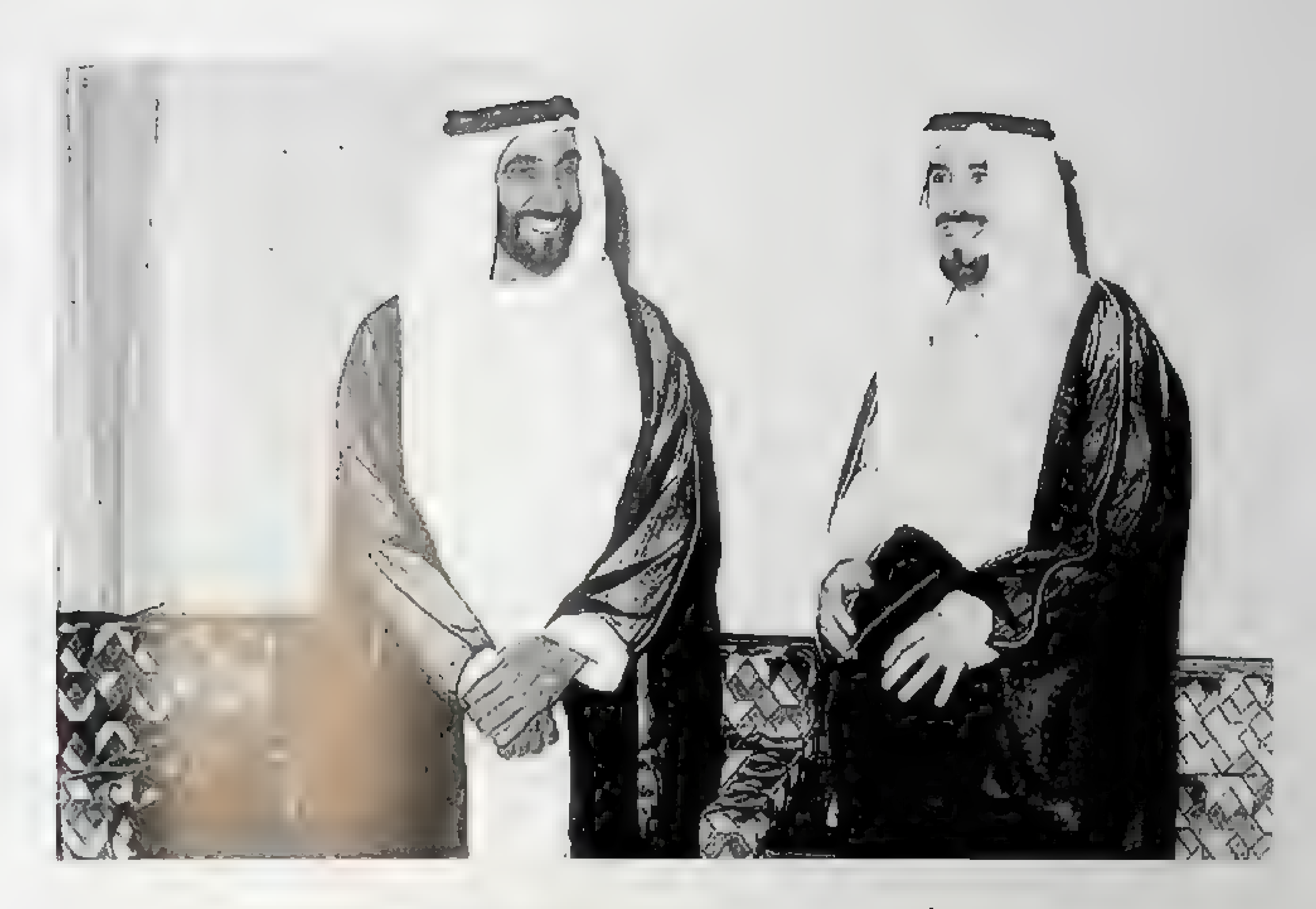
الشيخ سالم المبارك



السيد/ عبدالعزيز المطوع



الشيخ عبدالعزيز حمادة إلى اليمين وإلى اليسار الشاعر راشد السيف



سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح مع سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان



الشيخ عيد المطيري

السيد/ نصف اليوسف



المقرئ علي حسين الحسيني



السيد/ حمود الزيد الخالد



السيد / عبدالرحمن العتيقي مع الدكتور يعقوب يوسف الغنيم



الشيخ جابر العلي الصباح



السيد/ عبدالمحسن الخرافي



أ. أحمد عنبر



صورة كشك الشيخ مبارك الصباح قبل الترميم



السيد/ محمد عبدالمحسن الخرافي



السيد/ حمد خليفة الحميدة وعلى يمينه السيد الخرافي
وعلى يساره السيد أحمد الداعر



الأستاذ عقاب الخطيب يوجه تلاميذه في مدرسة المثنى



الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيس معارف الكويت يزور المدرسة الكويتية في بومبي،
ومعه السيد عيسى اليوسف



من اليمين السيد حمد خليفة الحميدة وفي الوسط والد الأخ عبدالله الحافظ،
وعلى اليسار الأخ سهيل الزنكي مدير مكتبة المعارف فرع رقم (١)



سمو الشيخ أحمد الجابر يدير صمام نقل النفط



الشيخ أحمد الجابر الصباح يشرف على الغوص



سمو الشيخ أحمد الجابر في حفل مدرسي



في وسط الصورة النوخذة علي بن ناصر النجدي



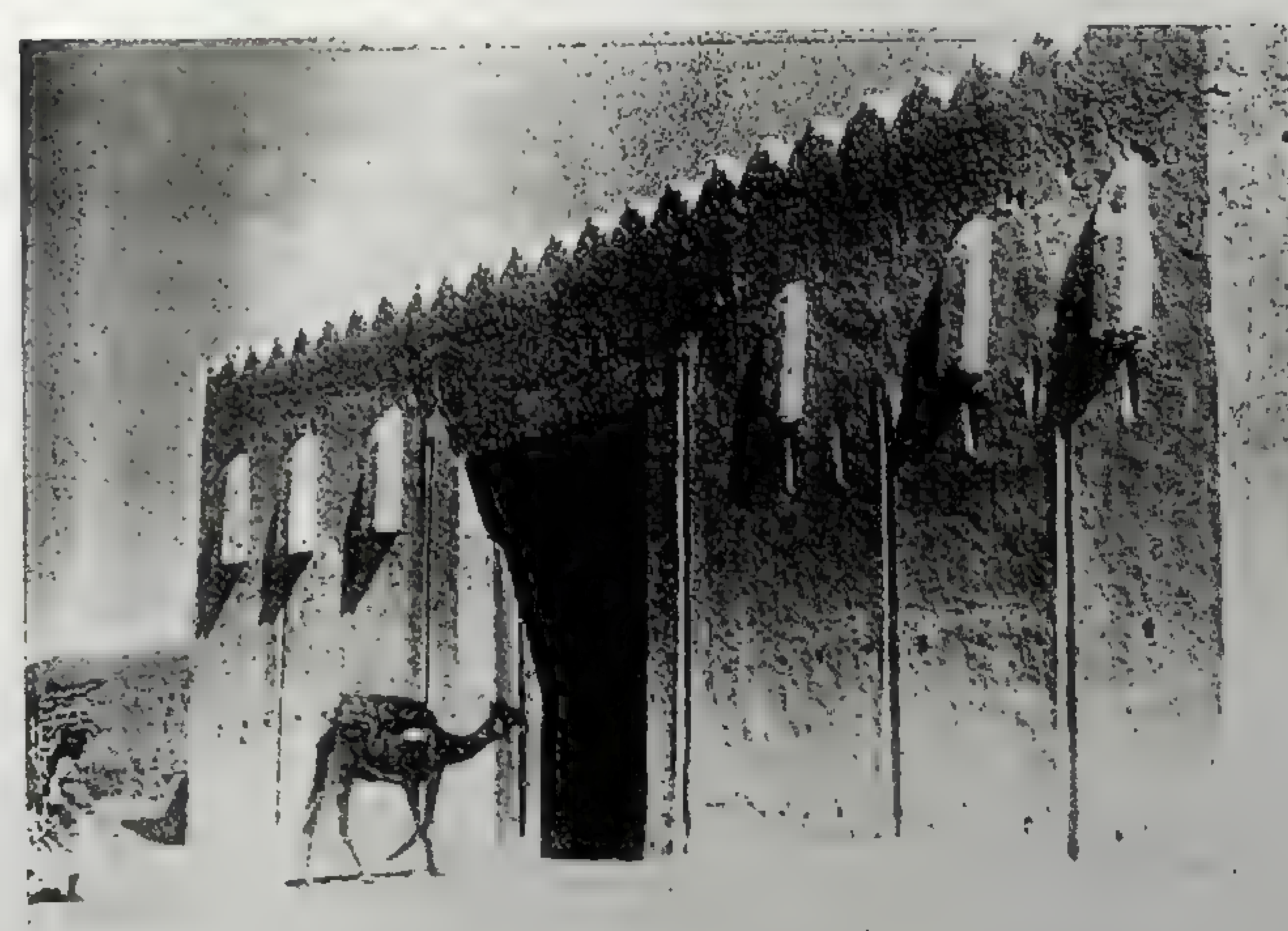
الطمبورة من رسم الأستاذ الفنان أيوب حسين



قصر دسمان من الجو من مجموعة الشيخة منى العبدالله



حفرة قديمة لجمع مياه الأمطار من رسم الأستاذ الفنان ايوب حسين



إحدى بوابات سور الكويت الثالث



سفينة غوص كويتية



الشيخ عبدالله الأحمد الجابر
يضع حجر أساس مسجد



بحارة كويتيون يعملون



بوم كويتي في عرض البحر



حقل في الجهراء



في المطبخ المركزي

رقم ٥٤١٠ سلطان بن عبدالرحمن

بطاقة تموين

شركة تموين الاقمشة الكويتية المحدودة

بطاقة التموين القديمة من شركة تموين الأقمشة



في المطبخ المركزي



المبنى الجديد لبنك الكويت المركزي



هيئة شؤون القصر



في المدرسة الأحمدية قديمًا



الحسينية الجديدة



من شارع عبدالله الأحمد



مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي من الداخل



واجهة مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي



مسجد الدولة الكبير



سوق الأوراق المالية



مذكرات سعاد الرفاعي



مبنى بلدية الكويت قديمًا



جامعة الكويت - الخالدية



القطا في الكويت



مبنى مجلس الأمة القديم



من مناظر ثانوية الشويخ



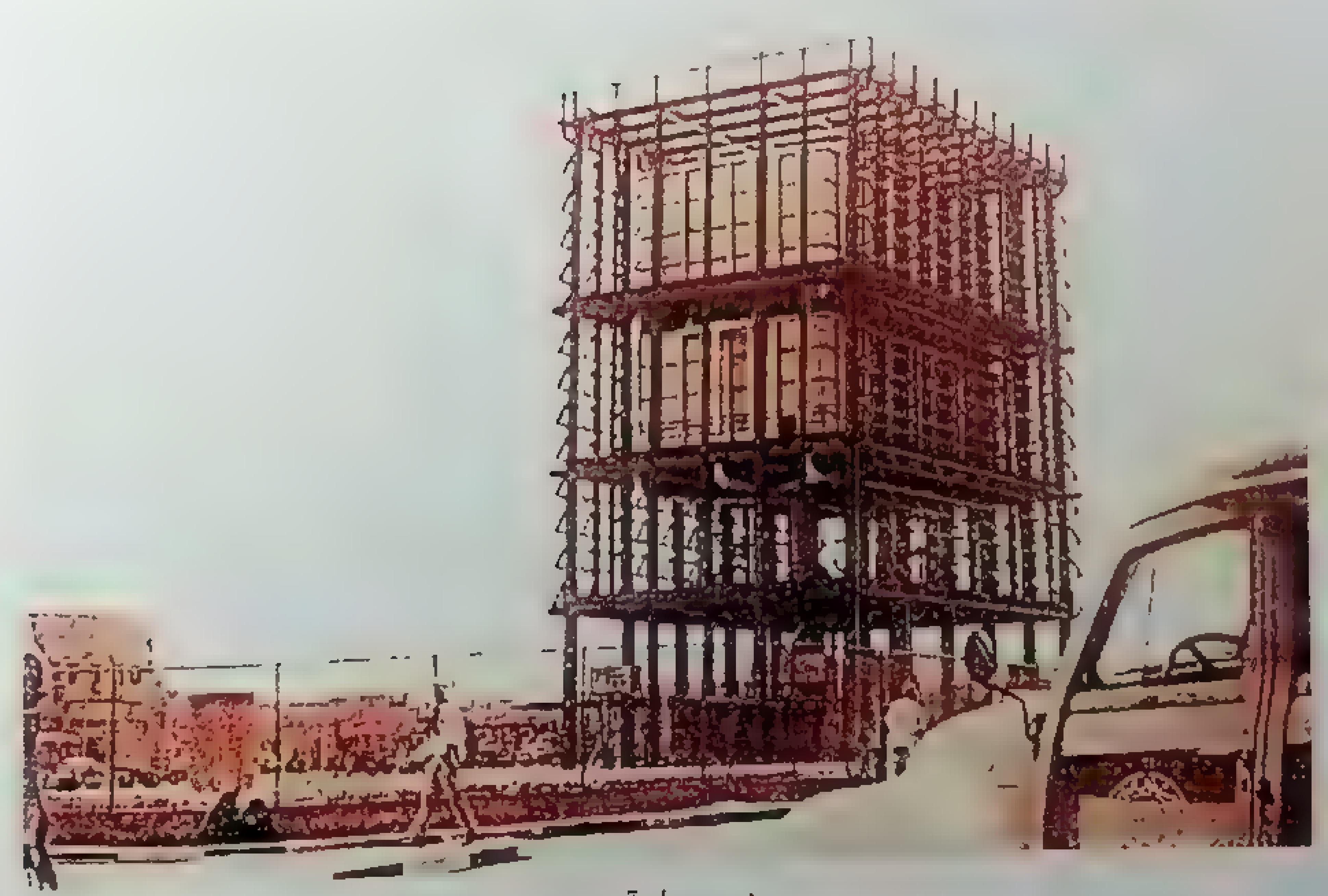
أحد ميادين الكويت



من وسائل الري قديمًا



قصر بيان قديمًا



برج مياه قديم



نقل العرفج على الإبل إلى البيوت قديمًا



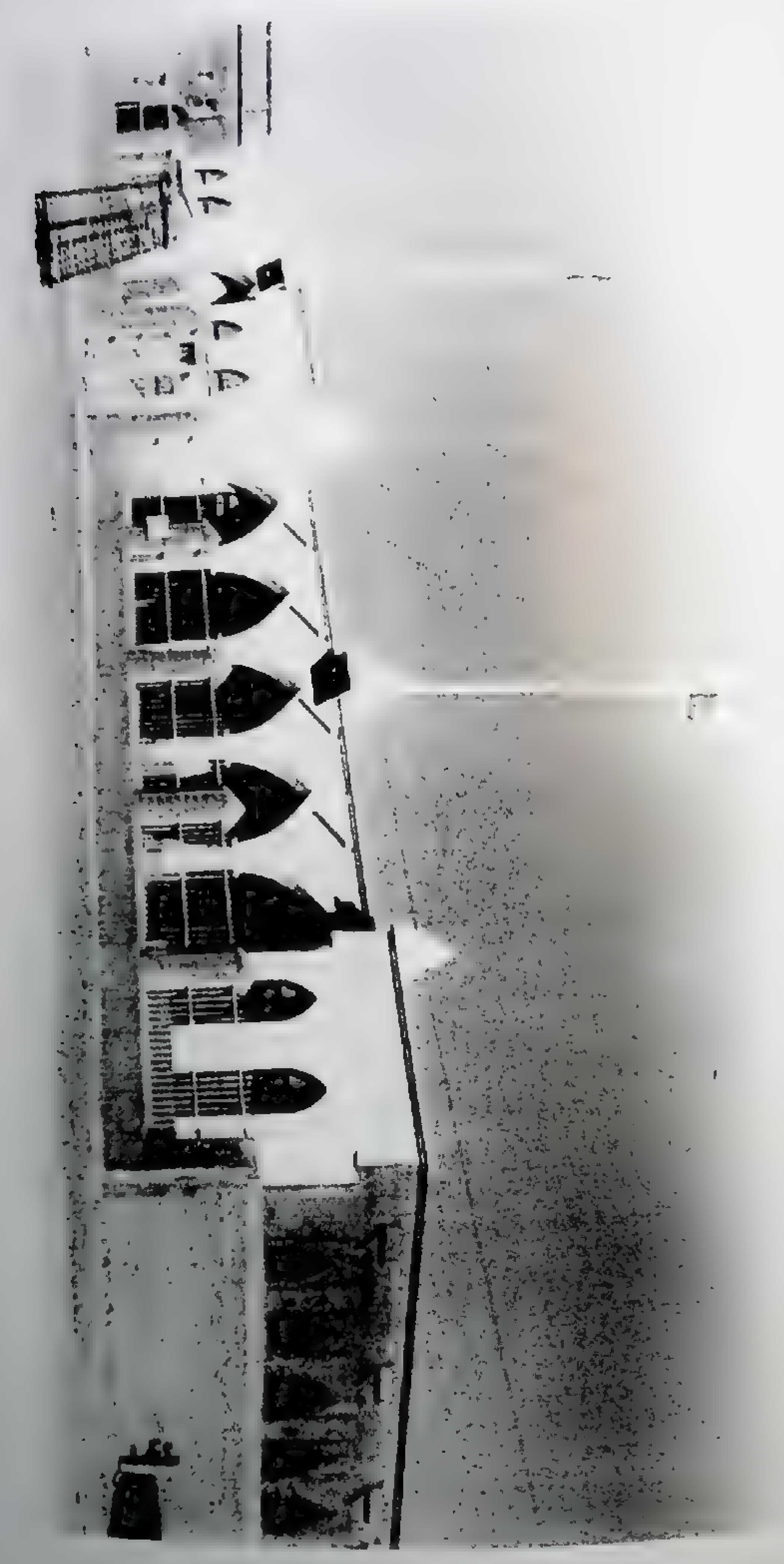
إحدى بوابات السور الثالث



التسقيف القديم لشارع الأمير



جزء من شارع فهد السالم



المبنى القديم للمحاكم والإنشاء والشوري

المحتوى

****

الفهرس العام

المجلد الأول

مقالات عام ٢٠٠٥

مقالات عام ٢٠٠٦

****

المجلد الثاني

****

المجلد الثالث

****

المجلد الرابع

****

المجلد الخامس

****

المجلد السادس

****

المجلد السابع

****

المجلد الثامن

الفهرس العام

****